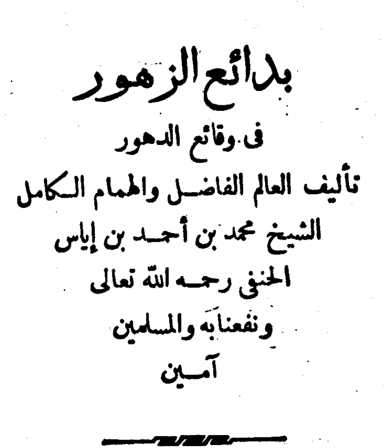


بدائع الزهور

فى وقائع الدهور

تأليف العالم الفاضل والهمام الكامل
الشيخ محمد بن أحمد بن إياس
الحنفى رحمه الله تعالى
ونفعنا به والمسلمين
آمين

أدب — تاريخ — قصص — فكاهه



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القديم الاول * الأزلي الذي لا يتحول * ولا تغيره الدهور والأعصار * ولا ينفيه حدثان الليل والنهار * هو الذي أنشأ الوجود من العدم * وقدر ما كان قبل أن يكون في اللوح والقلم * وخلق آدم وجعل من نسله العرب والعجم * واصطفى منهم نبينا محمدا وكمل به ديوان الأنبياء وختم * ونسخ بشريعته جميع الشرائع * وأوجب طاعته على الخلائق من عاص وطائع * وجعل دول الاسلام مؤيدة بالخلفاء الراشدين * فهم ظل الله تعالى في أرضه لكل طائع انتظم في سلك المهتدين * (أحمده) حمدا يقتضي المزيد من النعم * وأشهد أن لا اله الا الله ولا نعبد الا إياه ذو الفضل والكرم * وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي كان نبيا وآدم بين الماء والطين * وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين * وسلم تسليما الى يوم الدين ﴿و بعد﴾ فقد ألفت [illegible] التاريخ والسير . فاخترت أحسن الأخبار من نفائس الدرر . ليكون نزهة لذوي العقول فللمستخبر أن يسمع وللمؤلف أن يقول . فان فيه من الفوائد الغرائب . ومن المنقول العجائب * وقد أوردت في هذا الكتاب من الوقائع الجيدة . واختصرت من الأشياء المسائل المفيدة . وابتدأت فيه بذكر السموات والأرضين وما كان قبل وجود الوجود . واظهار العالم الموجود من مبدإ خلق آدم عليه السلام . وما جاء من نسله من الأنبياء الكرام . الى نبينا محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام . وسميته ﴿بدائع الزهور في وقائع الدهور﴾ والمستعان الله تعالى في المبدا والختام . ومن هنا نشرع في الكلام (قال) أبو زيد البلخي مخارج العلوم أربعة علم رافع وعلم ساطع وعلم نافع وعلم واضع . فأما الرافع فهو العلم الشريف من الأحاديث والفقه . وأما العلم الساطع فهو علم الأدبيات والأخبار الرقيقة . وأما العلم النافع فهو علم الطب ومعرفة الحساب . وأما العلم الواضع فهو علم الكهنة من السحر وما أشبهه . فأخيره ما ينتفع به دنيا وأخرى كما قيل

ماحوى العلم جميعا أحد * لا ولو مارسه ألف سنه
انما العلم كبحر زاخر * فاتخذ من كل شيء أحسنه

﴿ ذكر ما كان في بدء المخلوقات ﴾

(روى) الامام أحمد في مسنده عن عامر العقيلي رضي الله عنه أنه قال قلت يارسول الله [illegible] قبل أن يخلق السموات والأرض قال كان في غمام فوقه هواء وتحته هواء ثم خلق

عرشه على الماء . قال بعض العلماء الغمام هو السحاب * واختلف العلماء فيما خلقه الله قبل العرش (روى) الترمذي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول شيء خلقه الله تعالى القلم من نور وقيل من لؤلؤة بيضاء طوله ما بين السماء والارض ثم خلق اللوح بعده وهو من درة بيضاء صفائحها من الياقوت الأحمر وطوله ما بين السماء والارض وعرضه من المشرق الى المغرب (وعن) أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ان لله لوحا أحد وجهيه من ياقوتة حمراء والوجه الآخر من زمردة خضراء وأقلامه من نور . قال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله تعالى القلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش ثم نظر اليه نظر الهيبة فانشق وقطر المداد . وقال ابن عباس ان القلم مشقوق ينبع منه المداد الى يوم القيامة. ثم قال الله للقلم اكتب فقال القلم يارب وما أكتب قال اكتب علمي في خلقي بما هو كائن الى يوم القيامة (وأخرج) سعيد بن منصور ان أول ما كتب القلم أنا التواب أتوب على من تاب (وأخرج) ابن أبي حاتم ان أول ما كتب القلم إن رحمتي سبقت غضبي والأقوال في ذلك كثيرة والأصح ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما أن القلم جرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة وما قدر من خير وشر وسعادة وشقاوة وهو قوله تعالى «وكل شيء أحصيناه في إمام مبين» أي في اللوح المحفوظ (وقال) عمرو بن العاص سمعت رسول الله ﷺ يقول كتب الله تعالى مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف عام . وهذا الحديث يدل على تقديم القلم على العرش وأنه أول المخلوقات ثم خلق اللوح بعده (قال) ابن عباس رضي الله عنهما ان لله تعالى لوحا من درة بيضاء ينظر فيه كل يوم وليلة ثلثمائة وستين نظرة ففي كل نظرة يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء «ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين» وهو قوله تعالى «وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير» *(ذكر خلق العرش)* أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ان الله تعالى خلق العرش من نوره والكرسي ملتصق بالعرش وحول العرش أربعة أنهار نهر من نور يتلألأ ونهر من نار تلظى ونهر من ثلج أبيض ونهر من ماء والملائكة قيام في تلك الانهار يسبحون (وعن) ابن أبي حاتم قال خلق الله العرش من زمردة خضراء وخلق له أربع قوائم من ياقوتة حمراء ما بين القائمة الى القائمة مسيرة ثمانين ألف عام واتساعها مثل ذلك وهو كهيئة السرير والقوائم تحملها ثمانية من الملائكة وهو كالقبة على الملائكة والعالم . وعن أبي حاتم عن النبي ﷺ أنه قال ان العرش كان على الماء فلما خلق الله السموات جعله فوق

السموات السبع وجعل السحاب كالغربال للمطر ولولا ذلك لغرقت الارض * ويقال ارتفاع السحاب عن الارض اثناعشر ميلا (قال) عكرمة ان الله تعالى ينزل المطر من السماء القطرة كالبعير ولولا أن السحاب والرياح تفرقها لفسد كل ماتقع عليه من النبات والبهائم وقد قال الله تعالى «وهو الذى يرسل الرياح بشرا» الآية ﴿ ذكر أخبار المطر ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى وكل بالمطر ملائكة فلاتنزل قطرة الاومعها ملك يضعها حيث شاء الله تعالى امافى البر واما فى البحر فاذا كان على الارض أنبت الله به الزرع والاعشاب وهو قوله تعالى «وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء» وان كان فى البحر يخلق الله تعالى منه اللؤلؤ الصغار والكبار قال ارسطاطا ليس ان المطر يقع فى البحر المحيط بالدنيا وذلك وقت هبوب الريح الشمالى فاذاهاج البحر بالأمواج نزل من السماء مطر عظيم فيصعد من ذلك البحر صدف على وجه الماء ويفتح فاه ويلتقم القطرة من المطر كما يلتقم الفرج النطفة فلايزال الصدف يعمد الى مواضع فى البحر لينعقد المطر فيصير درا فاذا انعقد تغوص الصدفة الى قعر البحر ويجمعونها فى أوعية موضوعة فى صدورهم فيعمد اليها الغواصون واذا تركت الدرة فى الصدفة وطال مكثها فى البحر فسدت وتغيرلونها كالثمرة اذا تركت على الشجرة ولم تقطف فى أوانها (وحكى) أن أعرابيا قدم الى البصرة ومعه درة نفيسة فأتى بها الى عطار هناك وسأله أن يشتريها منه فاشتراها منه بأبخس الأثمان ثم ان العطار سأل الأعرابى من أين وصلت اليك هذه الدرة فقال مررت يوما من الأيام بساحل البحر من أرض الصين فرأيت ثعلبا ميتا وعلى فمه صدفة فى جوفها بياض يلمع ووجدت هذه الخرزة الى جانبه فأخذتها ومضيت والذى يظهر لى من هذه الواقعة أن صدف البحر الذى فيه اللؤلؤ يخرج من الماء لينتشق الهواء كما هى عادة الصدف. فلما مر ذلك الثعلب بساحل البحر رأى لحمة حمراء فى جوف الصدفة وهى فاتحة فاها فوثب عليها الثعلب ليقتلها فأدخل فاه فى الصدفة فانطبقت عليه ومن شأنها اذا انطبقت على شىء لا تنفتح أبدا حتى تنشق بالحديد فلما انطبقت على فم الثعلب أخذها فصار يضرب بها فى الأرض يمينا وشمالا الى أن مات فخرجت هذه الدرة من جوف الصدفة فمر بها ذلك الأعرابى فأخذها ولم يعلم قيمتها فكانت من رزق ذلك العطار فباعها بألف دينار وكانت قدر بيضة الحمامة (وقال) ابن عباس رضى الله عنهما ان ماء المطر من بحر بين السماء والارض وهو كثير المياه وفيه السمك والضفادع وقد نزل فى بعض السنين فى أماكن من الارض مع المطر ضفادع وسمك صغار . ومصداق ذلك ماحكى أن ملكا من الملوك أطلق بازياله فى الفضاء خلف طائر فصعد البازى الى أعلى الجو فغاب

عن الاعين ثم رجع وفى رجله سمكة فلما رآها الملك أراد أن يأكلها فأحضر الحكماء
واستشارهم فى أكل تلك السمكة فأشاروا عليه فى أكلها فقام من بين الحاضرين شاب
صغير وكان له اشتغال بالعلم فى وسط المجلس وقال أيها الملك ان لحم هذه السمكة مسموم
ولا يجوز أكله فقال له الملك ومن أين لك هذا العلم قال ان الله تعالى خلق بحرا بين السماء
والأرض وقد ورد فيه من الاخبار بأن به أسماكا مسمومة وأنت لما أطلقت البزاة خلف
الطائر وفاته اختطف هذه السمكة من ذلك البحر وان هذا البحر لا يصل اليه الا البازات
الشهب فان أراد الملك صدق قولى فليحضر شخصا وجب عليه القتل وليطعمها له فينظر
صدق قولى فأتى الملك بشخص وجب عليه القتل فأطعمها له فلما أكلها اضطرب ومات فى الحال
فلما رأى الملك ذلك أنعم على الشاب بألف دينار وصار الملك لا يتصرف فى شئ من الأمور الا
برأى ذلك الشاب

﴿ذكر أخبار الثلج والبرد﴾

قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى خلق فى السماء جبالا من ثلج وبرد كما أن فى الأرض
جبالا من حجر وهو قوله تعالى «ويُنزل من السماء من جبال فيها من برد» الآية وفى بعض
الاخبار ان الله تعالى خلق ملائكة نصف أبدانهم من ثلج ونصفها من نار فاذا أراد أن ينزل
الثلج على مكان أمر تلك الملائكة أن ترفرف بأجنحتها على الثلج فما يسقط الى الأرض ثلج
الا برفرفة أجنحة الملائكة (قال) ابن الجوزى فى بعض مصنفاته ان فى القرن الخامس من
الهجرة وقع من السماء بردة وهى قطعة عظيمة فى بعض جهات الغرب فاهتزت لها الأرض
وقتلت مالا يحصى عددهم من البهائم والناس وكان أمرا مهولا

﴿ذكر أخبار ما بين السماء والأرض﴾

(قال) كعب الاحبار رضى الله عنه ان بين السماء والأرض سحابا لطيفا وفوقه طيور بيض
رؤوسها كرؤوس الخيل ولها ذوائب كذوائب النساء ولها أجنحة طوال وليس لها فى السماء
ملجأ ولا فى الأرض مأوى وانها تبيض وتفرخ على السحاب فى الهواء وتقر على السحاب كما تقر
الطيور على الماء * ويقرب من ذلك أن الطير المسمى بالحجل يعشش فى الهواء وانه يلقح فى
الهواء كما تلقح النخلة من النخل وانه يأتى الى أعشاش الطير فيأخذ من بيضها ويحضنه
فاذا تحرك الفرخ فى البيضة وصار له قوة على الطيران طار حتى يلحق بأمه التى باضته فى الاصل
ولا يقيم فى الهواء ويقال ان العقاب لا يسافد أنثاه وان الذى يسافدها من غير جنسه من
الطيور نقل ذلك صاحب السكردان . قيل ان الحجل يكون فى أسافل الريح والطير المسمى
باليعسوب يكون فى أعالى الريح فيلقح منه وقيل فى المعنى

ما أنت الا كالعقاب فأمه * معلومة وله أب مجهول

(ومن) العجائب أن فى بلاد الهند مدينة تسمى دكين و بها جبل يرى كله فى نار من غير موقد و يقال ان بذلك الجبل طائرا يسمى السمندل وهو على قدر الرخمة وأنه يعشش فى ذلك الجبل الذى ترى فيه النار و يفرخ فيه ولا يحترق من تلك النار و يقال ان ريشه يعمل منه مناشف فاذا اتسخت ترمى فى النار فتنقى من وسخها ولا تحترق و يعمل من ريشه فتائل للسراج فاذا فرغ الزيت تنطفى منه الفتيلة ولا تأكلها النار ولو أقامت الى الابد و يقال ان دهن هـذا الطير اذا طلى به الانسان بدنه ودخل النار لا تضره فاذا أراد الانسان ابطال عمل ذلك الدهن حطلى فوقه بالخل فانه يفسد الدهن * ومن العجائب أن طائرا يسمى السمرمر وهو قدر الزرزور ومن شأنه أنه يهلك الجراد قبل أن يأوى الى عين ماء فى أقصى بلاد العجم فاذا نزل فى بلادهم الجراد أرسلوا فارسين الى تلك العين فيحضران لهم من ماء تلك العين فيعلقونه بين السماء والأرض فاذا أتى الماء الى الأرض التى فيها الجراد يتبعه الطائر المعروف بالسمرمر فيقتل الجراد و يفنيه عن آخره و يقال مادام ذلك الماء فى الأرض لا يدخل اليها الجراد * ومن شأن هذا الماء أنه اذا كان فى اناء ووضع على الأرض بطل السر الذى به وأما قولهم فى ارسال فارسين الى تلك العين التى يأوى اليها السمرمر فارسال الفارسين خشية أن يموت أحدهما فيحضر الماء الآخر و يقال ان عين الماء هى التى تسمى السمرمر واليها ينسب ذلك الطير * ومما يؤيد هذا الخبر ان فى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة أحضر بعض الاعاجم الى الملك الظاهر جقمق قمقم نحاس مختوما وزعم أن فيه ماء السمرمر فأنعم عليه السلطان بألف دينار فى مقابلة تعبه فعلق الملك الظاهر ذلك القمقم فى سقف القصر الكبير والسمرمر معلق به مدة طويلة فمن يومئذ امتنع الجراد عن مصر * وفى بعض الأخبار مارواه ابن عباس رضى الله عنهما أن بين السماء والأرض بحرا من نار وليس لها دخان فيقال ان الجان خلقوا من ذلك البحر (ومن الفوائد اللطيفة) مانقله الثعلبى فى كتاب العرائس أن الهدهد يرى الماء تحت الأرض كما يرى أحدكم إناءه (وروى) أن اسم الغراب أعور وانما سمى بذلك لأنه يغمض إحدى عينيه من قوة بصره و يقتصر على الأخرى وقد قيل فى المعنى

وقد ظلموه حين سموه سيدا * كما ظلم الناس الغراب بأعورا

﴿ذكر أخبار الرياح﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما خلق الله تعالى أربع رياح وهى الجنوب والشمال والصبا والدبور و يقال ان الرياح ثمانية أربعة منها فى الجهات الأربع وأربعة منها تسمى بالنكباء لميلها عن الجهات الأربع فريح الجنوب تجمع السحاب وقيل منها خلق الله

الحيل وقيل انها سيدة الرياح وأما ريح الشمال فانها من جهة الشمال وهبوبها من ناحية القطب وهى باردة يابسة ويقال لها ريح الجنوب وأما ريح الصبا وتسمى أيضا ريح القبول وهى من ناحية الشرق واذا هبت على الأبدان العليلة أنعشتها وتنفس عن المكروب كربته ويكون هبوبها عند السحر وأما ريح الدبور وتسمى أيضا العاصف والصرصر والعقيم وهى التى تهدم البناء وتقلع الأشجار قال أهل اللغة الريح العقيم لاماء معها وسميت عقيما لأنها لا تلقح ولا تنتج كالمرأة التى لا تلد فانها تسمى عقيما * وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور * وقد جعل الله تعالى قران الدبور بالريح العقيم وقران الجنوب بالريح الشمال وجعل ريح الشمال والصبا متعاقبتين وجعل لكل ريح من هؤلاء أوقاتا معلومة لا تتجاوزها فاذا أراد الله تعالى أن يعذب قوما بالريح أفرد الريح العقيم من الدبور وسلطها على من يشاء من عباده

﴿ ذكر مبدإ خلق الأرض ﴾ قال الله تعالى ﴿ هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ قوله تعالى فى ستة أيام اختلف جماعة من العلماء فى مقدار هذه الأيام هل هى من أيام الدنيا أم من أيام الآخرة قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والضحاك وآخرون من العلماء هى من أيام الدنيا وقال كعب الاحبار وابن جرير انها من أيام الآخرة التى كل يوم منها مقدار ألف سنة مما تعدون والأصح ماقاله ابن عباس ومجاهد والضحاك (قال) ابن عباس لما أراد الله تعالى أن يخلق الأرض أمر الرياح جميعا أن تثور فثارت حتى هيجت المياه وأثارت الأمواج فصار يضرب بعضها ببعض فلم تزل الرياح تضرب بالماء حتى أزبد وتراكم الزبد فصار منه حشفة بيضاء فصارت ربوة كهيئة التل العظيم فجعل الماء يقل والزبد ينمو بقدرة الله تعالى حتى بلغ ما بلغ وأحدق الماء من حوله فصارت الأرض كالكرة الباركة فى الماء قال وهب بن منبه لما خلق الله تعالى الأرض كانت طبقة واحدة ففتقها فصيرها سبعا كما فعل بالسماء وجعل بين الطبقة والطبقة مسيرة خمسمائة عام وهو قوله تعالى ﴿ ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى ﴾ (قال وهب بن منبه) لما فتق الله تعالى الأرض وجعلها سبعا كان اسم الطبقة الأولى أديما والثانية بسيطا والثالثة ثقيلا والرابعة بطيحا والخامسة حينا والسادسة ماسكة والسابعة الثرى وفى بعض الروايات تختلف أسماؤها * قال الثعلبى ان الأرض الثانية تخرج منها الريح وسكانها أمم يقال لهم الطمس وطعامهم من لحومهم وشرابهم من دمائهم والطبقة الثالثة سكانها أمم وجوههم كوجوه بنى آدم وأفواههم كأفواه الكلاب وأيديهم كأيدى بنى آدم وأرجلهم كأرجل البقر وآذانهم كآذان البقر وعلى أبدانهم شعر كصوف الغنم وهو لهم

ثياب و يقال أن ليلنا نهارهم ونهارهم ليلنا والطبقة الرابعة سكانها أمم يقال لهم الحلهام وليس لهم أعين ولا أقدام بل لهم أجنحة مثل أجنحة القطا والطبقة الخامسة بها أمم يقال لهم الخشن وهم كأمثال البغال ولهم أذناب كل ذنب نحو ثلثمائة ذراع وفي هذه الأرض حيات كأمثال النخل الطوال ولهمْ أنياب مثل الجمال والطبقة السادسة بها أمم يقال لهم الخثوم وهم سود الابدان ولهم مخالب كمخالب السباع و يقال ان الله تعالى يسلطهم على يأجوج ومأجوج حين يخرجون على الناس فتهلكهم والطبقه السابعة فيها مسكن ابليس اللعين وجنوده من المردة الشياطين ﴿ وقال بعض علماء الهيئة ﴾ إن الأرض مبسوطة وقال آخرون انها كالكرة وهي واقفة في الأفلاك والأفلاك دائرة عليها من جميع جهاتها كالصفار من البيضة وهي موضوعة في جوف الفلك و بعدها في الفلك من جميع الجوانب على التساوي وسبب وقوفها في الوسط سرعة دوران الفلك ودفعه اياها من كل جهة الى الوسط كما لو وضعت ترابا في قارورة وأدرتها بقوة فان التراب يقوم في الوسط وأما من قال ان الأرض مبسوطة فقال ان البحر المحيط الذي هو أربعة وعشرون ألف فرسخ محيط بها كما يحيط الخاتم بالأصبع . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان حول الدنيا ظلمة ثم وراء تلك الظلمة جبل قاف و يروى أن الله تعالى لما خلق الأرض صارت واقفة في الهواء فحركها الريح فاضطربت وماجت فشكت ذلك الى ربها وقالت يارب قد ضعفت قوتي واستخفني الريح وحركني فأوحى الله تعالى اليها اني مؤيدك بالأطواد وهي الجبال فاستقرت بعد ذلك الاضطراب * وقال وهب بن منبه ان الجبال خلقت من أمواج البحر قال الله تعالى ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها ﴾ الآية وهذا يدل على أن الله تعالى خلق السموات قبل الأرض بمدة طويلة قال الثعلبي لما خلق الله تعالى الأرض بعث اليها ملكا من تحت العرش فدخل من تحت الأرضين السبع وأخرج احدى يديه من المشرق والأخرى من المغرب وقبض على أطراف الأرض فلم يكن لقدميه قرار فأهبط الله تعالى ثورا من الجنة اسمه نون له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة من القرن الى القرن خمسمائة عام فاستقر قدم ذلك الملك على ذلك الثور فلم يكن لأقدام ذلك الثور قرار فأنزل الله تعالى ياقوتة خضراء من يواقيت الجنة غلظها خمسمائة عام فاستقرت قوائم الثور على تلك الياقوتة الخضراء ثم خلق الله تعالى صخرة كغلظ السماء والأرض وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه ﴿ انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة ﴾ الآية واسم الصخرة صيخور وروى أن في هذه الصخرة تسعة آلاف ثقب في كل ثقب منها بحر لا يعلم عظمه الا الله فاستقرت تلك الياقوتة الخضراء عليها ولما لم يكن للصخرة قرار أهبط الله تعالى اليها حوتا

عظيما من البحر السابع الذى تحت العرش ويقال اسم الحوت بهموت وقيل بلهوت فاستقرت
تلك الصخرة على ظهر الحوت وقيل لايقدر أحد أن ينظر الى ذلك الحوت من بريق عينيه
ولو وضعت بحار الدنيا كلها فى احدى منخريه لكانت كالخردلة فى أرض فلاة فاستقر الحوت
على الماء وصار واقفا مكانه لايتحرك فقال اللهم لك الحمد بك قويت وبحولك استطعت ولولا
ذلك لما كان لى قوة على حمل ما استحملتنى اياه فائذن لى يارب بالسجود شكرا لك على ذلك
فأذن الله تعالى له بأن يسجد فأدخل رأسه فى الماء حتى غاب ثم أخرجه من الماء فهو يسجد
فى كل يوم الى يوم القيامة ثم جعل الله تعالى تحت الماء الهواء وتحت الهواء الظلمة ومن هناك
ينقطع علم الخلائق ويروى فى بعض الاخبار أن الله تعالى وكل بذلك الحوت ملائكة يأتونه
بغذائه فى كل يوم على قدر شبعه فيأتونه من البحر المسجور بألف حوت كل حوت طوله
مسيرة يوم وليلة (أما) الثور فوكل الله تعالى ملائكة بغذائه فى كل يوم بألف شجرة
من بساتين القدرة طول كل شجرة مسيرة يوم وليلة فسبحان القادر على كل شئ (ويروى)
فى بعض الأخبار أن ابليس اللعين لازال يغوص الى الأرض السابعة حتى وصل الى الحوت
المسمى بهموت فتقدم اليه وقال له يابهموت ان الثور يقول لك انه هو حامل الصخرة التى عليها
الارضون وانك لاحمل لك مع حمله ولو كلفت أنت بحمل ذلك لم تطق وأنت الذى حملته وحملتها
ولو كلفت الثور بحمل ذلك لم يطق فأعجب الحوت فى نفسه وبقوته فظن ابليس اللعين أنه قد
أغوى الحوت وأنه سيفسد ماعليه فاضطرب الحوت من تحت قوائم الثور فسلط الله تعالى على
الحوت دابة لطيفة قدر فراشة واسمها الآمة فأوقفها بين عينى الحوت فصارت تنقره على دماغه
حتى وصلت الى عظم دماغه فذل ووقف مكانه ولم يتحرك واشتغل بما ناله من الالم من تلك الدابة ثم
ان ابليس اللعين مضى الى الثور وأغواه كما أغوى الحوت فسلط الله على الثور دابة لطيفة
وأجلسها عند منخره فذل ووقف كما وقف الحوت ولم يتم لابليس اللعين مادبره من الحيلة
للفساد أورد ذلك الثعلبى (قال) ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال خلق الله الأرض يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد وخلق الاشجار يوم الاثنين
وخلق الكروم يوم الثلاثاء وخلق الظلمة والنور يوم الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس
وخلق آدم عليه السلام يوم الجمعة وقد اختلف جماعة من العلماء فى اليوم الذى ابتدأ الله تعالى
فيه المخلوقات وهو على ثلاثة أقوال فقال ابن اسحق هو يوم السبت وقال كعب الاحبار هو
يوم الاحد . قال أهل الانجيل هو يوم الاثنين وقال النبى صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى فى
يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة الى ثلاث سا[illegible] ن يوم الجمعة وخلق

آدم عليه السلام فى آخر يوم الجمعة وأهبط من الجنة عند غروب الشمس من يوم الجمعة * وقال وهب بن منبه انما سمى يوم الجمعة لان طينة آدم عليه السلام جمعت فيه فلذلك سمى الجمعة (قال) حذيفة اليمانى روى فى بعض الأخبار أن الدنيا مسيرة خمسمائة عام منها ثلثمائة عام بحار وجبال ومائة عام عمار ومائة عام خراب وقال بعض علماء الهيئة ان الجهات ست الشرق وهو حيث تطلع الشمس أى تشرق والقمر والنجوم والغرب وهو حيث يغربن فيه والشمال وهو حيث مدار الجدى وقد أفرط هناك البرد والجنوب وهو حيث مدار سهيل وهو مايلى كرة السماء والتحت وهو مايلى كرة الأرض والفوق وهو مايلى الافلاك قال بعض الحكماء فجهة الشمال واقعة تحت مدار الجدى وقد أفرط هناك البرد فيصير ستة أشهر ليلا دائما مستمرا وهذه مدة الشتاء لا يرى هناك النهار وتجمد فى هذه الجهة المياه لقوة البرد فلا ينبت فيها شئ من النبات ولا يقيم فيها حيوان وأما جهة الجنوب فحيث مدار سهيل فيصير هناك ستة أشهر نهارا دائما مستمرا بغير ليل وهذه مدة الصيف فيفرط هناك الحر والسموم فلا ينبت فيها نبات ولا يقيم فيها حيوان لشدة الحر هناك فلا تسكن تلك الجهات

﴿ ذكر أخبار أجزاء الأرض ﴾

قال الحكيم هرمس الدنيا سبعة أجزاء جزء منها للترك وجزء منها للعرب وجزء منها للفرس وجزء منها للسودان وثلاثة أجزاء منها ليأجوج ومأجوج *وقال ان الاقاليم أيضا سبعة وهى اقليم الصين واقليم الحجاز واقليم الهند واقليم الروم وأقليم يأجوج ومأجوج واقليم العرب وقال أطراف الدنيا أربعة والنواحى خمسة وأربعون والمدائن والحصون أحد وعشرون ألفا وستمائة مدينة ففى الاقليم الأول ثلاثة آلاف ومائة مدينة وفى الاقليم الثانى ألف وسبعمائة وثلاث عشرة مدينة وفى الاقليم الثالث ثلاثة آلاف وتسعمائة وتسعة وسبعون مدينة وفى الاقليم الرابع ألف وتسعمائة وأربعون مدينة وفى الاقليم الخامس ثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون مدينة وفى الاقليم السادس ثلاثة آلاف وخمسمائة مدينة وفى الاقليم السابع ثلاثة آلاف وثمانمائة مدينة ولم يذكر هرمس غير المذكور هنا وذلك غير القرى والرساتيق وذكر أن مساحة الدنيا خمسة آلاف ألف فرسخ وخمسمائة ألف فرسخ وثلاثة وستون ألف فرسخ والفرسخ ثلاثة أميال والميل أربعة آلاف ذراع بالذراع القديم وهو ستة وثلاثون أصبعا بخلاف الذراع الهاشمى * ويقال ان العالم السفلى مقسوم أيضا على سبعة أجزاء وفيه أيضا أقاليم كما فى أعلى الأرض انتهى ذلك

﴿ ذكر خلق البحار ﴾

قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى ان الذى عرف من البحار فى الدنيا تسعة وعشرون

بحرا غير ماظهر من الانهار والعيون ﴿فائدة لطيفة فى الفرق بين البحر والنهر﴾ قال الجوهرى فى الفرق انما سمى البحر بحرا لاستبحاره وانبساطه وسعته لانه شق فى الارض شقا وفى كلام العرب الشق هو البحر فكانوا يقولون للناقة اذا شقوا أذنها بحيرة وقال الزجاج وكل نهر ذى ماء كثير راكد بحر لكن اذا جرى يقال له نهر كدجلة والفرات والنيل وماأشبه ذلك فيكون الماء اذا اتسع ولم يجر بحرا واذا جرى فهو نهر ويقال للبحر الصغير بحيرة قال ابن الجوزى ان الذى عرف من البحار فى الدنيا تسعة وعشرون بحرا ففى جزيرة الشرق منها ثمانية بحور وفى جزيرة الشمال أحد عشر بحرا وفى جزيرة الجنوب اثنان وفيهما من الجزائر المعروفة احدى وسبعون جزيرة وفى جزيرة الشرق ثمان جزائر وفى جزيرة الغرب ست عشرة جزيرة وفى جزيرة الشمال احدى وثلاثون جزيرة وفى جزيرة الجنوب ست عشرة جزيرة (وأما) البحار الكبار المشهورة فسبعة وهى المحيط أى المحيط بالدنيا ويقال ان مسافته أربعة وعشرون ألف فرسخ وجميع البحار تأخذ منه قال بعض العلماء انما سمى البحر المحيط محيطا لاحاطته بالدنيا ولذا كان الحكيم ارسطاطا ليس يسميه الاكليل لانه حول الارض بمنزلة الاكليل على الرأس وبهذا البحر من العجائب مالا يسمع بمثلها ويخرج من هذا البحر ستة بحار كبار أعظمها اثنان وهما اللذان ذكرهما الله تعالى فى القرآن فى قوله عز وجل «مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان» أحدهما يخرج من جهة الشرق والآخر من جهة الغرب فالشرقى يقال له الصينى والهندى والفارسى واليمنى والحبشى والغربى يقال له البحر الرومى * وأما ذكر عجائب البحر المحيط فقال ابن الجوزى ان فيه جزائر فيها غنم لا يحصى عددها ولحومها مرة لا تؤكل فيذبح منها أهل الجزائر ويصنعون منها الأنطاع وبهذه الجزائر شجر يطرح شيئا مثل التين ومن شأنه انه اذا أكله المسموم يبرأ من وقته وفى هذه الجزائر حيات عظيمة تبلع الجاموس وفى هذا البحر أسماك كل سمكة مسيرة ثلاثة أيام ويرى فى عينها كالبرق الخاطف وفيه سرطانات عظيمة قدر الجبل وفيه حجر يسمى البهت اذا أمسكه أحد من ذوى الحوائج ودخل على سلطان أوحاكم انعقد لسانه عنه وقضيت حاجته منه وفى هذا البحر عجائب كثيرة وهو بحر مظلم كدر المياه منتن الروائح صعب المسالك لما فيه من الدواب الكواسر وهيجان أمواجه لا يعلم له آخر ولا يقف أحد على صحة أخباره سوى ماعرف من بعض سواحله وماقرب من جزائره اه والبحر الثانى هو البحر الصينى ومخرجه من الشرق وهو كدر اللون ومخرجه من البحر المحيط (ومن عجائبه) أن به مغاوص اللؤلؤ وبه معدن المرجان فيقال انه ينبت فى قاع البحر كما تنبت الاشجار فى الارض وتتشعب منه عروق فى الماء وهى لينة مثل عروق الشجر فاذا قلعت تجف فى الهواء ويتجر بها

و يحملونها فتصير جامدة وقيل ان الغائصين عليه يعمدون الى شباك من القنب الغليظ و يثقلونها بالحجارة حتى أنها تدور بها من أصول الشجرة ثم يجذبونها حتى تنقلع فيخرجونها الى البر و يتركونها حتى تجف ثم يفصلونها قطعا كبارا وصغارا على قدر ما أرادوا (وأما) أخبار اللؤلؤ فقيل ان الذين يغوصون على اللؤلؤ يعمدون على أخشاب من شجر المقل و يدلونها بحبال من الليف فى أماكن معروفة بمواضع اللؤلؤ و يجعلون فى تلك الأخشاب حجارة سودا كبارا نحو ستين رطلا * وسبب ذلك أن فى تلك الاماكن من الحيوانات أشياء كثيرة تبتلع الغائصين فتنفر من الحجارة السود * وقيل ان الغائصين اذا رأوا شيئا من الحيوانات الكواسر ينبحون عليها كنبح الكلاب فتنفر منهم فعند ذلك يصيدون الصدف ثم ان الغائص يلتقط الصدفة و يضعها فى الوعاء الذى فى صدره فاذا أخرجها الى البر استخرجوا من بطونها اللؤلؤ فمنه صغار ومنه كبار ﴿ومن الحكايات الغريبة﴾ أن بعض التجار سافر الى مغاوص اللؤلؤ فأنفق جميع ما يملكه للغواصين ولم يطلع له شىء من اللؤلؤ فلم يبق معه شىء فساعدته التجار وأعطوه شيئا للغطاسين حتى غطسوا له مرة أخرى فلما غطسوا غابوا فى البحر ساعة ثم طلعوا له ببنت من بنات البحر لها ذوائب مثل شعر النساء وهى حسنة الصورة فأخذها ذلك التاجر ومضى بها الى منزله فقعدت عنده ثلاثة أيام لا تأكل ولا تشرب ولا تتكلم فقال لها ذلك التاجر بالاشارة تسيرين الى البحر فأشارت اليه برأسها نعم فأخذها ووضعها فى مركب ودخل بها الى المكان الذى أخرجوها منه فلما رأت الموضع الذى أخذت منه ألقت نفسها الى البحر فلما صارت الى قاع البحر سمع من ذلك المكان ضجيج عظيم فلما أراد أن يرجع بالمركب أمهل ساعة فلم يشعر الا بصدف يرمى فى المركب من البحر فلازالوا يرمون له من البحر حتى أوسقوا المركب من صدف اللؤلؤ فرجع وهو أغنى التجار (وأما) ما كان من أخبار بحر الهند وهو البحر الثالث ومخرجه من البحر المحيط أيضا فيمتد من المغرب الى المشرق و يخرج منه أربعة خلجان خليج يمتد خلف أرض الهند و يمشى من حواليها ألفا وسبعمائة ميل وخليج يمتد الى أيلة و يقال ان بهذا الخليج ألفا وثلاثمائة وسبعين جزيرة عامرة بالسكان وامتداده ثمانية آلاف ميل وقيل أكثر من ذلك وعرضه ألفان وسبعمائة ميل و به من العجائب مالا يحصى * قيل ان من بعض جزائره جزيرة سكانها مثل الوحوش ووجوههم مثل وجوه البغال وجسدهم مثل أجساد بنى آدم و به توجد الدابة التى منها العنبر الخام وقد روى فى بعض الأخبار أن دابة العنبر كانت من أعظم دواب البحر وكان طولها نحو مائة ذراع فصارت تفسد الزرع وتأكل الأشجار فساقها جبرائيل عليه السلام الى

البحر المحيط فصارت من دوابه فتطلع الى الجزائر وترعى من الاشجار والأعشاب الطيبة فتقذف من بطنها هذا العنبر الخام فيجدونه فى بعض جزائر هذا البحر وقيل انها تقذف من بطنها فى كل يوم مرة قدر خمسائة رطل ويوجد فى هذه الجزائر دابة الزباد وهى مثل الهرة والزباد من عرق ابطها ويوجد فى هذه الجزائر العود القمارى وهو من خشب أشجار تلك الجزائر وليس له هناك رائحة طيبة ويوجد فى هذه الجزائر أحجار براقة ولها لمعان يتلألأ نورا وتسمى هذه الاحجار ضحكة الباهت ومن شأن هذه الاحجار انها اذا نظر اليها انسان ضحك فى الحال واستمر يضحك الى أن يموت وفى هذه الجزائر سباع لها قرون طوال ولا يقدر أحد من الناس أن يقابلها فتثب عليه وفيها أفيال عظيمة الخلقة فنها مالونه أبيض ومنها مالونه أسود وفيها النمور والفهود وأشياء كثيرة من الوحوش الكواسر انتهى ماأردناه من ذكر البحار السبعة وذلك على سبيل الاختصار والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ذكر أخبار الانهار والبحيرات ﴾

فأما البحيرات المشهورة فهى بحيرة السودان ببلاد المغرب وبحيرة الفيوم وبحيرة ستيرة وهى بين الاسكندرية ورشيد وبحيرة دمياط وتنيس وبحيرة زعر التى ماؤها منتن وخيم منها نهر الأردن وهو نهر الشريعة وبحيرة طبرية المنسوبة الى بلد هناك وهى خراب على شاطئها الغربى وفيها حمام ماؤه حار بصنع الله تعالى (قال) الثعلبى فى قصص الأنبياء ان هذا الحمام بناه سليمان بن داود عليهما السلام وكان من عجائب الدنيا حتى قيل ان من جملة عجائب الدنيا ثلاثة منارة الاسكندرية وحمام طبرية وجامع بنى أمية وكان ماء هذا الحمام يخرج من اثنتى عشرة عينا * فكان ماء كل عين منها مخصوصا بمرض من الأمراض فاذا اغتسل منه صاحب ذلك المرض عوفى باذن الله تعالى وكان ماؤها شديد الحرارة صافى اللون ولم يزل هذا الحمام عامرا على ماذكرناه حتى خرب به بختنصر لما استولى على البلاد كما سيأتى. وبحيرة بانياس الكبيرة التى تخرج منها عدة أنهار وبحيرة البقاع بالقرب من بعلبك ودمشق وبحيرة القدس الشريف وبحيرة حمص وانطاكية وبحيرة دست أرزن بالقرب من شيراز وبحيرة خوارزم وماؤها مالح وبحيرة أرجيس وهو شرق أخلاط وماؤها مالح أيضا وهى بحيرة كبيرة دورها مسيرة أربعة أيام وهذه البحيرة يصاد منها السمك المعروف الذى يخرج منه البطارخ الذى يحمل منه الى سائر البلاد (قال) أبو يعقوب الصياد كنت أصطاد يوما فى بحيرة أرجيس فاصطدت منها سمكة فرأيت على جنبها الأيمن مكتوبا بقلم القدرة لا إله الا الله وعلى جنبها الأيسر محمد رسول الله فلما رأيت ذلك قذفتها فى الماء احتراما لما رأيته عليها من الكتابة

﴿ ذكر أخبار الانهار ﴾

المشهور منها الدجلة ونهر سيحان ونهر جيحان والفرات والنيل * فأما الدجلة فيقال ان الذى حفرها وأجرى اليها الماء من الفرات هو دانيال عليه السلام قال بعض الحكماء ان الشرب من ماء الدجلة يضعف شهوة الرجال و يزيد شهوة النساء و يقطع نسل الخيل حتى ان جماعة من العرب كانوا لا يسقون منها خيلهم وأما جريانها فانها تجرى من بلاد آمد الى ديار بكر وهى أعين من بلاد خالد ومقدار جريانها على وجه الارض ثلثمائة فرسخ وقيل أكثر من ذلك * ومن عجائب الدجلة المد والجزر وهو دائم فيها مع الريح كل يوم صيفا وشتاء * وأما الفرات فبدؤه من بلاد قاليقلا من ثغور أرض نحو أرمينية من جبال هناك تدعى أتودخس على نحو يوم من قاليقلا ومقدار جريانه على وجه الارض خمسمائة فرسخ وقيل أكثر من ذلك * وأما الآن فجريانه من شمالى الاردن من بلاد الروم من جهة الشرق ولا يزال يجرى على وجه الارض حتى يخرج الى فضاء العراق ثم يصب فى بطائح كبار فيجرى منها أنهار كثيرة معروفة فى تلك الجهات قال ابن الوردى

ان للشام فراتا * لم تصل مصر اليها
كم بمصر من وجوه * فضل النيل عليها

وأما نهر سيحان وجيحان فهما غير سيحون وجيحون قال النووى فى شرح مسلم فى قوله ﷺ سيحان وجيحان والفرات والنيل كلها من أنهار الجنة * قال كعب الاحبار ان النيل هو نهر العسل فى الجنة والفرات هو نهر الخمر فى الجنة وسيحان هو نهر الماء فى الجنة وجيحان هو نهر اللبن فى الجنة وقيل ان عناصر هذه الانهار الاربعة تجرى من تحت سدرة المنتهى وقيل من تحت صخرة بيت المقدس والله أعلم بذلك ﴿فائدة﴾ وهى أن الدابة اذا أصابها المغل يكتب على قوائمها الاربعة على كل قائمة اسم نهر وهى سيحان وجيحان والنيل والفرات فانها تبرأ من ساعتها سريعا وقد جرب ذلك وصح وأما نهر مهران بأرض الهند فقيل انه فرقة من النيل وقد استدلوا على ذلك بأن فيه التماسيح والضفادع

﴿ ذكر البحار ﴾

أما بحر الترك وهو المعروف ببحر الخزر وهو بحر كبير عرضه ثمانية عشر ألف ميل وطوله ستة آلاف ميل وقد صار فيه مائة وسبعون جزيرة منها اللاذقية و بيروت واقريطش و يمر على بلاد الغرب قاطبة منها افريقية و برقة والاسكندرية وأرض فلسطين من سواحل الشام ثم ينعطف من هناك الى انطاكية فيمر على بلاد كثيرة منها القسطنطينية وغيرها الى بلاد المغرب و ينتهى الى البحر المحيط الذى خرج منه وقال ابن عبد الحكم فى تاريخ مصر ان الذى خرق هذا الثقب وأجرى ماءه هو اسكندر ذو القرنين فسلطه على أهل تلك البلاد لما عصوه

ولم يدخلوا تحت أمره وقال بعض علماء التفسير ان هذا المكان هو مجمع البحرين الذى تلاقى فيه موسى والخضر عليهما السلام كما ذكر فى القرآن العظيم * أقول وقد كانت ملوك الافرنج تسمع بأخبار هذا الثقب قديما وانه يمكن أن ينفذ الى بحر الهند منه وكانوا يوصون أولادهم بأن لا يغفلوا عن الثقب حتى يتسع لهم الثقب فكانوا يتوارثون التوصية ويوسعون فى الثقب فصارت تدخل المراكب الكبار فى ذلك الثقب فى أوائل القرن العاشر فصارت طائفة من الافرنج يقال لهم البرتغال يدخلون من هذا الثقب فى المراكب الكبار ويصلون الى بحر الهند نحوا من ثلاثين مركبا مشحونة بالمقاتلين بأنواع السلاح والمدافع فصاروا يخرجون على التجار المسافرين فى بحر الهند ويملكون منهم عدة قرى من بلاد الهند فأرسل الملك الأشرف وزيره الغورى بتجريدة فى مراكب وصحبته الامير حسين فكسرهم العسكر المصرى وكسبوا منهم مراكب مشحونة بالمال والقماش والسلاح وغرق منهم مراكب بعدما كسروا المدافع قال وقتل ابن البرتغال فى هذه الواقعة ثم بعد ذلك كرت الافرنج بعدة يسيرة على مراكب المسلمين على حين غفلة وكانت متفرقة فكسرتهم الافرنج ونهبت جميع ما كان مع المسلمين * وأما بحر طبرستان وهو البحر السادس وطوله من المشرق الى المغرب ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل وامتداده من البحر المحيط وفيه عشرون جزيرة منها ما هو مسكون ومنها ما هو خراب ومن عجائب هذا البحر أن فيه جزيرة فيها شجرة تثمر مثل اللوز وله قشر فاذا كسر خرجت منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بقلم القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله وهى كتابة واضحة جيدة وبها شجرة لها أوراق كبار على قدر ورق القلقاس مكتوب على كل ورقة بخط أخضر أشد من خضرة الورق لا اله الا الله محمد رسول الله * وقيل ان عبدة الأوثان من قديم الزمان قطعوا هذه الشجرة فنبتت من ليلتها فعمدوا الى رصاص فذوبوه وقلبوه فى جدر ما قطع من تلك الشجرة فلم تنبت * وقيل أن فى بعض جزائره شجرة تطرح نوعا مثل التفاح نصفها حلو فى غاية الحلاوة ونصفها حامض فى غاية الحموضة وذلك التفاح أبيض اللون مكتوب عليه على هيئة الجلالة بخط أحمر جيد الكتابة وفى بعض جزائره وحش يشبه خلقة بنى آدم وهو ملفوف القامة وظهره عظمة واحدة وأهل تلك الجزيرة يرمون عليه بالنشاب ليصيدوه فلا يؤثر فيه النشاب ويولى عنهم ويشتمهم بالفارسية واذا جرى فلا تلحقه الخيل الغائرة وفى بعض جزائره أناس لهم ثلاثة أعين فالثالثة بين حواجبهم اهـ وأما البحر الزفتى فهو البحر السابع ولونه أسود ومادته من البحر المحيط وهو كريه الرائحة وخيم

الهواء و يقال ان النيل ينحدر من أعلى جبل القمر و يمر فى هذا البحر فيصير فوقه كالخيط الأبيض على الثوب الاسود «فتبارك الله أحسن الخالقين» سبحان الذى أتقن كل شىء وهذا البحر قليل المسالك لصعوبته لايرى فيه شمس ولاقمرداثما فاذا اطلعت الشمس فى الدنيا يظهر فيه بعض شفق أحمر من ضوء الشمس و به جزائر يطلع فيها قصب فارسى يدخل فى جوف القصبة الجمل بحمله وفى هذا البحر أسماك كبار تبلع المراكب لعظم خلقتها * وقد روى فى بعض الاخبار عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال ان تحت العرش بحرا فيه أسماك لها أجنحة تطير بها الى الارض فتحرق الشمس أجنحتها فتقع على الغمام فيلقيها الغمام الى هذا البحر فتتربى فيه وقال بعض العلماء لما علم الله تعالى أن الوحوش الكواسر ضررها أكثر من نفعها قلل من نسلها فكانت اللبؤة لاتحمل الافى كل سبع سنين مرة واحدة واذا حملت أقامت عشر سنين حتى تضع ونقل بعض الحكماء أن الفيل اذا اغتلم وطلب النكاح لايعلو الفيلة بل يحك جنبه بجنبها حتى يجد اللذة فيمنى ثم يرخى ذكره فينزل المنى فى زلومته فيضعه فى فرج الفيلة فتارة تحمل وتارة لاتحمل ومن هناك قل نسل الأفيال والله أعلم بحقيقة الحال و يوجد فى هذه الجزائر شجر حصى اللبان وشجر الآبنوس وفيها أحجار اذا نقعت فى الزيت تضىء مثل الفتيلة ولايطفأ ذلك * وأما البحر الغربى وهو البحر الرابع فامتداده من البحر المحيط أيضا وهذا البحر لايعرف منه الاماظهر من جهة الغرب و ينتهى الى بلاد الحبشة والى خلف بلاد رومية وهو صعب المسلك لايعرف له منتهى وفى بعض جزائره أشخاص متوحشة تسمى الغيلان وهى تقرب من شكل بنى آدم ولا تظهر الابالليل وتهلك كل من تراه واذا جرى الواحد منهم فلاتلحقه الخيل الغائرة ولايؤثر فيه وقع السهام و يتناثر من فمه مثل شرار النار واذا طلع عليه النهار يختفى فى مغارة هناك الى أن يدخل الليل وفى بعض جزائره يقطين عظيم الخلقة قيل انه يعمل من نصف اليقطينة مركب صغير يعدون فيها الى البر وفى هذه الجزيرة حيات عظيمة الخلقة لها ذوائب شعر وهى تسبح فى البحر وتسد ما بين البرين فاذا أشرقت الشمس وثبت عليها الكى تبتلعها وكذلك اذا غربت وفى هذا البحر أمم على صور مختلفة ماعلى شكل بنى آدم من رجال ونساء فمنهم من رأسه أقرع وله ذقن بيضاء يسمونه شيخ البحر وفيه مثل شكل الكلب والخنزير والقط والفرس والحمار والبقر والغنم وغير ذلك كما فى البر من الحيوانات وتزيد على البر من الاجناس. قال بعض الحكماء ان حيوان البحر اذا أقام فى البر هلك وحيوان البر اذا أقام فى البحر هلك * وسبب ذلك أن الله تعالى خلق حيوان البحر لارئة له لان بها يقع النفس فلا اقامة له فى البر * قال كعب الاحبار

خلق الله ثمانين ألف أمة وجعل نصفها فى البحر ونصفها فى البر وهم على صور مختلفة وفى هذا البحر جزائر ينبت فيها قضبان لها لون كلون الذهب فاذا طلعت عليه الشمس صار له لمعان فلا يستطيع أحد أن ينظر اليه . وأما البحر الرومى وهو البحر الخامس ومادته من البحر المحيط أيضا ، ويمتد من أعلى افريقية والشام ويتصل بطرسوس وهو خمسة آلاف ميل . وعرضه سبعمائة وستون ميلا وفيه جزائر عامرة يسكنها أمم من بنى الأصفر وغيرهم وفيه كثير من العجائب . قيل ان فى بعض جزائره تطلع دابة فى كل سنة من البحر تشبه البقرة وفيها روح تقيم ساعة فى البر ثم تموت فتصير قطعة زفت فيبيعها أهل تلك الجزيرة للافرنج فيطلون بها تلك المراكب * ونقل الباشورى فى بعض مصنفاته أن ملكا من ملوك اليونان قصد أن يحفر خليجا من البحر الغربى الى البحر الشرقى ويرفع البرزخ من بينهما . وكانت جزيرة الاندلس وبلاد البرابرة ينبت فيها شجر الجيز وكانت تلك الأرض وخمة يسكنها أقوام من اليونان وكان بتلك الأرض الطائر المعروف بالفقعس وهو طائر حسن الصوت اذا سمعه انسان غلب عليه شدة الطرب فيموت السامع من وقته : وكان هذا الطائر اذا حان موته حسن صوته قبل أن يموت بسبعة أيام فلا يمكن أحدا أن يسمع صوته الا يموت * يقال ان عامل الموسيقا كان من الفلاسفة فأراد أن يسمع صوت الفقعس وهو فى شدة صياحه فخشى على نفسه أن يموت من الطرب فسد أذنيه سدا محكما ثم قرب اليه وجعل يفتح أذنيه شيئا فشيئا ثم استكمل فتح الأذنين فى ثلاثة أيام الى أن وصل الى سماعه رتبة بعد رتبة . وقيل ان ذلك الطائر هو وأفراخه غرقوا لما هجم الماء على تلك الارض فلم يبق له وجود بعد ذلك . ويقال ان الملك الذى أجرى ماء هذا الخليج حفر زقاقا طوله ثمانية عشر ميلا فى عرض اثنى عشر ميلا وبنى بجانبه عضادتين وعقد عليهما قنطرة فلما فتح البرزخ من البحر الغربى فتح منه قدرا يسيرا من ثقب فى جبل كان حاجزا بين تلك الأرض والبحر فلما دخل الماء فى ذلك الثقب كان ماء البحر الغربى أعلى من تلك الارض فلما ساح الماء غطى تلك العضادتين والقنطرة وساق قدامه بلادا كثيرة . وأما نهر العرجاء ويسمى أيضا نهر أبى بطرس وهو شمال مدينة الرملة ومجراه نحو اثنى عشر ميلا ومنبعه من تحت جبل الخليل عليه السلام وينتهى حتى يصب فى البحر الرومى . وأما نهر الاردن وهو نهر الغور المسمى بالشريعة وينتهى الى بحيرة طبرية وقد عد الدجلة أيضا من جملة الأنهار وأنها تجرى من بلاد الروم الى أعلى آمد وحصن كيفا والموصل وتكريت وبغداد وواسط والبصرة وتنتهى الى بحر فارس . وأما نهر حماة وحمص المسمى بالعاصى فانه يجرى من جهة الجنوب الى الشمال وهو بخلاف غيره من الأنهار فانه لا تسقى منه الارض الا بالنواعير ومنه

خرقة تمضى الى بعلبك ويتنهى فى مصبه الى البحر الرومى وقد قالت الشعراء فيه * فمن ذلك ماقيل فيه

ناعورة فى النهر أبصرتها * تشوق الدانى والقاصى
قد نبهتنا للهدى والتقى * لأنها تبكى على العاصى
أضحت حماة للورى جنة * يدخلها الدانى مع القاصى
ولم يكن يسمع من قبل ذا * بجنة فى وسطها عاصى

قال بعض الحكماء وكان من تمام حكم الله تعالى أن جعل الانهار الحلوة جارية والبحار المالحة راكدة لأن ركودها نعمة ودفع مضرة وأيضا البحار المالحة يصب فيها جميع الأنهار وماء السيول والعيون وهى لاتزيد بقدرة الله تعالى فلو زادت لأغرقت الأرض وهذا من رحمة الله تعالى كما أخبر فى القرآن العظيم « مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان »

﴿ ذكر أخبار النيل ﴾

قال الواقدى ان معاوية بن أبى سفيان قال يوما لكعب الأحبار هل تجد للنيل ذكرا فى كتاب الله تعالى يعنى فى التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال والذى فرق البحر لموسى انى لأجد فى التوراة أن الله يوحى اليه عند ابتدائه ويأمره أن يجرى حيثما شاء الله تعالى ثم يوحى له عند انتهائه ويأمره أن يرجع راشدا حيث شاء الله تعالى يعنى أن الله تعالى يوحى اليه عند زيادته ونقصانه

﴿ فصل فى بيان المكان الذى يخرج منه النيل وفى المكان الذى يذهب اليه ﴾

قال المسعودى فى مروج الذهب . نقل صاحب الأقاليم السبعة أن أصل النيل من جبل القمر من عشرة أعين فتجتمع كل خمسة أعين فى بطيحة هناك ثم يجريان . وذكر أن صفة جبل القمر أنه منقوش وعلى رأسه شراريف كبار وذكر أن جبل القمر خلف خط الاستواء الذى يستوى فيه الليل والنهار دائما وأن القمر يطلع عليه . وقال المسعودى ان النيل يجرى على وجه الأرض ألف فرسخ فى عمار وخراب حتى يأتى الى بلاد السودان قال صعيد مصر والى هذا الموضع تصعد المراكب من الفسطاط وعلى أميال من أسوان جبال وأحجار يجرى النيل فى وسطها فلا سبيل الى جريان السفن فيه وهذا الموضع فارق بين مواضع سفن الحبشة وسفن المسلمين ويعرف هذا الموضع بالجنادل والصخور ثم ان النيل ينتهى الى بحر دمياط ورشيد والاسكندرية فيصب فى البحر المالح من هناك انتهى كلام المسعودى * وقال الكندى ان النيل يخرج من قبة من الزبرجد ويمر على أرض ينبت فيها قضبان الذهب فيفترق من هناك نهران . أحدهما يجرى الى أرض الهند ويسمى نهر مهران والآخر يجرى نحو أرض

الزنج وقال هرمس يخرج من هـذه القبة أربعة أنهار هى سيحان وجيحان والفرات والنيل (ومما يحكى) أن ملك نقراوش الجبار ابن مصرايم توجه الى منبع النيـل لحفره وأصلح مجراه وكان يسيح فى الارض و يتفرق من غير حاجز فهندسه وساق منه عدة أنهار الى أماكن كثيرة لينتفع بها الناس وعمل هناك تماثيل من نحاس عدتها خمسة وثمانون تمثالا جامعة للماء حتى لا يخرج ماء النيل عنها وجعل لها منافذ مستديرة يخرج الماء من حلوق تلك التماثيل وجعل لها قياسا معلوما بمقاطع أذرع معلومة فتخرج تلك الأنهار ثم نصب فى بطيحتين فيخرج منهما المياه الى بطيحة كبيرة جامعة للمياه وجعل للتماثيل مقادير بين المياه ليكون فيها الصلاح لارض مصر دون الفساد وقدر ذلك على ستة عشر ذراعا وكان الذراع يومئذ اثنين وثلاثين اصبعا ثم جعل فضلات تلك المياه تخرج الى مسارب عن يمين التماثيل وعن شمالها ثم تصب الى رمال وغياض لا ينتفع بها من خلف خط الاستواء ولولا ذلك لأغرق ماء النيل ما كان يمر عليه من البلدان قاطبة وقال لولا أن ماء النيل يمر فى البحر المالح و يكتسب من ملحه لشرب من مائه ماهو أحلى من العسـل وأبيض من اللبن (وقال) بعض الحكماء لولا الليمون بمصر لوخم أهلها من حلاوة النيل ولماتوا ولـكن حموضـة ماء الليمون تمنع الصفراء * وقال الكندى ان النيل يمر على ستين مملكة من ممالك الحبشة والزنج (وقال) ابن زولاق فى تاريخه ان بعض الملوك أمر أقواما بالسير الى حيث يجرى النيل فساروا حتى انتهوا الى جبل عال والماء ينزل من أعلاه وله دوى وهدير حتى لا يكاد أحد يسمع صوت من فى جانبه من أصحابه من دوى الماء ثم ان أحد القوم تسبب فى الصعود الى أعلى الجبل لينظر ماوراء ذلك فلما وصل الى أعلاه ضحك وصفق بيديه ثم مضى فى الجبل ولم يعد ولم يعلم أصحابه ماشأنه ثم ان رجلا آخر منهم صعد بعده ليرى ماوراء ذلك الجبل وما كان من أمر صاحبه ففعل مثل صاحبه وصفق ومضى فى الجبل ولم يعد ولم يعلم أصحابه ماشأنه فطلع ثالث وقال لأصحابه اربطونى من وسطى بحبل فاذا أنا وصلت الى ماوصل اليه أصحابى وفعلت كما فعلوا فاجذبونى بالحبل فلا أبرح من مكانى ففعلوا ذلك فلما صار فى أعلى الجبل صفق وأراد أن يمضى فى الجبل فجذبوا الحبل اليهم ونزل عندهم فلما وصـل خرس لسانه ولم يرد جوابا وأقام ساعة ومات فرجع القوم ولم يعلموا غير ذلك من أخبار النيل * قال الامام الليث بن سعد رضى الله عنه بلغنى أن رجلا يقال له حامد بن أبى سالم وهو من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام خرج هاربا من بعض الملوك الجبابرة فدخل الى مصر فلما رأى نيلها تعجب منه وحلف على نفسه أن لا يفارق ساحـل النيـل حتى يبلغ منتهاه ومن أين يخرج أو يموت قبـل ذلك.

فسار على ساحل النيل نحوا من ثلاثين سنة حتى وصل الى جبل القمر فاذا هو برجل قائم يصلى تحت شجرة تفاح فلما رآه سلم عليه واستأنس به فقال ذلك الرجل الذى تحت الشجرة من أنت أيها الرجل فقال له حامد أنا من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم قال له حامد من أنت فقال أنا أبو العباس الخضر فما يجيئك الى هنا قال فى طلب معرفة النيل فقال له الخضر عليه السلام ستمر عليك حية ترى آخرها ولا ترى أولها فلا يهولنك أمرها وهى دابة معادية للشمس اذا طلعت الشمس هوت اليها لتلتقمها فاركب على ظهرها فانها تذهب بك الى جانب البحر الزفتى فسر فى بره فانك تقع فى أرض من ذهب وبها جبال وأشجار فلما مضى حامد فعل ما قاله الخضر فلما وصل الى أرض الذهب نظر الى قبة من الذهب ولها أربعة أبواب فنظر الى النيل وهو ينحدر من جوف تلك القبة من كل باب نهر يجرى الى جهة من الارض وهى سيحان وجيحان والفرات والنيل فأراد حامد أن يمضى الى ماوراء تلك القبة فأتاه ملك وقال له قف يا حامد مكانك فقد انتهى اليك علم النيل وماوراء ذلك الا الجنة فقال حامد أريد أن أنظر الى الجنة فقال له الملك انك لن تستطيع دخولها اليوم فجلس حامد على شاطئ النيل وشرب منه فاذا هو أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج وقيل فى المعنى

ونيل مصر من الجنان * وماؤه يحيى الغصون
فبالعيون ان قايسوه * قل ماترى مثله العيون

ويقال ان حامدا رأى الفلك الذى يدور بالشمس والقمر والنجوم وهو شبه الرحا فقيل انه ركب الفلك ودار فى الدنيا كلها وقيل انه لم يركبه وقيل ان ذلك الملك أتى حامدا بعنقود من العنب من الجنة وهو على ثلاثة ألوان أخضر كالزبرجد وأحمر كالياقوت وأبيض كاللؤلؤ وقال له هذا من حصرم الجنة وليس من طيب عنبها ثم ان حامدا رجع من هناك الى شاطئ البحر والزفتى ركب على تلك الحية لما هوت الى الشمس عند الغروب لتلتقمها فقذفت به الى جانب البحر الزفتى الى المكان الذى ذهب منه فأتى الى الخضر عليه السلام وسلم عليه وحكى له ماجرى له وقيل ان حامدا لم يأكل من أكل الدنيا الا انه أكل من ذلك العنب ومات بعد ذلك بمدة يسيرة

﴿فصل فى بيان زيادة النيل ونقصانه﴾ قال المسعودى ان زيادة النيل ونقصانه بالسيول وكثرة الامطار * وقالت الروم زيادته من عيون فى شاطئه تفور من أوله الى آخره وهذا هو السبب فى تكديره عند الزيادة لان العيون اذا نبعت من الارض اختلطت بالطين عند نبعها فتكدره وقال الكندى انه فى أيام الزيادة يستمر فى بلاد الحبشة المطر ليلا ونهارا لا ينقطع فى هذه المدة

ويتنفس النيل بالزيادة قال المهدوى فى تفسيره عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما ان الله تعالى سخر للنيل كل نهر على وجه الارض من المشرق الى المغرب فاذا أراد الله تعالى أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر على وجه الارض أن يمده بالمياه فاذا انتهى جريانه الى حيث شاء الله تعالى يأمر كل نهر أن يرجع الى عنصره ومصداق هذا الخبر أن النيل مخالف لكل نهر على وجه الارض لانه يزيد اذا نقصت الانهار كلها واذا زادت نقص هو فصح أنه يمتد بمياهها والله أعلم * وقال بعض الحكماء ان النيل اذا زاد يصب فى البحر المالح فيجتمع بخاره ويرتفع فى الجو فتحمله الريح الى الغمام فيذهب به الى حيث شاء الله فينزل حيث يريد الله تعالى والى هذا أشار الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى «والسماء ذات الرجع» والمراد بالسماء الغمام والرجع المطر لان ماء المطر من البحر ثم يرجع اليه بعد أخذه منه ثم يعود به وفى قوله تعالى «وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء» قال البغوى اللواقح من الرياح التى تحمل الندى ثم تمجه فى السحاب فاذا اجتمع صار مطرا فان السحاب تلقح كما تلقح البقر باللبن . وقال المسعودى ليس فى الدنيا نهر يزيد بترتيب وينقص بترتيب غير النيل وفى ذلك يقول

كأن النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى عند حاجتهم اليه * ويمضى حين يستغنون عنه

وقال أيضا

انظر الى النيل السعيد وقد أتى * فى عسكر الموج المديد معبسا
حصر البلاد فسلمته أرضها * فكسى ثراها حين ولى سندسا

قال المسعودى ومن عادة النيل أنه اذا كان عند ابتداء زيادته يخضر ماؤه فيقول أهل مصر توحم النيل ويرون أن الشرب منه مضر وسبب ذلك أن البطيحات المتقدم ذكرها اذا تناقص النيل عن الزيادة ينقطع عنه الامداد من المياه فيتغير ماؤه من لونه ويخضر فاذا زاد النيل ساق تلك المياه القديمة التى هى فى أعالى النيل التى كانت راكدة فيقول العوام قد توحم البحر . وقيل فى المعنى

عجب لنيل ديار مصر لانه * عجب اذا فكرت فيه يعظم
يطأ الاراضى فهى تلقح دائما * من مائه وهو الذى يتوحم

﴿ومن عجائب النيل﴾ أن فيه فرس البحر قال عبد الله بن أحمد الاسرائيلى ان فرس البحر فى غلظ الجاموس قصيرة القوائم ولها أخفاف وهى فى ألوان الخيل ولها معرفة وأذنان صغيرتان كأذنى الخيل ولها ذيل مثل ذيل الجاموس ولها صهيل كالخيل ولها أنياب كأنياب السباع ولها حافر مشقوق كحافر البقر واذا ظفرت بالتمساح تأكله واذا طلعت الى البر يحصل منها الضرر الشامل لاهل النواحى فترعى الزروع فاذا حصل منها ضرر ولازمت تلك الجهات يطرح لها أهل

القرى شيئا من الترمس فى الموضع الذى تطلع منه فتأكله وتعود الى الماء فاذا اشرت بتر باذلك الترمس فى جوفها فتنتفخ فتموت وتعلو على وجه الماء وقيل ان المكان الذى تسكن فيه لا يقيم به التمساح وأكثر ماترى فرس البحر فى دنقلة وأسوان من جهات الصعيد (قال) الكندى ان النيل أشرف أنهار الارض فانه يسقى عدة أقاليم من ديار مصر وماؤه أفضل المياه وبذلك يشهد جماعة من الحكماء منهم ابن سينا وابن نفيس وذكروا أن ماءه يهضم كل المياه الرديئة ويقوى المعدة لانه يمر على أرض الذهب وقال بعضهم الشرب من ماء النيل ينسى الغريب الوطن وأعظم من هذا كله ماجاءت به أخبار الشريعة ان منبعه من الجنة من تحت سدرة المنتهى وقد ورد بذلك أخبار نبوية قال الشيخ زين الدين ابن الوردى

ديار مصر هى الدنيا وساكنها * هم الانام فقابلها بتفضيل

يامن يباهى ببغداد ودجلتها * مصر مقدمة والشرح للنيل

انتهى ماأوردناه من ذكر الانهار وذلك على سبيل الاختصار

﴿ ذكر أخبار الجبال ﴾

قال الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ان الذى عرف من الجبال فى سائر أقاليم الدنيا مائة وثمانية وتسعون جبلا فالمشهور منها ماسنذكره دون غيره من الجبال (أخرج) ابن أبى الدنيا فى كتاب الورع ان أول جبل وضع على وجه الارض جبل أبى قبيس الذى بمكة وقال الواقدى ان جبل قاف أبو الجبال كلها وقد جعل الله تعالى لكل جبل من جبال الدنيا عروقا متصلة به * روى فى بعض الاخبار أن الله تعالى وكل بجبل قاف ملكا عظيم الخلقة يقال له قاف فاذا أراد الله تعالى زلزلة فى الارض أو خسف ناحية أمر ذلك الملك الموكل بجبل قاف أن يحرك عرقا من عروقه فاذا حركه تزلزلت تلك الارض أو خسف بها * وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان جبل قاف محيط بالدنيا وهو جبل عظيم لا يعلم قدره الا الله تعالى وقد أقسم به فى القرآن العظيم فقال عز من قائل ﴿ق والقرآن المجيد﴾ قال كعب الاحبار رضى الله عنه ان خلف جبل قاف سبعين ألف أرض من فضة ومثلها من حديد ومثلها من مسك وهى مشرقة بالنور وسكانها ملائكة ولا يرى فيها قمر ولا شمس ولا حر ولا برد طول كل أرض عشرة آلاف سنة وخلف ذلك بحار من ظلمة وخلف ذلك حجاب من ريح وخلف ذلك حية عظيمة محيطة بجميع الدنيا تسبح الله تعالى الى يوم القيامة * وروى فى بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خلق الله تعالى أرضا بيضاء مثل الفضة وهى قدر الدنيا ثلاثين مرة بها أمم كثيرة لا يعصون الله طرفة عين قالت الصحابة يارسول الله أمن ولد آدم هم قال لا يعلمهم غير الله ليس لهم علم بآدم قالوا يارسول الله فأين ابليس

منهم فقال ولا يعلمون بابليس ثم تلا قوله تعالى « ويخلق مالا تعلمون » قال وهب بن منبه ان بالقرب من جبل قاف أرضا رجراجية لا تستقر عليها الاقدام و بها صنم من نحاس وهو ماد يده الى ورائه كأنه يقول ليس ورائى مسلك ويقال ان ذا القرنين وصل الى تلك الأرض فى سبعين ألفا من عسكره فماتوا جميعا * وأما جبل الجودى الذى رست عليه سفينة نوح عليه السلام فانه من جبال الموصل وقد روى فى بعض الاخبار ان الله تعالى أوحى الى الجبال أنى أرسو السفينة على جبل منكن فتشامخت الجبال كلها الا جبل الجودى فانه تواضع وخر ساجد الله تعالى فأرسى الله السفينة عليه ويقال ان حجارة الكعبة نقلت من جبل الجودى حتى يصير ثقله فى ميزان من يحج * وأما جبل الراهون وهو الذى أهبط عليه آدم عليه السلام لما أخرج من الجنة ويروى أن فى هذا الجبل أثر أقدام آدم وهى مغموسة فى الحجر وطولها نحو عشرة أذرع ويرى على هذا الجبل نور ساطع يشبه البرق لا يزال ليلا ونهارا وهو محيط بأرض الهند مشرف على وادى سرنديب وان أهل هذه الناحية أقوام يقال لهم البرهت يقرون بالله تعالى ويجحدون الأنبياء وهم عراة الاجسام ولهم شعور تغطى عوراتهم وطعامهم من أشجار تلك الناحية وشرابهم من عيون هناك * وبهذا الجبل دابة تسمى الكركند وهى مشهورة به وبهذا الجبل معدن الياقوت الاحمر والاصفر والازرق وبه حجر الماس وحجر السنبادج وغير ذلك من المعادن الفاخرة وبتلك الأرض أنواع الطيب كالسنبل والقرنفل وغير ذلك من العطر الطيب * ويقال ان الياقوت حصى ذلك الجبل وينحدر منه بالسيول وفيه تعشش النسور فاذا لم ينحدر منه شئ بالسيول يذبح أهل تلك النواحى شيئا من الحيوانات ويسلخون جلده ثم يقطعون لحمه قطعا كبارا ويتركونها تحت ذيل الجبل فتأتى اليها النسور فترفع ذلك اللحم وتنزل به على الجبل عند أوكارها فاذا وضعته على الأرض تعلق به حصى الياقوت ثم تأتى اليه نسور أخرى فتخطفه وتطير به الى أرض أخرى فتضعه فيلتقط حصى ثم تخطفه نسور أخرى فربما هى طائرة به يقع منه حصى الى أسفل الجبل فيلتقط الحصى المراقبون له وهذا الجبل شاهق فى الهواء صعب المسالك جدا وبأرضه حيات عظيمة تبتلع الجمل والفرس والآدمى فاذا ثقل فى بطنها عمدت الى أصل شجرة والتوت عليها فتقذف مافى باطنها وقال ارسطاطاليس ان فى بحر الهند جبلا اذا قربت السفن من هذا الجبل تناثرت مسامير الحديد التى فيها جميعا وتأتى فتلصق بهذا الجبل وهذا من سر حجارة المغناطيس فان الحديد يجذبه حجر المغناطيس جذبا قويا (وأما جبل القمر) فقد تقدم ذكره فى أخبار النيل (وأما جبل الفتح) فببلاد التتر يسكنه أمم من قبائل التتر نحو

سبعين أمة لكل أمة لسان وهو جبل عال وفيه مغاور وشعاب وأودية ومفاوز انتهى ذلك
* ومن العجائب أن ببلاد سمرقند جبلا فيه أعجوبة وهى مغارة يدخلها الناس ويمشون تحت الأرض مقدار ساعة فيجدون الفضاء وفى ذلك المكان بحيرة عذبة الماء وحول تلك البحيرة أناس قاطنون وفى ذلك المكان مسجد وكنيسة فاذا كان الداخل مسلما أتوا به الى المسجد وان كان نصرانيا أتوا به الى الكنيسة وفى ذلك المكان مغارة فيها جماعة موتى قد صاروا جلودا على عظام وهم على هيئتهم لم يتغير من محاسنهم شىء وعليهم أقبية من القطن وكفوفهم مفتوحة كأنهم يصافحون بها من أتى اليهم وعلى رؤسهم عمائم وهم قيام وظهورهم الى حائط المغارة فمنهم جماعة على وجوههم أثر ضرب بالسيوف وفى أجسادهم أثر الطعن بالرماح وفيهم الطويل والقصير والابيض والاسمر وهناك تابوت فيه امرأة وعلى صدرها صبى صغير وحلمة ثديها فى فيه وهناك سرير وعليه اثناعشر رجلا وهم نيام على ظهورهم وبينهم صبى مخضبة بالحناء يداه ورجلاه ولم يثبت لهؤلاء القوم خبر ولم يعلموا من أى طائفة هم فمن الناس من يقول انهم من شهداء المسلمين قتلوا فى زمن عيسى ابن مريم عليه السلام ومنهم من يقول انهم قتلوا فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذكر أهل تلك الناحية أن فى كل سنة يكسونهم الاثواب من القطن ويحلقون رؤسهم ويقلمون أظفارهم وهم عظام عليها جلود ولا أرواح فيها * وأما جبل كورة رسم من أعمال الشرق ففيه أعجوبتان وهما أن فيه غارا اذا دخل فيه انسان وجد فى ذلك الغار حزمة من الحطب فيها قضبان عددها خمسة عشر قضيبا لا يعلم من أى الاخشاب هى فاذا أخذ تلك الحزمة انسان وخرج بها من الغار سقطت أخرى غيرها فى الحال فهى على ذلك لا تنقطع على ممر الزمان ولو تكرر أخذها فى النهار مرارا سقط بدل ما أخذ * والاعجوبة الأخرى أن به مغارة أخرى فيها عظم ميت وهو واقف فى المغارة فيأتى اليه انسان فيضعه على الأرض ممدودا ثم يلتفت فيراه واقفا كما كان أولا ثم يخرج به من المغارة ويبعد به عن ذلك المكان مسافة بعيدة ويضعه فى البرية ملقى على الأرض ثم يسوق فرسه مشوارا واحدا ويجىء الى تلك المغارة فيجده قد سبقه الى تلك المغارة وهو واقف كما كان فيها أولا وأهل تلك الناحية يسمونه الشهيد اه ذلك (وأما جبال مكة) فمنها جبل حراء وجبل ثور الذى به الغار وجبل ثبير وجبل مفرح الذى بالمدينة وجبل حنين وجبل عرفات وجبل المنحنى وغير ذلك من الجبال * ومن العجائب أن جبلا بمدينة آمد فيه صدع من أولج سيفه فيه ثم قبض عليه بجميع يديه يضطرب السيف ويرتعد صاحب السيف ولو كان صاحب السيف أشد الناس قوة * وأما جبل قافونا فمبدؤه من كنف السد الذى على يأجوج ومأجوج

و ينتهي الى أرض الصين * وأما جبل الجرد فهو عند بحر الظلمات ومن عجائبه أن به أناسا أعينهم فى مناكبهم وأفواههم فى صدورهم وليس لهم أكل سوى السمك ويقال ان عندهم بذلك الجبل بذرا اذا بذروه عندهم ينبت حلا مثل الخرفان فاذا بلغ النبت وجدوا بذلك الحل روحا فاذا صار له شهران خرجت الروح منه فاذا ذبحوه وأكلوه لم يجدوا فيه طعم اللحم وليس فيه دسم * وصفة الخروف عندهم يكون على قدر القط وليس على جسده صوف * وأما جبل بكر سقانا فبدؤه من خلف بلاد التكرور وهذا الجبل تأوى اليه الوحوش الكواسر مثل السبع والكركند * وأما جبل اللكان فبأرض دمشق ومبدؤه من مكة أو المدينة وهذا الجبل يسمى هناك بجبل مفرح ثم يمتد من هناك حتى يتصل بدمشق و يسمى بدمشق جبل لبنان وجبل الثلج و يمتد هذا الى انطاكية والمصيص و يصل الى بحيرة طبرستان عند باب الايوان و يمتد منه طرف الى صفد والمتصل منه بدمشق والمطل عليها يسمى بجبل قيسون ثم يتصل الى بعلبك و يسمى هناك بجبل لبنان ثم يمتد الى طرابلس والى حصن الاكراد و يتصل الى حمص من غربيها و يسمى فى تلك الجهة بجبل اللكان ولا يزال هذا الجبل يمتد الى أن يتصل بجبال الروم و يقال ان هذا الجبل يأوى اليه القاقم وهو شئ يشبه الفيران يتربى فى الثلج فيصيدونه بالشرك (ونقل) صاحب المبدأ أن ببعض نواحى دمشق جبلا لطيفا ينبت فيه نبات يشبه الريحان اذا وقف عنده انسان ونظر اليه وأنشد هذين البيتين يتمايل هذا النبات كتمايل من [illegible] الطرب يذكر حبيبه وهما هذان البيتان

يا ساكنا بالجبل البلقع * و يا ديار الظاعنين اسمعى
ماهى ديارى ولكنها * ديار من أهوى فنوحى معى

(قيل) ان الناس يقصدونه وقت القائلة فى شدة الحر وليس فى الجو هواء و يذكرون عنده هذين البيتين فيرون منه التمايل وإن لم ينشده فهو ساكن لا يتحرك وهذا من العجائب * وأعجب من هذه الحكاية * ماذكره وصيف شاه فى أخبار مصر أن بنواحى الصعيد شجرة اذا وضع احد يديه عليها وقال يا شجرة العباس جاءك الناس تجمع أوراقها وتشرع فى الذبول واذا قال لها عفونا عنك ترجع الى ما كانت عليه من الحسن والنضارة وهذه الشجرة تشبه شجرة السنط مستديرة الأوراق بهية المنظر * وأما جبل طورسينا فقيل هو بالقرب من عقبة ايليا و يقال ان به قبر هارون أخى موسى عليهما السلام * وجبل من جهات الصعيد فيه عدة جبال كبار وصغار يوجد فيها مقاطع الرخام السماقى واللازوردى والفستقى والأبيض والكهرمانى و يقال فى البهنسا جبل فيه مغاور يوجد فيها الزمرد الذبابى

قال المسعودى ليس فى الدنيا يوجد معدن الزمرد الذبابى الا بمصر فى نواحى البهنسا ولم يزل هذا المعدن يوجد هناك الى أوائل قرن المائة السابعة ثم انقطع وجوده من هناك (وأما الجنادل) فهما جبلان صغيران والنيل يشق بينهما فيسمع له هناك دوى عظيم وذلك المكان لا تسلكه المراكب الكبار وهو الفارق بين سفن الحبشة وسفن المسلمين و يعرف بالجنادل والصخور كما تقدم ذكره * وأما جبل الطير فهو بصعيد مصر فى ضيعة يقال لها أشمون مطل على بحر النيل وفيه أعجوبة لم يسمع بمثلها فى سائر البلدان وذلك أنه فى آخر فصل الربيع فى يوم معلوم من السنة تأتى اليه طيور كثيرة هى بلق سود الرقاب مطوقات بالبياض وفى أصواتها بحة واذا طارت ملأت الآفاق ويقال لها طيور البح فيصعدن مكانا فى هذا الجبل فينفرد منها طائر فيضرب بمنقاره فى ذلك المكان فان تعلق منقاره فى ذلك الشعب وقبض عليه تفرقت عنه بقية الطيور وان لم يتعلق ذلك الطير تقدم غيره فيضرب بمنقاره فان تعلق والا تأخر و يتقدم غيره فلا يزال يتقدم واحد بعد واحد حتى يتعلق واحد فان تعلق نفرت الطيور كلها وذهبت الى حال سبيلها فلا يزال ذلك الطائر معلقا بمنقاره حتى يموت و يضمحل فيقع على الأرض وهذا دأب تلك الطيور فى كل سنة وهذه الواقعة مشهورة فى تلك البلاد (وحكى) أنه فى بعض السنين تعلق طائر بمنقاره ثم سقط فلما رأته الطيور جعلت تضربه بمناقيرها وتسوقه الى أن جاء الى الشعب وضرب بمنقاره فتعلق كما كان حتى مات وهذه من العجائب * وقيل اذا كانت السنة مخصبة جيدة يتعلق اثنان واذا كانت متوسطة يتعلق واحد واذا كانت مجدبة لم يتعلق شئ * وأما جبل المقطم فان أوله بالمشرق من نواحى بلاد الصين ويمر من بلاد التتر حتى يأتى الى مدينة فرغانة والى جبال التيم و يتصل بجبال القلزم من جهة أخرى قال بعض العلماء انما سمى بالمقطم لأن المقطم مأخوذ من القطم وهو القطع لأنه مقطوع من النبات والأشجار فلذلك سمى المقطم (وروى) عن الامام الليث بن سعد رضى الله عنه أنه قال لما قدم عمرو بن العاص الى مصر عند فتحها فلما فتحها سار يوما الى سفح الجبل المقطم وكان صحبته المقوقس عزيز القبط صاحب مصر فقال له عمرو بن العاص ما بال جبلكم هذا أقرع ليس به أشجار ولا نبات فقال له المقوقس ان فى كتبنا القديمة أنه كان أكثر الجبال نباتا وأشجارا فلما كانت الليلة التى ناجى موسى ربه فيها أوحى الله الى الجبال انى مكلم نبيا من الانبياء على واحد منكم فعند ذلك شمخت الجبال كلها الا جبل بيت المقدس فانه تصاغر فأوحى الله اليه لم فعلت ذلك فقال اعظاما واجلالا لك يارب فأمر الله تعالى الجبال أن تمده مما عليها من الأشجار فجاد له الجبل المقطم بجميع ما كان عليه

من الاشجار والنبات وكان أكثر الجبال أشجارا ونباتا فأوحى الله اليه انى معوضك على فعلك وودك بغراس الجنة وهم المؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم * ويروى أن كعب الاحبار رضى الله عنه قال لرجل من أصحابه يريد التوجه الى مصر فاذا جئت الى بيت المقدس فاصحب لى معك شيئا من تراب الجبل المقطم ففعل الرجل ذلك فلما دفع اليه تراب المقطم وضعه فى جراب وجعله عنده وأوصاه أنه اذا مات يفرش ذلك التراب فى قبره للتبرك فلما مات وضعوا التراب فى قبره (وأما الجبل الاحمر) فانه متصل بالجبل المقطم مطل على القاهرة من شرقيها ويعرف بالجبل اليحموم واليحموم عند العرب الأسود وقال الكندى ان بمصر ثلاثة جبال صغارا تسمى الشرف أحدها الذى وضعت عليه القلعة وسميت قلعة الجبل وهو من جملة الجبل المقطم والثانى الذى وضع عليه جامع أحمد بن طولون ويسمى يشكر ويقال ان موسى ناجى ربه عليه * والجبل الثالث وهو المطل على بركة الحنش الذى وضع عليه الرصد فعرف به * وأما جبل الكبش فهو الذى عند الجسر الأعظم وكان قديما يشرف على بحر النيل وهو متصل بجبل يشكر وانما سمى بجبل الكبش لان الصحابة لما نزلت بأرض مصر سار كبش وهو رجل من الصحابة الى ذلك الجبل ونزل فيه وحده فمن ذلك سمى جبل الكبش * وأما جبل لوقا وهو غربى مصر قليل الارتفاع وبعضه غير متصل ببعض والمسافة بينهما تضيق فى مكان وتتسع فى مكان وهذا الجبل أقرع مثل جبل المقطم لا نبات به وماؤه مالح ويجفف ما يدفن فيه من بنى آدم انتهى ما أوردناه من أخبار الجبال وذلك على سبيل الاختصار

﴿ ذكر عجائب البلدان ومافيها من الحكم ﴾

قال القضاعى ان من البلدان العجيبة مدينة رومية * قيل ان دورها عشرون فرسخا وعليها ثمانية أسوار من الحجارة الصوان المانع وهى على جبل داخل البحر المالح وهو محيط بها ويقال ان الجن بنتها لسليمان بن داود عليهما السلام وحول هذه المدينة خندق من النحاس عمقه أربعون ذراعا وعرضه مثل ذلك وعليه ألواح من نحاس كهيئة الطوارق طول كل لوح خمسون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا فى غلظ ذراعين وجعلوا من أول هذه المدينة الى آخرها أعمدة من النحاس الاصفر وعلى تلك الأعمدة مجراة من النحاس قدر الخليج يجرى فيها الماء وبهذه المدينة أربعمائة منارة من الذهب الاحمر طول كل منارة مائة ذراع وهى حول الكنيسة الكبيرة وبها مكان مربع وعليه درابزين من الذهب ويقولون ان به ملكا من الملائكة مقيما فى ذلك المكان لا يبرح عنه أبدا وبها جثة بطرس وبولص من حوارى عيسى ابن مريم عليهم السلام وهما فى توابيت من ذهب معلقة بسلاسل من فضة فى هذه الكنيسة وقد كان حولها ألف

ومائتا كنيسة يسكنها الرهبان فى مواضع بها وهذه الكنيسة ثمانية وعشرون بابا وهى مصفحة بصفائح الذهب والفضة وفى دوائرها ألف شباك من النحاس الأصفر خارجا عن الأبواب الآبنوس وفيها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام وهى من الزمرد الأخضر وطولها ذراعان وعرضها ذراع وهى محمولة على اثنى عشر تمثالا من الذهب بأعين من الياقوت الأحمر وهى تتقد كالشمس (وأما) صفة هذه المدينة فأسواقها وشوارعها مبلطة بالرخام الابيض وبها حجارة مكتوب عليها بقلم العبرانى فاذا جعلوا تحتها قمحا طحنته بدوران سريع فيصير دقيقا فاذا فرغ القمح بطلت حركتها . وبها أيضا من العجائب فى ليلة الشعانين ينفتح فى الكنيسة الكبرى كوة فيخرج منها تراب أبيض ولا يزال يخرج الى الصباح فاذا طلع الفجر انقطع التراب ومن خاصية هذا التراب أنه ينفع للسوع فيفرقونه للاجر فاذا بيع بطل نفعه وكان بها من العجائب صخرة من رخام أخضر عليها كتابة بالقلم القديم فمن أراد أن يعلم حال الغائب أو المسافر أو الباقى يجىء الى تلك الصخرة وينام عليها فيرى فى منامه جميع ما يكون من حال الغائب وغيره . وكان بها من العجائب حجر اذا وضع عليه الانسان يده تقايا كل ما فى جوفه فما دامت موضوعة فهو يتقايا فان لم يرفع يده عند كفايته خرجت أمعاؤه فيموت . وكان بها من العجائب شجرة من نحاس أصفر وعليها هيئة طائر من نحاس فاذا كان أوان الزيتون صفر ذلك الطائر النحاسى صفيرا عاليا فيأتى اليه كل زرزور فى الدنيا وفى كل رجل من رجليه زيتونة وفى منقاره زيتونة فيضعونه على سطح الكنيسة الكبرى فتجمع الرهبان من ذلك الزيتون شيئا كثيرا فيعصرونه ويخرجون زيته فيكفيهم من العام الى العام وقيدا وأكلا . وقيل كانوا اذا ادخروا فيها الغلال دهرا طويلا لا تتغير لانها مبنية فى مكان معتدل جدا غير وخيم (وأما أخبار مدينة الاسكندرية) فقال المسعودى هذه المدينة من أعظم مدائن الدنيا قد بنيت بعد الطوفان على يد مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ثم خربت بعد ذلك فبنتها الملكة رقود ثم خربت بعد ذلك فبناها الاسكندر ذو القرنين فعرفت به . قال ابن عبد الحكم فى أخبار مصر بناها الاسكندر بن فلنش المقدونى وكان من اليونان وقيل بناها شداد بن عاد والأقوال فى ذلك كثيرة وقال بعض المفسرين ان الاسكندرية هى ارم ذات العماد التى ذكرت فى القرآن العظيم وقيل انها بنيت فى ثلاثمائة سنة وسكنت ثلاثمائة سنة وخربت ثلاثمائة سنة وقال ابن وصيف شاه بنيت الاسكندرية ثلاث طبقات بعضها فوق بعض وهى اثنا عشر فرسخا فى مثل ذلك وأقام لبنائها ألف ألف صانع وعمل فيها مسارب بقناطر تتصل الى بحر النيل قال ابن عبد الحكم لما أرادوا

أن يبنوا أساس الاسكندرية كان يخرج اليهم من البحر صور على صفة السباع والذئاب والكلاب والخنازير وغير ذلك فيهدمون تحت الليل ماتبنيه الرجال بالنهار فلما أعيا الملوك ذلك حضر اليهم بعض الحكماء وعمل أشباه تلك الصور التى تطلع من البحر فلما خرجت تلك الصور رأت مثل صورها مقابلها فهربت منها ولم تعد بعد ذلك قال ابن عبد الحكم أقامت الاسكندرية سبعين سنة لا يقدر أحد أن يدخلها الا وعلى عينيه شعرية أو خرقة زرقاء من شدة بياض حيطانها فانها كانت تخطف الابصار وكان لا يوقد بها سراج فى الليالى المقمرة وكانت عمارتها ممتدة من رمال رشيد الى برقة ويسير المراكب فى ظل الأشجار مستترا من حر الشمس ويقال ان أهلها أكثر الناس أعمارا لصحة هوائها وطيب أرضها ولم تزل الاسكندرية على ذلك حتى فتحها عمرو بن العاص (قال) المسعودى اختلف المؤرخون فيمن بنى المنارة فقيل انه الاسكندر بن فلتش الرومى وقيل الملكة رقود وقيل الذى بنى رومية بنى المنارة وقيل الاسكندر ذو القرنين . قال ابن وصيف شاه كان الاسكندر بن فلتش من اليونانيين وكان رأسه قدر القبة العظيمة وكان طول أنفه ثلاثة أذرع فلما بنى هذه المنارة جعلها على كرسى من الزجاج وهو كهيئة الجبل وهو فى جوف البحر وكان طول هذه المنارة فى الزمن القديم ألف ذراع ثم خربت حتى بقى منها ماتتان وثمانون ذراعا وقد بنى فى أعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال يدور مع الشمس حيث دارت ومنها تمثال يشير بيده الى البحر فاذا وصل عدو الى البلد وصار قريبا منها يسمع لذلك التمثال صوت عال فيعلم أهل المدينة أن العدو صار قريبا منهم فيستعدون لقتاله وكانت هذه المنارة مبنية بحجارة من الصوان وبينها شىء من الرصاص المذاب وقد جعلوا فى هذه المنارة ثلثمائة بيت بعضها فوق بعض وكانت الدابة تصعد الى تلك البيوت وهى محملة مما يحتاج اليه أهل تلك البيوت وكان لهذه البيوت طاقات تشرف على البحر الرومى وكان الغريب اذا دخلها يضل فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها (وقيل) ان جماعة دخلوها فضل فيها أحدهم فلم يقدر على الخروج ومات جوعا وكان بها مرابطون لاجل الجهاد لا يبرحون عنها وكان لأهل تلك المدينة يوم مشهود يسمونه يوم العدس فيجتمعون فيه عند المنارة ويأتون بطعام العدس ويأكلون عندها ويجعلونه للتنزه وكان يوقد بهذه المنارة نار ليلا ليهتدى اليها المسافرون . وفى حسنها وكما لها يقول القائل

لله درّ منار اسكندرية كم * يسمو اليها على بعد من الحدق
من شامخ الأنف فى أوصافه شمم * كأنه باهت فى دارة الأفق
للمنشآت الجوارى عند رؤيته * كموقع النوم فى أجفان ذى أرق

قال ابن وصيف شاه فى أعلى هذه المنارة قبة من نحاس أصفر منصوب فوقها مرآة من معادن شتى وقيل كانت من الحديد الصينى وقيل كانت من زجاج مدبر بالحكمة وكان قدرها خمسة أشبار وقيل سبعة أشبار وهى على كرسى من نحاس مدبر بالحكمة وكانوا ينظرون فيها كل ساعة الى من يخرج من بلاد الروم من مسافة تعجز عنها الأبصار فيستعدون لذلك فان كان العدو مدركهم يديرون تلك المرآة مقابل الشمس و يستقبلون بها سفن العدو فيقع شعاعها على السفن فتحترق عن آخرها فيهلك كل من فيها وان أراد أهل تلك المدينة أن يعلموا غيرهم من نواحيهم بعدوهم ينشروا فى أعلا المنارة أعلاما فيعلم أهل تلك النواحى بالعدو فيستعدون للقتال أيضا قال ولم تزل المنارة على هذه الحالة حتى جاء عمرو بن العاص فأخرج له جماعة كتابا مكتوبا فيه ان أموال الاسكندر تحت هذه المنارة وحسنوا لعمرو بن العاص هدمها وأخذ الاموال من تحتها ثم يعيدها الى ما كانت عليه كذلك فطمع فى ذلك وقلع المرآة وهدم من المنارة ثلثها فلم يجد شيئا فعلم أن ذلك دسيسة لهدم المنارة ليبطل عمل المرآة والصنم وغيرهما من المنافع لهم والمضرة للعدو فطلب الذين أشاروا عليه بهدمها فوجدهم قد هربوا وتمت حيلتهم على عمرو بن العاص وكان أصل هذه الحيلة من الروم ثم انه بنى المنارة ثانيا ونصب عليها المرآة كما كانت فبطل عملها الذى كانت عليه من الرؤية والاحراق واستقرت المنارة قائمة فى الهواء بغير منفعة الى تسع وسبعين ومائة من الهجرة فوقعت زلزلة عظيمة فسقط رأس المنارة فلما استولى أحمد بن طولون على مصر بنى فى أعلى المنارة قبة من الخشب واستقرت على ذلك الى زمان الظاهر بيبرس البندقدارى فسقطت تلك القبة فبناها وجعل فى أعلى المنارة مسجدا وذلك فى سنة ثلاث وسبعين وستمائة واستقرت على ذلك الى اثنين وسبعمائة من دولة الناصر محمد بن قلاوون فوقعت فى أيامه زلزلة عظيمة فسقطت المنارة عن آخرها ونسخ أمرها من يومئذ

﴿ ذكر أخبار عمود السوارى ﴾

قال القضاعى . ومن العجائب عمود السوارى الذى بثغر الاسكندرية وهو من الحجر الصوان وارتفاعه سبعون ذراعا ودوره خمسة أذرع ونصف وكان هذا العمود من جملة سبعة أعمدة وكان فوقها رواق يقال له بيت الحكمة فلما كان أيام سليمان بن داود عليهما السلام هدم ذلك البيت وجعله مسجدا للعبادة وكان حول ذلك الرواق سبعمائة عمود يسمونه الملعب يجتمعون تحت تلك العمد فى يوم معلوم من السنة ويرمون بينهم الكرة فلا تقع فى حجر أحد منهم والذى تقع فى حجره يكون ملكا فى مصر ولو بعد حين فحضر فى بعض أعيادهم عمرو بن العاص فوقعت الكرة فى حجره فملك مصر بعد ذلك فى زمن الاسلام وكان يحضر فى ذلك الملعب ألف ألف انسان من

الاقباط وغيرهم من سائر الأجناس * قيل لما وقعت الكرة فى حجر عمرو بن العاص تعجب كل من كان حاضرا وقالوا من أين لهذا الاعرابى أن يصير ملك مصر بيده فلا زالت ارادة الله تعالى الى أن صار والى مصر والاسكندرية من أعمال مصر وقد قال القائل

يقولون المنارة والسوارى * وأهل للعوامد والبناء

و يفتخرون فى حمق وجهل * بملتهم وحاصله هواء

(قال) المسعودى ان أهل الاسكندرية ينسبون الى الشح والبخل الزائد وتطول فيها الاعمار كذلك قرية من يوط و وادى فرغانة بالغرب * وسبب ذلك قربها من النيل وظهور ريح الصبا فيها ذلك مما يعالج أبدانهم و يرقق طباعهم و يرفع هممهم وقيل فيهم

نزيل اسكندرية ليس يقرى * بغير الماء أو نعت السوارى

وذكر البحر والامواج فيه * ووصف مراكب الروم الكبار

فلا يطمع نزيلهم بخبز * فما فيها لذاك الحرف قارى (وقال)

اسكندرية كربة * وجر نار تسعر * ان قيل ثغر أبيض * قلت ولكن أبخر

﴿ ذكر أخبار صنم الاهرام ﴾

قال القضاعى ومن عجائب مصر الصنم الذى عند الهرمين بالجيزة و يسمى بالهوية و يعرف بأبى الهول عند أهل مصر فيقال انه طلسم لدفع الرمل لئلا يغلب على أهل الجيزة وقال هذا الصنم من الحجر الكذان لا يظهر منه سوى رأسه و بقيته مدفونة فى الرمل و يقال طوله سبعون ذراعا وفى وجهه دهان يلمع له رونق كأنه يضحك تبسما وكان فى مقابلته صنم مثله فى مصر عند قصر الشمع وهو من الصوان المانع و يقولون انه طلسم يمنع الماء عن بر مصر وكل من الصنمين مستقبل المشرق و بقى صنم قصر الشمع الى سنة احدى عشرة وسبعمائة ثم قطعه الملك الناصر محمد بن قلاوون وصنع منه أعتابا وقواعد لما بنى الجامع الجديد على بحر النيل ولم يبق لهذا الصنم أثر و بقى أبو الهول الى يومنا هذا وهو موجود عند الاهرام * ومن العجائب أن قرية من أعمال أسوان وهى شرقى النيل ولها سور وأبواب وهى قرية خراب وعلى أحد أبوابها جيزة كبيرة فاذا كان أيام الشتاء يرون فى كل يوم قبل طلوع الشمس أناسا غير جنس بنى آدم يدخلون تلك القرية و يخرجون منها فاذا دخل الناس الى تلك القرية لم يروا فيها أحدا من الذين كانوا يدخلون اليها و يخرجون منها وهذه الواقعة مشهورة عند أهل تلك الناحية * ومن العجائب أن ببلاد الهند ضيعة يقال لها كتان و بها عمود من نحاس أصفر وعليه صفة طائر من نحاس فاذا كان يوم عاشوراء نشر ذلك الطائر جناحيه ومد منقاره فيفيض منه ماء يعم تلك القرية و يسقى زروعهم

و بساتينهم و يملأ صهاريجهم وذلك يكفيهم من العام الى العام وهذا دأب ذلك الطائر فى كل سنة
* و يقرب من ذلك أنه كان ببلاد الاندلس فرس من نحاس وعليها راكب من نحاس فاذا
دخلت الأشهر الحرم هطل من تلك الفرس الماء الغزير حتى يعم أرضهم و بساتينهم وآبارهم فاذا
مضت الأشهر الحرم انقطع ذلك الماء وهو يكفيهم من العام الى العام * ومن أعجب العجائب
أن حكيما من الحكماء فى بعض مدائن بابل صنع حوضا من رخام أبيض وعليه كتابة بالقلم القديم
فتجتمع أهل تلك المدينة و يأتى كل منهم بشراب فيفرغه فى ذلك الحوض فتختلط
الأشربة كلها فى بعضها البعض حتى تصير شيئا واحدا ثم يقف الساقى على ذلك الحوض و يسقى
فلا يطلع لكل واحد فى قدحه الا من الشراب الذى أتى به وصبه فى الحوض * ومن
العجائب أنه كان ببيت المقدس كلب من الخشب اذا مر به ساحر نبح عليه ذلك الكلب
الخشب و يسلب منه عمل السحر و يقال ان بعض السحرة رمى ذلك الكلب بسهم ليقتله
فعاد السهم على راميه فقتله * ومن العجائب أنه بمدينة أبهر طلسم للبعوض فلا يدخلها
البعوض فكان اذا أخرج أحد يده من السور الى خارج المدينة وقع عليها البعوض واذا
أدخلها ارتفع عنها البعوض ولا يدخل الى داخل السور * ومن العجائب أن فى بلاد
الشرق ضيعة و بها دير يقال له دير الخنافس ففى يوم معلوم من السنة يمتلئ الدير والأرض التى
حوله بالخنافس وهى تشبه سوس الخشب فتمشى الناس عليها لكثرتها فاذا انقضى ذلك
اليوم لم ير من تلك الخنافس شئ وقد احتال بعض الناس على هذه الخنافس وأدخل منها شيئا
فى القنانى وختم عليها بشمع فلما انقضى ذلك اليوم لم يجد فى القنانى شيئا والشمع بحاله مختوم
* ومن العجائب أن فى بلاد الهند مدينة تسمى دكين و بها أقوام يعبدون النار ففى يوم معلوم
من السنة يأتى شخص أو أكثر من أهل تلك المدينة و يقرب نفسه الى النار فتوقد له النار
بزيادة فاذا تسعرت النار طرح ذلك الشخص نفسه فيها فيكون له غليان عظيم يخرج له
دخان نتيم فاذا كان اليوم الثانى يظهر من تلك النار شخص على هيئة المحروق فيسلم على
أصحابه فيسألونه عن حاله فيخبرهم أنه فى رياض الجنة و يرغبهم فى أن يلقوا أنفسهم فى النار
ثم يختفى عنهم وذلك الشخص الذى يظهر لهم انما هو شيطان من الجن موكل بتلك النار وقد
جعله الله لضلال هذه الطائفة * ومن العجائب أن ببلاد الصين مدينة يقال لها جلسق فيها
رجال على صفة النسناس لا يتكلمون الا بالاشارة ولهم أيد طوال تصل الى أقدامهم عند
الوقوف ولهم وثوب نحو عشرة أذرع فى الهواء ولم يأو هذا الجنس الا فى البساتين و يسكن
على الاشجار و ينفر من الناس و يتناكحون و يتناسلون فى البساتين ولهم احليل طويل

يصل الى أفخاذهم وهم عراة الاجسام وفيهم الابيض والاسود ونساؤهم على هيئتهم فى الشكل * ومن العجائب أن بمدينة اذربيجان واديا به دود أحمر يظهر فى زمن الربيع يسمونه القرمز فيلتقطونه و يطبخونه و يصنعون منه اللون الذى يسمونه الارجوانى وكان ابتداء وجود هذا الدود فى أوائل قرن المائة الرابعة وذلك ان راعيا كان يرعى غنمه فدخل الى ذلك الوادى ليرعى به الغنم فرأى كلب الراعى دودة فأكلها فبقى على خرطومه من دمها فأخذ الراعى صوفة ومسح بها ذلك الدم فانصبغت الصوفة بالحمرة فلما دخل المدينة شاع خبره بما وقع له فى ذلك الوادى فأتوه وجمعوا من ذلك الدود وخلطوا معه شيئا من القرمز وطبخوه فجاء من أحسن الألوان وهم يصبغون منه الآن * ومن العجائب أنه كان بمدينة حمص حجر أبيض وعليه صورة عقرب فاذا لدغ انسانا عقرب أخذ طينا وألصقه على تلك الصورة فاذا جف ووقع أخذه وأذابه بالماء وشرب منه الملسوع فيبرأ من ساعته وذاك طلسم العقارب * ومن العجائب أن ببلاد الصين كنيسة كبيرة ولها سبعة أبواب فيها قبة عالية وفى وسط تلك القبة جوهرة قدر بيضة الدجاجة وهى معلقة تضىء منها تلك القبة وقد جاء جماعة كثيرون ليأخذوا تلك الجوهرة فكان اذا دنا أحد منها على مقدار عشرة أذرع خر ميتا وان احتال عليها بشىء من الآلات الطوال كالرمح أوغيره انعكست حيلته فليس اليها سبيل وقد قصدها ملوك كثيرة فلم تتم لهم حيلة على أخذها * ومن العجائب أن أهل قريتين قتلوا بالسيف عن آخرهم بسبب قطرة من عسل * وسبب ذلك أن رجلا نحالا فى قرية أخذ ظرفا من العسل ليبيعه فى قرية أخرى فجاء الى زيات وفتح الظرف ليريه العسل فقطرت من العسل قطرة على الأرض فانقض عليها زنبور فخطفته قطة فخطف القطة كلب وكانت القطة للزيات والكلب للعسال فلما رأى الزيات أن الكلب افترس القطة ضرب الزيات الكلب فقتله فلما رأى العسال كلبه قد قتل ضرب الزيات فقتله فلما رأى ولد الزيات أن أباه قتل ضرب العسال فقتله فلما سمع أهل القريتين بقتل الرجلين لبسوا عدة حربهم ولازالوا يقتتلون حتى فنوا تحت السيف عن آخرهم وكان سببه قطرة من عسل كما قيل * ومعظم النار من مستصغر الشرر * ﴿لطيفة﴾ متنزهات الارض أربعة سغد سمرقند وشعب بوان ونهر الابلة وغوطة دمشق * أما سغد سمرقند فهو نهر تحف به شجرة مثمرة بالفواكه والأزهار وهى مشتبكة بعضها ببعض ممتدة مقدار اثنى عشر فرسخا فى مثلها * وأما شعب بوان فهو من نواحى نيسابور وهى مقدار فرسخين وفيها أنهار متدفقة وأشجار مثمرة طيبة * وأما نهر الابلة فهو من أعمال البصرة وهو على أربعة فراسخ منها ومن جوانبه الاشجار الطيبة الثمار * وأما غوطة

دمشق فقدارها ثلاثون ميلا وعرضها خمسة عشر ميلا وهى مشتبكة بالأشجار كأنها بستان واحد لا تكاد الشمس تقع على الأرض فيها وثمارها طيبة لم تكن فى غيرها قال الشاعر

سألتكما ان جئتما الشام بكرة * وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا
قفا واقرآ منى كتابا كتبته * بدمعى لكم فاقروا ولا تنسيا سطرا

والشقراء والخضراء اسما قريتين من قرى الشام (وقال القيراطى)

مافيه الا روضة أو جوسق * أو جدول أو بلبل أو ربرب
فكأن ذاك النهر فيه معصم * بيد النسيم منقش ومكتب
واذا تكسر ماؤه أبصرته * فى الحال بين رياضه يتشعب
وشدت على العيدان ورق أطربت * بغنائها من غاب عنه المطرب
فالورق تشدو والنسيم مشبب * والنهر يسقى والجداول تشرب
وضياعها ضاع النسيم بها فكم * أضحى له من بيننا متطلب
فلكم طربت على السماع بذكرها * وغدا بربوتها اللسان يشبب
أشتاق من وادى دمشق لغوطة * كل الجمال الى حماها ينسب

انتهى ما أوردناه من عجائب البلدان وذلك على سبيل الاختصار

(ذكر ما كان من مبدإ خلق العالم قبل وجود آدم عليه السلام)

قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أكمل الله تعالى خلق السموات والأرض على الصفة المتقدم ذكرها وأرسى الجبال ونشر الرياح وخلق فيها الوحوش والطيور وصارت الثمار تجف وتقع على الأرض ويتولد العشب فى الأرض ويركب بعضه بعضا فعند ذلك شكت الأرض الى ربها من هذا الأمر فخلق الله تعالى من الأرض أمما كثيرة وهم على صور مختلفة وأجناس مجنسة يقال لهم الجن وقد خلقهم الله تعالى من الريح ومن البرق والسحاب وهم ذوو نفس وحركة فانتشروا كالذر لكثرتهم فامتلأ منهم السهل والجبل وسائر أقطار الدنيا فأقاموا على وجه الأرض ماشاء الله من الزمان وكان منهم الأبيض والأسود والأحمر والأصفر والابلق والابقع والأصم والأعمى والحسن والقبيح والقوى والضعيف والانثى والذكر فتناكحوا وتناسلوا وسموا الجن لاجتنانهم أى لاختفائهم فلما كثروا فى الأرض وضاقت بهم الدنيا لكثرتهم زاد بأسهم فأرسل الله عليهم ريحا عاصفة فأهلكتهم ولم يبق منهم الا القليل فهم أول من ابتدع عمارة البيوت وقطع الصخور وصيد الطيور والوحوش فاستمروا على ذلك دهرا طويلا ثم بغى بعضهم على بعض فتقاتلوا ولم يكن قتالهم بسلاح وانما كان يفنى بعضهم بعضا بالمحاصرة

فى البيوت حتى يهلكوا جوعا وعطشا فلما تزايد أمرهم بالفساد أخرج الله تعالى لهم أمما من البحر وهم أعظم اجسادامنهم وأعجب خلقة يقال لها البن خاربوهم فهلكت الجن ولم يبق منهم أحد * ومدة اقامتهم فى الدنيا خمسمائة عام وملك الأرض بعدهم البن وتناكحوا وتناسلوا وكثر واحتى ملأوا الأرض فكان أحدهم يغوص الى الأرض السابعة ويقيم بها أياما فلم تحجب عنهم بقعة من الأرض فهم أول من حفر الآبار وشق الانهار وأجرى المياه اليها من العيون والبحار وهم أول من صنع الدواليب وبنى القناطر على الأنهار وتسلطوا على الاسماك فى البحر بالصيد وعلى الوحوش فى القفار فلم يبق فى البر والبحر دابة الاشكت منهم الى الله تعالى وتزايد أمرهم بالفساد فخلق الله تعالى الجان قال ابن عباس رضى الله عنهما خلق الله الجان من مارج من نار وخلق الملائكة من نور ساطع وهم على صفات مختلفة فمنهم من يشبه بنى آدم فى الخلق ومنهم طائفة يسكنون السموات وطائفة يسكنون الأرض وطائفة موكلون بحفظ بنى آدم ومنهم حملة العرش ومنهم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزائيل فأما جبريل فهو أمين الوحى الى الأنبياء وأخرج ابن أبى حاتم عن عطاء بن السائب قال أول من يحاسب جبريل عليه السلام لأنه كان أمين الله تعالى الى رسله وأول من قال سبحان ربى الأعلى * وأما صفته فله ستمائة جناح بين كل جناحين مسيرة خمسمائة عام وله ريش من رأسه الى قدمه كلون الزعفران وكل ريشة كهيئة الشمس فى نورها * ويروى أنه ينغمس فى بحر النور كل يوم ثلاثمائة وستين مرة فاذا خرج سقطت منه قطرات من النور فيخلق الله من تلك القطرات ملائكة على صورته يسبحون الله تعالى الى يوم القيامة ومعنى جبريل بالسريانية عبد الله ﴿ وأما ميكائيل عليه السلام ﴾ فانه موكل بأرزاق بنى آدم والطير والوحش وبالامطار والسحاب والبحار والاشجار وكل النباتات وأما صفته فيروى أن له ريشا أخضر كلون الزمرد فى كل ريشة ألف وجه وفى كل وجه ألف فم وفى كل فم ألف لسان يستغفرون للمذنبين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويخلق الله تعالى فى كل يوم سبعين ألف ملك على صفته موكلون بالارزاق على نحو ما هو موكل به كامر * ويروى أنه لما عاين ميكائيل النار لم يضحك بعد ذلك ولم يتبسم من هول ما عاين من النار خوفا من الجبار ﴿ وأما اسرافيل عليه السلام ﴾ فانه صاحب نفخ الصور ويروى أن الله تعالى خلق اسرافيل قبل ميكائيل بخمسمائة عام ووكله بالصور * ويروى أن الصور كهيئة القرن وفيه مثل خليات النحل وهى التى تستقر فيها الارواح طوله ما بين السماء والأرض فاذا انقضت أيام الدنيا أمره الله تعالى أن ينفخ فى ذلك القرن فتخرج الارواح من تلك الخليات وهى تتوهج وينفخ

فى الصور ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث (ويروى) أن اسرافيل له أجنحة لا تحصى وقد أعطاه الله قوة على سائر الملائكة وعلما ويروى أن جبريل مع عظمه طار بأجنحته نحو ثلاثمائة عام ما بين أنف اسرافيل وشفته فما بلغ مقدار ذلك ومع ذلك قيل إن أعظم الملائكة ملك يقال له روح قال الله تعالى «يوم يقوم الروح والملائكة صفا» الآية (ويروى) أن هذا الملك الذى اسمه الروح يقوم يوم القيامة صفا وحده لعظمه وجميع الملائكة صفا فيكون الروح على قدر الملائكة لعظم خلقته ﴿ وأما عزرائيل عليه السلام ﴾ فانه موكل بقبض الارواح من بنى آدم وغيرهم وكذلك سائر الطيور والوحوش وكل ذى روح (ويروى) أن صفته كصفة اسرافيل وأنه جالس على سرير فى السماء السادسة وله أربعة أجنحة ممتدة من المشرق الى المغرب ويروى أن فى سائر جسده عيونا ناظرة الى كل ذى روح فاذا قبض روح أحد عميت منه العين الناظرة اليه فاذا امات المخلوقون جميعهم ذهبت تلك العيون كلها التى فى جسده ولم يبق الا عينه فيعلم أنه لم يبق الا هو اهـ ماأوردناه على سبيل الاختصار ﴿ وأما أخبار الجان ﴾ فقال ابن عباس رضى الله عنهما الجان هم ذكور الجن وهم على أجناس مختلفة فمنهم أمم يقال لهم النهابر وأمم يقال لهم النهامر وهذه الأمة كبنى آدم يأكلون ويشربون ويتناسلون ومنهم المؤمنون والكافرون شيخهم ابليس لعنه الله (ويروى) أن الله تعالى جعل سكان السماء الملائكة وجعل سكان الأرض الجان فلما شكت الوحوش والطير من أفعال الجن والبن خلق الله تعالى الجان كما تقدم ذكره فلما خلق الجان أسكنهم الأرض فلما سكنوا اغاروا على البن فقوى الجان عليهم فأهلكوهم عن آخرهم ولم يكن لهم بقية فبقى الجان فى الأرض فتناكحوا وتناسلوا حتى ملأوا الأرض ثم وقع بينهم التحاسد والبغى وكثر فيهم سفك الدماء وشوش بعضهم على بعض فشكت الأرض الى ربها فعند ذلك بعث الله اليهم جنودا من الملائكة ومعهم ابليس وكان اسمه عزازيل وكان رئيس الملائكة فطرد الجان من الأرض فتوجهوا الى شعب الجبال وسكنوا بها فلك ابليس الأرض منهم فكان يعبد الله تعالى فى الأرض وفى السماء فأعجب بنفسه وداخله الكبر فاطلع الله على مافى قلبه فقال عز من قائل «واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون» وقول الملائكة «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» يعنى كمن تقدم ذكرهم من الجن والبن فانهم كانوا يفسدون فى الأرض ويسفكون الدماء اهـ ذلك

﴿ ذكر قصة آدم عليه السلام ﴾

قال الثعلبى فى كتابه لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم عليه السلام أوحى الى الأرض

انى خالق من أديمك خلقا فمنهم من يطيعنى ومنهم من يعصينى فمن أطاعنى أدخلته الجنة ومن عصانى أدخلته النار ثم بعث الله تعالى جبرائيل عليه السلام الى الأرض ليأتيه بقبضة منها فلما أتاها جبريل أقسمت عليه وقالت انى أعوذ بعزة الله الذى أرسلك أن لا تأخذ منى شيئا يكون للنار فيه نصيب فلم يأخذ منها شيئا ورجع الى ربه وقال يارب قد استعاذت بك منى فكرهت أن آخذ منها شيئا فأمر الله تعالى ميكائيل أن يمضى اليها ويقبض منها قبضة من تراب فأقسمت عليه وقالت له مثل ماقالت لجبرائيل فبر قسمها ولم يأخذ منها شيئا فأرسل الله اليها عزرائيل فلما هبط اليها وكزها بحربة كانت معه فاضطربت فمد يده اليها فأقسمت عليه وقالت له مثل ماقالت لأخويه فقال لها أمر الله خير من قسمك وقبض قبضة من زواياها الأربع من جميع أديمها من أسودها وأبيضها وأحمرها من سهلها وجبلها وأعاليها وأسافلها ثم أتى بتلك القبضة بين يدى الله تعالى فقال الله تعالى له لم لم تجبها وقد أقسمت بى عليك فقال يارب أمرك أوجب وخوفك أرهب فقال له اذن أنت ملك الموت وقابض الأرواح ومنتزعها من الاشباح ولم يكن قبل ذلك ملك الموت قال فلما قبض منها ومضى بكت على مانقص منها فأوحى الله اليها انى سوف أرد اليك ما أخذ منك وهو قوله تعالى « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » ثم أن الله تعالى أمر عزرائيل أن يضع تلك القبضة على باب الجنة فلما وضعها أمر الله رضوان خازن الجنان أن يعجنها بماء التسنيم ثم أمر الله تعالى جبرائيل بأن يأتى بالقبضة البيضاء التى هى قلب الأرض فخلق منها الأنبياء ثم خلط الطين بالماء حتى صارت معجنة كبيرة (وقد قيل فى المعنى)

يامشتكى الهم دعه وانتظر فرجا ❊ ودار وقتك من حين الى حين
ولا تعاند اذا أصبحت فى كدر ❊ فانما أنت من ماء ومن طين

فلما عجنت تركت أربعين سنة حتى صارت طينا لازبا ثم تركت أربعين سنة أخرى حتى صارت صلصالا كالفخار ثم جعل من تلك العجينة جسدا مصورا وألقاه على طريق الملائكة التى تصعد منها وتهبط وترك أربعين سنة ملقى على تلك الهيئة قال تعالى « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا » قال ابن عباس الحين أربعون سنة (قال) الثعلبى ان الله تعالى لما عجن طينة آدم عليه السلام أمطر عليها سحائب الهموم والحزن أربعين سنة ثم أمطر عليها السرور والفرح سنة واحدة فلذلك صار الهم أكثر من الفرح والحزن أكثر من السرور (وأنشد فى المعنى)

أى شئ يكون أعجب من ذا * لو تفكرت فى صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا * والبلايا تكال بالصيعان

ثم ان الله تعالى أظهر آدم الى الوجود فكان طوله ستين ذراعا وجعل فيه ثلثمائة وستين عرقا وماتين وأربعين عصبا واثنى عشر مفصلا وفى رأسه سبع منافذ وجعل له اليدين والرجلين وغير ذلك وأتم خلقه فتبارك الله أحسن الخالقين * وقال أبو موسى الاشعرى لما خلق الله فرج آدم قال هذا أمانتى عندك فلا تضعها الا فى حقها قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما خلق الله تعالى ثلاثة بيده الأول آدم والثانى شجرة طوبى والالواح المكتوبة فيها التوراة واليد عبارة عن القدرة انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون قال ولما كان آدم عليه السلام صلصالا كالخلية كان ابليس اللعين يمر عليه ويضرب بيده على بطن آدم فمن تلك الضربة صار مكانها السرة فكانت السرة علامة من ضرب ابليس وان سبب ضرب ابليس ليعلم أهو مجوف أم صامد فلما رآه مجوفا دخل الى باطنه فاطلع على جميع أعضائه ظاهرا وباطنا وعلى عروقه الا قلبه فانه لم يطلع عليه أحد غير الله تعالى ومنع ابليس عن القلب لأنه بيت الرب ولهذا يقال ان الشيطان يجرى مجرى الدم قال فلما أراد الله تعالى أن ينفخ فى آدم الروح امرها بأن تدخل اليه من رأسه ولذلك سمى الرأس يافوخا ويروى أن الروح امتنعت من الدخول الى آدم فقالت يارب كيف أدخل الى مكان مظلم فناداها جل وعلا ثلاث مرات وهى تأبى فدخلت فى جسده كرها فأوحى الله اليها لودخلت طائعة لخرجت طائعة ولكن سبق لك فى علمى من الازل أن تدخلى كرها وتخرجى كرها فلما دخلت الروح الى دماغه استدارت فيه مائة عام ثم نزلت على عينيه فأبصرتا فنظر الى جسده وهو صلصال كالفخار ثم نزلت الى منخريه فشم الهواء فتنفس فعطس فنزلت الروح الى فمه ولسانه فألهمه الله حمده فقال الحمد لله رب العالمين فقال الله له يرحمك ربك يا آدم وهذا لك ولذريتك ولذلك سن تشميت العاطس (وروى) لما حمد الله آدم قال الله تعالى لهذا خلقتك يا آدم ثم نزلت الروح الى صدره وأضلاعه وبطنه فصار آدم ينظر الى الروح وهى تنتقل وكلما انتقلت الى عضو يصير لحما وعظما وروحا ودما فلما بلغت الروح الى ركبته أخذ يعالج القيام فلم يقدر عليه فقال الله تعالى « خلق الانسان من عجل » فلما عمت الروح سائر جسده قام وتحرك وتمايل وقد تمت خلقته باذن من يحيى العظام وهى رميم (قال) الحافظ اسماعيل السدى قرأت فى الانجيل أشياء كثيرة فمنها أن عدد ساعات الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة يتنفس فيها ابن آدم ثلاثين ألف نفس فى كل ساعة ألف ومائتان وخمسون نفسا واعتبار ذلك من الغرائب * قال

العزيزي ان الروح دخلت في جسد آدم يوم الجمعة وقد مضى من النهار سبع ساعات وهي من ساعات الآخرة ثم ان الله تعالى ألبسه من الجنة حلة خضراء من السندس وألبسه تاجا من الذهب مرصعا بالجواهر وله أربعة أركان في كل ركن منه درة عظيمة يغلب ضوؤها على ضوء الشمس وختمه بخاتم الكرامة ومنطقه بمنطقة الرضوان وسروله بسروال من السندس الأخضر ثم ظهر في جبهته نور ساطع كشعاع الشمس وهو نور محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان الله أمر الملائكة أن تحمله على أكتافها ويطوفوا به في السموات السبع فحملته الملائكة فطافوا به مقدار مائة عام حتى رأى مافيها من العجائب ثم أمر الله تعالى أن ينصب له منبر من الذهب وعلمه الأسماء كلها وهي قوله تعالى «وعلم آدم الأسماء كلها» الآية ثم ان آدم صعد المنبر و بيده قضيب من النور وذلك يوم الجمعة عند زوال الشمس فانتصب قائما وجمع الله جميع الملائكة فقال آدم السلام عليكم يا ملائكة ربي ورحمة الله وبركاته فقالت الملائكة وعليك السلام يا صفوة الله ورحمته وبركاته فقال الله يا آدم هذه تحية لك ولأولادك الى يوم القيامة فلما خطب آدم قال الحمد لله فصارت سنة في الخطبة فأول من خطب على المنبر آدم في يوم الجمعة ثم ان الله تعالى عرض الأسماء كلها على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فقالت الملائكة سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا فقال الله تعالى يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون (قال وهب بن منبه) أول من أفشى السلام آدم وفي بعض الأخبار ما أفشى السلام قوم الا أمنوا من العذاب والنقمة ثم قالت الملائكة إلهنا هل خلقت خلقا أفضل منا فقال الله تعالى أنا الذي خلقته بيدي وقلت له كن فكان ثم ان الله تعالى أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم فكان أول من سجد جبرائيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ثم ان الله تعالى أمر ابليس بالسجود لآدم فأبى وامتنع من السجود فقال الله تعالى له «مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي» فقال ابليس أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وأنا الذي عبدتك دهرا طويلا قبل أن تخلقه فقال الله تعالى لقد علمت في سابق علمي منك المعصية فلم تنفعك العبادة اخرج من رحمتي مذموما مدحورا لأملأن جهنم منك وممن تبعك فقال إبليس عند ذلك رب أنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين فعند ذلك تغير خلقته وصار شيطانا رجيما وكان اسمه عزازيل وكان من كبار الملائكة ماترك بقعة من السماء والارض الا وله فيها ركعة وسجدة ولكن بعصيانه لم تنفعه عبادته وسمي إبليس لانه أبلس من رحمة الله أي أيس وقد هجاه أبو نواس بقوله

عجبت من إبليس فى كبره * وخبث ما أضمر من نيته
تاه على آدم فى سجدة * وصار قوادا لذريته

﴿سؤال لطيف﴾ لم أهلك الله أعداء سائر الأنبياء وأبقى إبليس وهو عدو آدم عليه السلام ﴿فالجواب﴾ ان الله تعالى أبقى إبليس امتحانا للخلق وقد قال رسول الله ﷺ لو أراد الله تعالى أن لا يعصى لما خلق ابليس وأيضا بقاؤه عقوبة للكافرين ورحمة للمؤمنين فيحبهم الله بمعصيتهم لابليس وأيضا ابليس سأل ربه الانظار الى يوم البعث اهـ فلما نزل آدم عن المنبر جلس بين الملائكة فألقى الله عليه النوم لان فيه راحة للبدن فلما نام رأى حواء فى منامه قبل أن تخلق فمال اليها حين نظرها ثم أخرجها من ضلعه الأيسر فخلقت منه حواء على هيئته وأحسن الله خلقها وأعطاها حسن ألف حورية فكانت أحسن النساء اللاتى هن بناتها الى يوم القيامة وكان لها سبعمائة ضفيرة من الشعر فكانت على طول آدم وألبسها الله من الجنة الحلى والحلل فكانت تشرق إشراقا أبهى من الشمس فانتبه آدم من منامه فوجدها بجانبه فأعجبته وألقى الشهوة فى آدم فهم بها فقيل له لا تفعل حتى تؤدى صداقها فقال وما صداقها قال قد نهيتك عن شجرة الحنطة فلا تأكل منها فهو صداقها. وقيل ان الله تعالى قال أعطها صداقا قال وما صداقها قال الصلاة على نبيى وحبيبى محمد فقال آدم يارب وما يكون محمد قال إنه من أولادك وهو آخر الأنبياء ولولاه ماخلقت خلقا ثم ان الله تعالى مسح على ظهر آدم فأخرج منه ذريته كهيئة الذر ما بين أبيض وأسود من ذكر وأنثى وأفاض عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور كان مؤمنا ومن لم يصبه كان كافرا ومنهم طائفة لهم نور ساطع فقال يارب من هؤلاء قال الأنبياء من ذريتك يا آدم ثم زوج الله تعالى آدم بحواء وكان ذلك يوم الجمعة بعد الزوال ولهذا سن عقد التزويج فى يوم الجمعة . وقيل كان آدم أحسن من حواء ولكن كانت حواء ألطف وألين ثم أوحى الله تعالى الى رضوان خازن الجنان أن يزخرف القصور ويزين الولدان والحور وخلق لآدم فرسا من المسك الأذفر يسمى الميمون كالبرق الخاطف فلما أحضر بين يدى آدم ركبه وأحضر لحواء ناقة من نوق الجنة وعليها هودج من اللؤلؤ فركبت فيه على الناقة فأخذ جبرائيل عليه السلام بلجام الفرس ومشى ميكائيل عن يمينه واسرافيل عن يساره وطافوا به فى السموات كلها وهو يسلم على من يمر به من الملائكة فتقول ما أكرمك من خلق الله على الله تعالى هذا وحواء راكبة الناقة تطوف معه الى أن أتوا بها الى باب الجنة فوقفوا ببابها ساعة فأوحى الله تعالى الى آدم هذه جنتى ودار كرامتى ادخلا فيها ﴿وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ وأشهد عليهما الملائكة ثم أدخلا الى الجنة فطافت

بهما الملائكة فى الجنان وأرتهما أماكن الأنبياء جميعهم فلما وصلا الى جنة الفردوس نظرا سريرا من الجواهر وله سبعمائة قاعدة من الياقوت الأحمر وعليه فراش من السندس الأخضر فقالت الملائكة يا آدم انزل ههنا أنت وحواء فنزلا وجلسا على ذلك السرير ثم أتوهما بقطفين من عنب فكان كل قطف مسيرة يوم وليلة فأكلا وشربا وتعافيا رياض الجنة فكان آدم اذا أراد المجامعة مع حواء دخل قبة من اللؤلؤ والزبرجد وأسبلت عليهما ستور من السندس والاستبرق فكانت حواء اذا مشت فى القصور كان خلفها من الحور ما لا يحصى (قال) ابن السنى ان أول شىء أكله آدم من فواكه الجنة النبق . وقال ابن عباس انما أكلا أولا العنب وآخر شىء أكلا منه الحنطة كما سيأتى الكلام عليه وكان يشرب من خمر الجنة وكان اذا شرب به يجد سرورا زائدا فمن شرب من خمر الدنيا لم يشرب من خمر الجنة (قال أبو نواس)

جراء لا تنزل الاحزان ساحتها * لومس ذا ضر رمسته سراء

قال وزارع الحنطة يعتريه الكد والتعب دائما فى زرعها وفى حصادها الى أن تصير دقيقا لأنها أكلت أولا على العصيان (ويروى) أن المؤمنين أول ما يأكلون من الجنة العنب . وقال النيسابورى أول ما يأكلون من كبد الحوت الذى هو حامل الأرض حتى يعلم أهل الجنة بانقراض الدنيا اهـ وقال وكان آدم يطوف فى الجنة فاذا جاء الى جهة شجرة الحنطة نفر عنها للعهد الذى بينه وبين الله تعالى بعدم الأكل منها وكانت شجرة الحنطة أعظم شجر الجنة ولها سنابل وفيها الحب كل حبة قدر رأس البعير وكانت أحلى من العسل وأبيض من اللبن ولما علم إبليس بدخول آدم وحواء الى الجنة وعلم أن آدم منع من أكل شجرة الحنطة أتى الى باب الجنة وأقام عنده نحوا من ثلثمائة سنة وهى ساعة من ساعات الآخرة فكان ابليس ينظر الى من يأتى الى جهة باب الجنة قال فجاء طائر مليح الملبوس يقال له الطاوس وكان سيد طيور الجنة فلما رآه ابليس تقدم اليه وقال أيها الطائر المبارك من أين جئت فقال من بساتين آدم فقال ابليس ان لك عندى نصيحة وأريد أن تدخلنى معك فقال ولم لم تدخل بنفسك فقال انما أريد أن أدخل سرا فقال الطاوس لا سبيل الى ذلك ولكننى آتيك بمن يدخلك سرا فذهب الطاوس الى الحية ولم يكن فى الجنة أحسن منها خلقا فكان رأسها من الياقوت الأحمر وعيناها من الزبرجد الأخضر ولسانها من الكافور وقوائمها مثل قوائم البعير فقال لها الطاوس ان على باب الجنة ملكا من المكرمين ومعه نصيحة فأسرعت الحية اليه فقال هل لك أن تدخلينى الجنة سرا ولك منى نصيحة فقالت الحية وكيف الحيلة على رضوان فقال لها افتحى فاك ففتحته فدخل فيه ابليس وقال لها ضعينى عند شجرة الحنطة

فوضعته عندها فأخرج إبليس مزمارا وزمر تزميرا مطربا فلما سمع آدم وحواء المزمار جاآ ليسمعا ذلك فلما وصلا الى شجرة الحنطة قال ابليس تقدم الى هذه الشجرة يا آدم فقال إنى ممنوع فقال ابليس «ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين» فان من أكل من هذه الشجرة لا يشيب ولا يهرم ثم أقسم بالله أنها لا تضرهما وأنه لمن الناصحين لهما فظن آدم أنه لا يتجاسر أحد على أن يحلف بالله كاذبا وظن أنه من الناصحين (وقد قيل فى المعنى)

فان من يستنصح الأعادى * يردونه بالغش والفساد

فمن حرص حواء على الخلود فى الجنة تقدمت وأكلت فلما نظر آدم اليها حين أكلت ووجدها سالمة تقدم وأكل بعدها فلما وصلت الحبة الى جوفه طار التاج عن رأسه وطارت الحلل أيضا ﴿سؤال﴾ لأى شيء لما أكلت حواء من الشجرة لم تسقط الكسوة عنها فى الحال وآدم حين أكل سقطت عنه فى الحال ﴿الجواب﴾ لو سقطت فى الحال عن حواء لرجع آدم ولم يأكل وأيضا الدية على العاقلة ولان الأمر كان أولا لآدم وقال بعض العلماء ان آدم أكل وهو ناس قال الله تعالى «ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى» (وقيل فى المعنى)

لقد نسيتك والنسيان مغتفر * وان أول ناس أول الناس

فلما أكل آدم من الشجرة أوحى الله تعالى الى جبرائيل عليه السلام بأن يقبض على ناصية آدم وحواء ويخرجهما من الجنة فأخرجهما جبرائيل من الجنة ونودى عليهما بالمعصية . قال فكان آدم وحواء عريانين فطافا على أشجار الجنة ليستترا بأوراقها فكانت الأشجار تنفر عنهما ورحمته شجرة التين فغطته فتستر بورقها وقيل غطته شجرة العود فلذلك أكرمها الله بالرائحة الطيبة وأكرم شجرة التين بالثمر الحلو الذى ليس له نوى وقيل غطته شجرة الحناء فلذلك صار أثرها طيبا مفرحا ولذلك سميت الحناء (قال) كعب الأحبار لما صار آدم عريانا أوحى الله تعالى اليه أن اخرج الىّ لأنظرك فقال آدم يارب لا أستطيع ذلك من حيائى منك وخجلى ولهذا المعنى قيل

بفرد خطيئة و بفرد ذنب * من الجنات أخرجت البرايا
فكيف وأنت تطمع فى دخول * اليها بالألوف من الخطايا

(قال) ثم ان جبرائيل أخذ بيد آدم وهو عريان مكشوف الرأس فهبط به الى الأرض عند غروب الشمس من يوم الجمعة فأهبط على جبل من جبال الهند يقال له الراهون وتقدمت صفة هذا الجبل فى ذكر الجبال (وأما حواء) فقد ذهب عنها حسنها وجمالها وابتليت بالحيض

وانقطع عنها ذكر النسب فيقال أولاد آدم ولا يقال أولاد حواء لانها غرت آدم مع ابليس حيث ابتدأت بالأكل وفى المعنى قيل

وكم من أكلة منعت أخاها * بلذة ساعة أكلات دهر
وكم من طالب يسعى لشئ * وفيه هلاكه لو كان يدرى

وأهبطت حواء عند ساحل البحر المالح بجدة قال الله تعالى « قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين » وأما ابليس اللعين فانه خرج عن طور الملائكة وصار شيطانا رجيما فلما أهبط من الجنة نزل بأرض العراق نحو البصرة قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أهبط ابليس الى الارض نكح نفسه بنفسه فباض أربع بيضات ففرق فى كل قطر من الاقطار بيضة فجميع من فى الارض من الشياطين من تلك البيضة وقال مجاهد انه نكح الحية التى دخل فى جوفها فى الجنة حين أهبطت الى الأرض فباضت الاربع بيضات ﴿ وأما الطاوس ﴾ فانه ذهبت عنه الجواهر و بعض الحسن وأهبط أيضا الى الارض ونزل فى أرض بابل وقيل بأرض أنطاكية ﴿ وأما الحية ﴾ فمسخ شكلها وصار فيها السم وسببه ان ابليس اختبأ تحت أنيابها وأدخلته الى الجنة وخرس لسانها وصارت تمشى على بطنها زحفا ونزلت الى الارض باصبهان ﴿ قال ﴾ ابن عباس كانت اقامة آدم وحواء فى الجنة مدة نصف يوم من أيام الآخرة وهو مقدار خمسمائة عام من أعوام الدنيا فلما هبط آدم ألقى الله عليه النوم فنام فألقى الله النوم على جميع من فى الأرض من الحيوانات الوحش والطير وكل شئ فيه روح ولم يكن قبل ذلك يعرف النوم فسمى ذلك اليوم يوم السبت فلما طلع النهار ورأى آدم الشمس وهى تدور مع الفلك تعجب من ذلك فلما تعالت فى الفلك أحرقت جسد آدم لانه كان عريانا مكشوف الرأس فأتاه جبريل فشكا اليه من ذلك فمسح على رأسه بيده فحط من ذلك الطول خمسة وثلاثين ذراعا قال قتادة كان آدم اذا عطش يشرب من السحاب و يروى أنه لما طلع الشعر على رأسه وطالت أظفاره أتاه جبرائيل فحلق رأسه وقص أظافره ودفن ذلك فى الأرض فأنبت الله منه النخل ولهذا قيل أكرموا عمتكم النخل وقال ابن عباس مكث آدم فى الارض ثلثمائة سنة لم يرفع رأسه الى السماء حياء من الله تعالى وأقام يبكى نحو مائتى سنة فنبت العشب من دموعه وصارت الطيور والوحوش تشرب من دموعه * ثم ان آدم شكا الى جبرائيل العرى وحر الشمس فمضى جبرائيل الى حواء ومعه كبش من الجنة فقص من صوفه ودفعه الى حواء وعلمها كيف تغزل الصوف فلما علمها وغزلته علمها كيف تنسجه فنسجته عباءة فأخذها جبرائيل ومضى بها الى آدم فستر بها جسده ولم يقل له

هذه العباءة من عند حواء ثم انه شكا من الجوع لأنه أقام أربعين سنة لم يأكل ولم يشرب فمضى جبرائيل وأتاه بثورين من الجنة أحدهما أسود والآخر أحمر وعلمه كيف يحرث فحرث ثم أتاه بكف من الحنطة وعلمه كيف يزرع فزرع * (نكتة) بينما آدم يحرث في الارض اذ وقف أحد الثورين فضربه بعصا كانت بيده فأنطق الله تعالى ذلك الثور فقال لم ضربتني فقال لاجل مخالفتك لي فقال له الثور لطف الله بك حيث لم يضرب بك حين خالفته فبكى آدم وقال إلهي صار كل شيء يوبخني حتى البهائم فأمر الله جبرائيل أن يمسح على لسان البهائم فأخرست وكانت البهائم تتكلم قبل هبوط آدم الى الأرض فلما زرع آدم نبت في الحال وأسبل وأدرك القمح من يومه فعلمه جبرائيل كيف يحصد فحصد ودرس وذرى في الهواء فقال آدم لجبرائيل آكل فقال اصبر ثم قطع من الجبل حجرين فطحن بهما فلما صار دقيقا قال آدم آكل فقال اصبر ثم مضى وأتاه بشرارة نار من نار جهنم بعد أن غمسها في الماء سبع مرات ولولا ذلك لأحرقت الأرض ومن عليها ثم ان جبرائيل علمه كيف يخبز فخبز ثم قال لجبرائيل آكل فقال اصبر حتى تغرب الشمس فيتم لك الصوم فكان آدم أول من صام على وجه الأرض فلما غربت الشمس ووضع آدم الرغيف بين يديه ومد يده ليأخذ من الرغيف لقمة فر الرغيف من بين يديه وسقط من أعلى الجبل فتبعه آدم وأخذه فقال له جبرائيل لو صبرت لأتاك الرغيف من غير أن تقوم اليه * ويروى أن آدم لما أكل من الرغيف ادخر منه الى الليلة القابلة فقال له جبرائيل لولا أنك فعلت ذلك لما كان أحد من أولادك يدخر فصار ذلك عادة لبني آدم (وقيل) ان آدم لما أكل الخبز عطش فشرب عليه الماء ووجد في نفسه تشكيا لم يعهده فلما أتاه جبرائيل شكا له ذلك ففتق جبرائيل عن دبره فبال وتغوط من وقته وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان آدم اذا جاع نسي حواء واذا شبع تذكرها فقال يوما لجبرائيل يا جبرائيل هل حواء على قيد الحياة أم ماتت فقال بل في قيد الحياة وأنها أصلح حالا منك لانها على ساحل البحر تصطاد الأسماك وتأكل منها فقال آدم يا جبرائيل اني رأيتها في منامي في هذه الليلة فقال جبرائيل يا آدم أبشر فما أراك الله اياها الا لقرب الاجتماع قال ابن عباس رضي الله عنهما لما انقضت أيام المحنة عن آدم عليه السلام وتاب فتاب الله عليه وهو قوله تعالى «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم» قال بعض العلماء ألهمه الله أن يقول «ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين» وقيل ان آدم قال يارب بحق محمد الا ما غفرت لي خطيئتي فأوحى الله تعالى اليه وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه بعد فقال آدم لما خلقتني رفعت رأسي فرأيت مكتوبا على قوائم العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تقرن

اسمك الا باسم من هو أحب الخلق عليك فقال صدقت يا آدم وقد غفرت لك خطيئتك اذ سألتني بحق محمد * قال الثعلبي ثم ان الله تعالى أوحى الى آدم بأن ارحل من أرض الهند الى مكة وطف حول مكان البيت واسألني المغفرة فأغفر لك خطيئتك * قيل ان الله تعالى انزل ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة على قدر الكعبة وذلك مكان الحشفة البيضاء التى امتدت منها الارض كما تقدم وجعل من داخلها قناديل من ذهب تضيء بالنور . ثم أرسل الله لآدم ملكا يقوده ويرشده الى طريق مكة وأنزل عليه عصا من شجر الآس . طولها عشرون ذراعا وهي من أشجار الجنة فكان آدم يمشي فتطوى له الارض فصار كل مكان وضع عليه قدمه يصير قرية فلما دخل آدم مكة أوحى الله تعالى اليه أن يطوف بذلك البيت فطاف به سبعا مكشوف الرأس عريان الجسد وذلك سنة الحج . فلما فعل ذلك آدم غفر الله خطيئته وتاب عليه وصار الطواف يكفر الذنوب وقيل في المعنى

خزيا لابليس فقد * نلنا الخلاص من يديه
وان في طوافنا * دائرة السوء عليه

* وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان إبليس اللعين قال يارب ان شأن عبادك عجيب أحبوك وعصوك وأبغضوني وأطاعوني . فأوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي لأجعلن حبهم لي كفارة لطاعتك وبغضهم لك كفارة لمعصيتي اه قال ولما تاب آدم أمره الله تعالى أن يخرج الى عرفات فلما خرج الى عرفات وقف بها . واذا بحواء أقبلت نحو آدم فاجتمعا على ذلك الجبل فمن يومئذ صار الوقوف على ذلك الجبل سنة الحاج ، وانما سمى عرفات لأن آدم وحواء تعارفا فيه . ثم ان آدم أقام في مكة مدة يسيرة ثم ارتحل الى أرض الهند هو وحواء (وروى) أن المدة التى كانت بين آدم وحواء متفرقين خمسمائة عام * وروى أن آدم لما خرج من الجنة تستر بورق الجنة فلما صار في الارض يبس الورق وتناثر على الارض فجميع ما في الهند من الروائح الطيبة سببها ذلك * قيل ان الله أنزل على آدم ثمانية أزواج من الأنعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين وأمره أن يشرب من ألبانها ويكتسى من أصوافها

وكان آدم وحواء يبكيان على ما فات من نعيم الجنة فخرج من دموعهما الحمص والفول (ويروى) أن آدم عليه السلام شكا الى الله تعالى فقال يارب لا أعلم أوقات العبادة فأنزل الله اليه ديكا من الجنة على قدر الثور العظيم وهو أبيض اللون فكان اذا سمع الديك تسبيح الملائكة في السماء يسبح في الارض فيعلم آدم من ذلك أوقات العبادة . ثم ان آدم غرس الأشجار وحفر الآبار وعمر الدار ثم أنزل الله على آدم إحدى وعشرين صحيفة . فيها تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك وأنزل عليه حروف الهجاء وهي تسعة وعشرون حرفا فتعلمها

آدم لاجل أن يقرأ الصحف ولا يقدر أحد أن يزيد فيها حرفا واحدا فان حكم الاله محكمة متقنة ﴿ ومن النكت اللطيفة ﴾ قيل ان صبيا صغير السن لقى أبا العلاء المعرى فقال له ألست القائل

وانى وان كنت الأخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الأوائل

فقال أبو العلاء نعم قلت ذلك فقال الصبي الأوائل أتوا بحروف الهجاء تسعة وعشرين فائت أنت بحرف واحد زيادة عن ذلك يحتاج الناس اليه و ينطقون به فعند ذلك سكت أبو العلاء ولم يتكلم بشئ فلما انصرف الصبي سأل عنه أبو العلاء فقيل له هو ابن فلان فقال قريب يموت فلم تمض أيام حتى مات الصبي فقال أبو العلاء ذكاؤه قتله ثم رثاه بعض الناس بقوله

مولاى انى رأيت الدهر ذا عجب * لا يستقيم لذى فضل على سنن
يقصى الذكى ويدنى كل ذى حمق * أو فاسد صالح للجل والرسن
مازال طبعا يعادي كل ذى فطن * كأن حقا عليه بغضة الفطن

قال الثعلبي لما حملت حواء من آدم تحرك الجنين فى بطنها لوقته ففزعت حواء وكانت تقول من أين يخرج هذا المتحرك منى فلما ولدت وضعت اثنين ذكرا وأنثى فسمى الذكر هابيل والانثى ليوثا فلما انقضى زمن الولادة وطهرت أراد أن يواقعها فأبت لما رأت من ألم الولادة فلا زال بها حتى واقعها وقيل كانت تمانعه مع محبتها لذلك ولكن تخاف من أمر الولادة كما ذكر الحكماء ان فى الرجال شهوة واحدة وفى النساء تسعة ولكن غلب الحياء عليهن فلم يظهرن شيئا من ذلك توفيقا وفى الحديث يتمنعن وهن الراغبات * قال وحملت حواء ثانيا فجاءت بذكر وأنثى فى بطن واحدة فسميا هما قابيل واقليما و يقال ان مجموع ما ولدت حواء عشرون بطنا فى كل بطن اثنان ذكر وأنثى فكان لها من الاولاد أربعون ولدا ذكورا وأناثا وقيل مائتا ولد ولم تلد فى بطن واحد غير شيث وكان فى جبهته نور المصطفى صلى الله عليه وسلم (ويروى) ان أولاد آدم لم يزالوا يتناسلون فى مدة حياته حتى بلغ عددهم نحوا من أربعين ألفا ذكورا وأناثا وهو قوله تعالى «الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء» * ويروى ان آدم لما تكاثر نسله صاروا يتشاجرون فانزل الله تعالى لآدم عصا من الجنة ليؤدب بها أولاده اذا عصوه ولهذا يقال العصا من الجنة (قال) الثعلبي لما كبر قابيل فوض اليه آدم أمر الزرع وفوض أمر الغنم الى هابيل فأوحى الله تعالى الى آدم بان يزوج اقليما بهابيل وان يزوج ليوثا بقابيل فأبى قابيل ان يتزوج بليوثا وقال لا أتزوج الا باقليما لانها ولدت معى فى بطن واحد وهى أحب الى من أخت هابيل وكان يومئذ نكاح الاخت

جائزا لتكاثر النسل فعند ذلك قال آدم يابنى لاتعص الله فيما أمرنى به فقال لاأدع أختى أن يأخذ أقلبا . فقال آدم اذهب أنت وأخوك فقربا الى الله تعالى قربانا وليكن من أطيب ماعندكما ثم يقف كل منكما وينظر من يتقبل قربانه فهو أحق باقليا فرضيا بذلك وخرجا وتوجها الى مكة فصعدا على جبل من جبالها وقرب هابيل قربانا من خيار غنمه وقرب قابيل قمحا لم يدرك فى سنبله ثم وقف قابيل وهابيل ينتظران مايكون من أمرهما فنزلت من السماء غمامة بيضاء فأشرفت على قربان قابيل ثم أعرضت عنه ومالت الى قربان أخيه هابيل فاحتملته وصعدت به الى السماء وهو قوله تعالى «فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر» الآيتين فقال قابيل لأخيه ان تأخذها قتلتك ولاأدع لك أختى الحسناء وماأنا آخذ أختك القبيحة وبقى قابيل متحيرا كيف يقتل هابيل فأتاه ابليس اللعين على صورة بعض اخوانه فأخذ حجرين من الارض وضرب أحدهما بالآخر فانفلق الحجر نصفين وقابيل ينظر الى ذلك فقال لم لاأفعل بهابيل كذلك فنهض قابيل من وقته وأتى الى أخيه هابيل فوجده نائما تحت جبل من الجبال فعمد قابيل الى صخرة فاحتملها وألقاها على رأس أخيه فقتله ومات وهو أول من قتل ظلما من أولاد آدم وكان عمره عشرين سنة فلما قتله بقى متحيرا كيف يصنع به فجعله فى جراب وحمله على ظهره وطاف به الأرض وكانت السباع والطيور تحوم حوله وتنتظر متى يتركه لتأكله حتى بعث الله له غرابين فقتل أحدهما الآخر فلما قتله حفر له الأرض بمنقاره وبرجله ووضعه فى حفرة ورد عليه التراب فعند ذلك قال قابيل «ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين» قال بعض المفسرين لم يندم قابيل على القتل ولكنه ندم على حمله حيث حمله قيل حمله سنة ولم يدر كيف يصنع به (قال) صاحب مرآة الزمان ان أرباب النجوم يذكرون أن كوكب الذنب لم يظهر فى الدنيا الا عند قتل هابيل وعند القاء ابراهيم الخليل فى النار وعند هلاك قوم عاد وعند غرق فرعون واستمر من يومئذ لا يظهر الا عند ظهور أمر من طاعون أو قتل ملك من الملوك وقد ظهر فى أول الاسلام عند غزوة بدر الكبرى وظهر عند قتل الامام عثمان بن عفان رضى الله عنه وعند قتل على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهذا أمر قد جرب والله أعلم . قال الثعلبى لما قتل هابيل تزلزلت الارض وهى أول زلزلة وقعت فى الارض وكانت فى اليوم تزلزل سبع مرات الى سبعة أيام من قتل هابيل وفى ذلك كسفت الشمس وهو أول كسوف وقع فى الدنيا . قال الثعلبى لما قتل هابيل نبت الشوك فى الأشجار وتغير طعم الفواكه وملح طعم الماء وكان آدم بأرض الهند ولم يكن عنده علم بقتل ابنه هابيل وكان يحبه . قال ابن عباس لما قتل

قابيل أخاه هابيل كان فى جبل قاسيون فى مغارة الدم فشربت الارض الدم . فأوحى الله تعالى الى قابيل أين أخوك فقال لا أدرى فأوحى الله اليه ان صورة دم أخيك تنادى من الأرض بانك قتلته فقال قابيل يارب وأين دمه فمن يومئذ حرم الله على الارض أن تشرب الدماء جميعا ولما رأى آدم ضيقا فى صدره خرج فى الارض ليرى ماحدث فيها فلما وصل الى جهة أولاده رأى ابنه هابيل قد قتل وأخذ قابيل الأغنام وتزوج باقليما فعند قدوم آدم هرب قابيل وساح فى الارض خوفا من أبيه وفى ذلك يقول القائل

من فتنة النسوان كم يعصى الفتى * أمر الاله بطاعة الشيطان
واللص لولاهن لم يك بائعا * للروح منه بأبخس الأثمان
قابيل لولاهن لم يقتل أخا * ولا رضى بالذل والعصيان
وبهن صار لآدم مع يوسف * فيما حكاه الله فى القرآن
وكذاك هاروت ببابل منكس * ومعلق بالرجل فى الجذعان
مجنون ليلى جن فى حب النسا * كل الأذى يأتى من النسوان
فترى البلا منهن يأتى والوفا * منهن لا يأتى مدى الأزمان
كن ما استطعت من النساء بمعزل * ان النساء حبائل الشيطان

﴿ومن النكت اللطيفة﴾ ماحكى أن بعض الملوك كان مغرما بحب النساء وكان له وزير ينهاه عن ذلك ولازال ينهاه حتى قصر عن نسائه وجواريه فلما رأت النساء من الملك التقصير سألنه عن ذلك وألححن عليه فى الجواب فقال ان الوزير هو الذى ينهانى عنكن فعند ذلك أبرزت النساء جارية حسناء لم يكن عند الوزير مثلها ولارأى قط أجمل منها وسألن الملك أن يهبها للوزير وكن قد أمرنها بان تمانع الوزير ولم تتركه يفعل شيئا حتى تضع على ظهره سرجا وفى فمه لجاما وتركب على ظهره فى ليلة معينة وأعلمن الملك بذلك وسألنه أن يهجم على الوزير فى تلك الليلة فأجابهن الملك الى ذلك كله وأعطى الوزير الجارية فأراد أن يواقعها فتمنعت ولم يجد الصبر عنها فقالت له ان كنت تفعل ما آمرك به مكنتك من نفسى فقال لا أخالفك فى شىء فقالت له ائتنى بسرج ولجام ففعل فلما حضر أسرجته وألجمته وركبت على ظهره فبينماهما على ذلك واذا بالملك قد هجم عليهما ورآهما على تلك الحالة فقال للوزير ألم تكن تنهانى عن حب النساء وهذه حالتك معهن فقال له الوزير أعز الله الملك كنت أخاف عليك أن يقع لك معهن مثل هذا الحال التى وقعت أنا فيها فضحك الملك وعفا عنه وانصرف. قال فلما تحقق آدم قتل ولده بكى ولما تحققت حواء ذلك صرخت فصار ذلك سنة فى أولادها وقت

المصيبة . وأنشأ آدم يرثي ابنه فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح
فمالي لا أنوح بسكب دمع * وأجفان مسهدة قروح
قتل قابيل هابيلا أخاه * فوا أسفا على الوجه الصبيح

وقيل هذا أول شعر قيل في الارض وأجمع أهل التواريخ على صحة ذلك ماعدا الشيخ أبا الفرج ابن الجوزي فانه ينكر ذلك ويقول ان آدم لم ينطق بالشعر ومما يؤيده انه كان سريانيا وان صح فانها كلمات سريانية وعربت أبيات شعر اه قال الثعلبي لما علم آدم بقتل هابيل أقام ستة لا يضحك ولا يطأ حواء فأوحى الله تعالى اليه يا آدم الى كم هذا البكاء والحزن انى معوضك عن هذا الولد بولد يكون صديقا نبيا وأجعل من نسله الأنبياء الى يوم القيامة وعلامته أنه سيوضع وحده في بطن واحد فاذا ولد فسمه شيثا ومعناه بالسريانية عبد الله فلما حملت به حواء لم تجد له ثقلا وولدته من غير مشقة ولما ولدت حواء شيثا كان مامضى من قتل قابيل مائة سنة . ذكر الثعلبي أنه لما ولد شيث وكبر اعتزل آدم الى عبادة ربه وقراءة الصحف وصار شيث يتولى أمر اخوته ويقضي بينهم بالحق فبينما آدم في خلوته يعبد الله تعالى اذ أوحى الله اليه يا آدم أوص ولدك شيثا بما أوصيتك به فاني مذيقك الموت الذي كتبته عليك وعلى أولادك الى يوم القيامة ففزع آدم من هذا المقال وقال يارب ماهذا الموت الذي تتوعدني به ثم ان آدم أحضر شيثا وأوصاه بشيء كثير حتى أعلمه بوقوع الطوفان وهلاك العالم وعلمه أوقات العبادة من الليل والنهار وأخرج له سمطا من حرير أبيض كان فيه صور الأنبياء ومن يملك الدنيا الى يوم القيامة وكان هذا السمط أنزل على آدم من الجنة فعرضه على شيث وأمره أن يطويه ويضعه في تابوت ويقفل عليه ثم ان آدم عمد الى شعرات من لحيته ووضعهن في التابوت وقال يابني خذ هذه الشعرات فاذا أهمك أمر فاحملها معك فانك تظفر بأعدائك مادامت هذه الشعرات معك واذا رأيتها قد ابيضت فاعلم بان أجلك قد قرب وتموت في تلك السنة . ثم ان آدم نزع خاتمه ودفعه الى شيث وسلمه التابوت والصحف التي أنزلت عليه وقال له يابني حارب أخاك قابيل فان الله ينصرك عليه انتهى ذلك . ويروى ان آدم عاش من العمر ألف سنة من حين أهبط الى الارض وقد قال القائل في المعنى شعرا

ترجو البقاء بدار لا ثبات لها * فهل سمعت بظل غير منتقل
قد ذقت شدة أيامي ولذتها * فما حصلت على صاب ولا عسل

﴿ومن الاخبار العجيبة﴾ ماروى ان ابليس أتى الى موسى بن عمران عليه السلام وقال له اذا ناجيت ربك فاشفع لى عنده وسله هل لى عنده من توبة اذا تبت فلما ناجى موسى ربه قال الهى هل تقبل توبة من ابليس اذا تاب فقال الله عز وجل ياموسى سبق فى علمى انه لن يتوب ولكن أنا التواب الرحيم فان تاب يسجد لآدم فان سجد له على قبره قبلت توبته فلما رجع موسى أتى اليه ابليس وقال له ياموسى ماصنعت بحاجتى فقال له موسى الأمر معلق على سجودك عند قبر آدم فقال له أنا ماسجدت له وهو حى فكيف أسجد له وهو ميت . وروى أن ابليس اذا مات عند ميعاده يرسل الله اليه ملائكة من أعوان عزرائيل ليقبضوا عليه لأجل قبض روحه فينهزم ابليس فى جهات البر والبحر فلم يجد له ملجأ حتى يأتى عند قبر آدم فيسجد له فيقال ان الله تعالى أغلق باب التوبة فلم يقبل منك فيتحقق عدم القبول فيقول تجاهلا لو علمت ان هذا قبر آدم لما وقفت هنا وسجدت فتقبض عليه الملائكة و يقبض عزرائيل روحه أشد القبض وروى انه اذا كان يوم القيامة وصار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار يأمر الله تعالى أن يخرج ابليس من النار فى كل مائة ألف سنة مرة و يخرج آدم من الجنة و يأمر الله ابليس أن يسجد لآدم فيأبى ابليس عن ذلك فيرده الله الى النار و يرد آدم الى الجنة وقد قال الله تعالى «ان الشيطان للانسان عدو مبين» انتهى ما أوردناه عن قصة آدم عليه السلام على سبيل الاختصار

﴿قصة شيث بن آدم عليه السلام﴾

قال وهب بن منبه لما توفى آدم كان شيث ابن أربعمائة سنة وكان قد أعطاه التابوت والسمط وسيفه وفرسه الميمون الذى نزل اليه من الجنة وكان اذا صهل أجابته دواب الارض بالتسبيح وأوصاه بالقتال مع أخيه قابيل فخرج شيث لقتال أخيه قابيل فخار به وهو أول حرب جرى فى الارض بين بنى آدم فانتصر شيث وأسر قابيل فقال قابيل وهو أسير احفظ ياشيث ما بيننا من الرحم فقال له لأى شىء لم تحفظه وقتلت أخاك هابيل ثم أخذه شيث وغل يده فى عنقه وأوقفه فى الحر حتى مات فأراد أولاده دفنه فجاء اليهم ابليس فى صورة ملك من الملائكة وقال لأولاده لاتدفنوه فى الارض ثم أتاهم بحجرين من البلور وجوفهما وأمر أولاده بان يدخلوا قابيل بين الحجرين من البلور و يلبسوه أنخر الثياب و يدهنوا جسده بادوية مفردة حتى لايجف ثم أمر أولاده أن يقفوه فى بيت وهو على كرسى من ذهب وأمر كل من يدخل عليه أن يسجد له ثلاث سجدات وأمرهم بأن يجعلوا له فى كل سنة عيدا و يجتمعوا حوله ثم ان ابليس وكل به شيطانا فكان يكلمهم فأقام الناس يسجدون لقابيل مدة من الزمان ثم رجع شيث الى الهند وأقام يقضى بين الناس بالحق . قال وهب بن

منبه ان حواء زوجة آدم توفيت فى زمن ابنها شيث ولم تقم بعد آدم غير سنة وكان موتها فى يوم الجمعة فى الساعة التى خلقت فيها ويقال انها دفنت الى جانب قبر آدم عليهما السلام ثم أنزل الله على شيث خمسين صحيفة وهو أول من نطق بالحكمة وأول من أخرج المعاملة بالذهب والفضة وأول من أظهر البيع والشراء واتخذ الموازين والكيل وهو أول من استخرج المعادن من الارض * ثم ان شيثا ولد ولدا ذكرا سماه أنوش وكان شيث فى جبهته نور محمد ﷺ الذى انتقل اليه من آدم فلما ولد أنوش انتقل النور الى جبهته فعلم شيث أن أجله قد قرب فنظر الى الشعرات فوجدها قد ابيضت فمات شيث فى تلك السنة وكان له من العمر تسعمائة سنة

﴿ ذكر قصة أنوش بن شيث ﴾

قال وهب بن منبه لما مات شيث استخلف بعده ابنه أنوش وتسلم التابوت والسمط والصحف والخاتم فسار أحسن سيرة وقضى بالحق * ثم تزوج أنوش بامرأة فحملت منه بولد فلما ولدته صار النور فى وجهه وسمته قينان فاستمر أنوش على ذلك حتى حضرته الوفاة فسلم التابوت والصحف الى ابنه قينان وأوصاه واستخلفه بعده

﴿ ذكر قصة قينان بن انوش ﴾

قال وهب بن منبه لما استخلف قينان بعد أبيه أنوش ظهر بين الناس بالعدل وسار سيرة حسنة ثم تزوج بامرأة يقال لها عطنوك فحملت منه بولد ذكر فلما وضعته سمته مهلائيل فانتقل النور الى جبهته * ثم ان قينان مرض مرض الموت فسلم ابنه مهلائيل التابوت والصحف واستخلفه من بعده * ثم مات مهلائيل وانتقل النور الى ابنه يرد ثم مات يرد فانتقل النور الى ولده أخنوخ وهو ادريس عليه السلام ﴿ قال ﴾ وهب ابن منبه ماسمى ادريس الا لكثرة دراسته فى الصحف ﴿قال﴾ ابن عباس بعث الله ادريس الى بنى قابيل وكانوا يعبدون الاصنام وحادوا عن توحيد الله تعالى واتخذوا لهم خمسة أصنام يعبدونها من دون الله وهى ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر التى ذكرها الله فى القرآن العظيم فلما تزايد فى أمرهم بعث الله اليهم ادريس عليه السلام فكان يدعوهم فى الجمعة ثلاثة أيام وكان ادريس عنده شدة بأس وصلابة فى أمره ونهيه وهو أول من خط بالقلم وأول من كتب الصحف وأول من نظر فى علم النجوم والحساب وهو أول من خاط الثياب ولبس المخيط وكان اذا خاط يسبح الله عند كل غرزة من الابرة فاذا غفل وخاط يفتق ماخاطه بغير تسبيح وكان لا يأكل الا من كسب يده وكان يخيط للناس بالاجرة وهو أول من صنع المكيال * قيل قبل زمن ادريس كان الناس يلبسون الاردية بغير خياطة فلما صنع ادريس الخياطة وخاط استحسن الناس ذلك ولبسوا المخيط ثم أنزل الله على ادريس ثلاثين صحيفة فكان

لا يفتر عن قراءتها ليلا ولا نهارا وكانت الملائكة تأتى لمصافحة ادريس وكان يرفع كل يوم لادريس من العبادة بقدر ما يرفع لغيره من كل الناس حتى تعجبت منه الملائكة وحسده ابليس اللعين على ذلك ولم ير له عليه سبيلا (وروى) ان ملك الموت استأذن ربه بان يزور ادريس فاذن له فى زيارته فأتى اليه فى صورة رجل فقال له ادريس من أنت أيها الرجل فقال له أنا ملك الموت استأذنت ربى فى زيارتك فأذن لى فى ذلك فقال له ادريس ان لى اليك حاجة قال وما هى قال أن تقبض روحى فى هذه الساعة فقال له ملك الموت ان ربى لم يأذن لى بذلك فأوحى الله الى ملك الموت انى علمت ما فى نفس عبدى ادريس فاقبض روحه فقبضها فى الحال ثم ان الله تعالى أحياه فى الحال فقال يا ملك الموت بقى لى حاجة أخرى فقال ما هى قال ادريس أن تمضى بى الى جهنم لأنظر أهوالها فاذن الله بذلك فحمله ملك الموت وأتى به الى مالك خازن النار فأوحى الله الى مالك خازن النار بان أوقف عبدى ادريس على شفير جهنم لينظر ما فيها فلما وقف ادريس ونظر غشى عليه من أهوالها فجاء اليه ملك الموت واحتمله الى مكانه الذى أخذ منه فصار ادريس من ذلك اليوم لاتكتحل عينه بمنام ولا يهنأ بطعام ولا بشراب ولا يقر له قرار من الهول الذى رآه فى النار . ثم ان ادريس انعكف على عبادة الله تعالى وتزوج بامرأة فحملت منه بولد ذكر فلما وضعته سماه متوشلخ وانتقل النور الذى كان فى جبهة ادريس الى جبهة ابنه متوشلخ فلما كبر عهد اليه ادريس وسلمه الصحف والسمط والتابوت وأوصاه بقراءة الصحف ولزوم الصلاة وقال له يا بنى انى صاعد الى السماء ولا أعلم هل أرجع أم لا فاقبل منى ما أوصيتك به ثم ان ادريس دخل الى محرابه وسأل الله أن يريه الجنة كما أراه النار فأوحى الله الى رضوان خازن الجنان بان يدلى الى ادريس غصنا من أغصان الجنة فأدلى له رضوان غصنا من أغصان شجرة طوبى فتعلق به وصعد الى السماء فأدخله رضوان الجنة فرأى ما فيها من النعيم فلما أطال ادريس الجلوس فى الجنة قال له رضوان اخرج فقد نظرت الجنة وما فيها فقال له ادريس ما أنا بخارج منها وقد قال الله تعالى «كل نفس ذائقة الموت» وقد ذقته وقال تعالى «وان منكم الا واردها» وقد وردتها وقال تعالى «وما هم منها بمخرجين» فما أنا بخارج منها فأوحى الله تعالى الى رضوان قل لعبدى ادريس لا يخرج منها أبدا (قال) وهب بن منبه رفع ادريس الى السماء وهو ابن ثلاثمائة وخمس وستين سنة . قال ابن الجوزى ان ادريس وعيسى ابن مريم حيان فى السماء ادريس فى السماء الرابعة تارة يعبد الله فى السماء وتارة يتنعم فى الجنة قال الله تعالى «واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا» (قال) الكسائى لما رفع ادريس الى السماء وعلمت الملائكة أنه لا يبرح منها قالت الملائكة

إلهنا وسيدنا ومولانا ما كان لهذا العبد الخاطئ أن يصير في مقام الملائكة المقربين فأوحى الله اليهم انكم عبرتم بني آدم بفعلهم فلو ركبت فيكم ما ركبت فيهم من الشهوة وقدرت عليكم ما قدرت عليهم من الخطايا لفعلتم أعظم من فعلهم فقالوا سبحانك ربنا ما ينبغي لنا أن نعصيك فأوحى الله تعالى اليهم بأن يختاروا منهم ملكين من خيارهم فيهبطهما الى الارض و يركب فيهما الشهوة مثل ما ركبها في بني آدم فاختارت الملائكة ملكين من خيارهم يقال لهما هاروت وماروت فركب الله فيهما الشهوة وأهبطهما الى الارض وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك بالله وعن قتل النفس بغير حق وعن الزنا وعن شرب الخمر فجعلا يقضيان بين الناس بالحق بالنهار فاذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم فيصعدان الى السماء فاستمرا على ذلك شهرا واحدا فأتت إليهما امرأة من أجل النساء في الحسن والجمال والقد والاعتدال لابسة أفخر الثياب وكان اسمها الزهرة وكانت من أهل فارس وتحكم على عدة مدن فدخلت على هاروت وماروت وهي في زينتها وقد أسدلت شعرها من خلفها وأسفرت عن وجهها ثم شكت الى ذينك الملكين من خصمها فلما رأياها افتتنا بحبها فلما انصرفت عادت اليهما في اليوم الثاني فصار كل واحد منهما يحدث صاحبه بما عنده من الشغف بها فلما تزايد بهما الامر راوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت اليهما في اليوم الثالث فراوداها عن نفسها فأبت وقالت لهما لا أمكنكما مما أردتماه حتى تفعلا ما أريد أن تسجدا للصنم وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذا فان الله تعالى نهانا عنه فأبيا عن ارادتها وأبت عن ارادتهما وانصرفت عنهما فزادبهما الوجد فتوجها الى بيتها وطرقا عليها الباب فرحبت بهما فدخلا عليها فأحضرت لهما طعاما فأكلا منه ثم روداها عن نفسها فقالت انكما تعلمان ما أردت منكما فقالا ان الشرك عظيم والقتل عظيم وأما شرب الخمر فانه أهون هذه الأشياء ثم نستغفر الله ولم يعلما أن الخمر أم المعاصي فتقدما وشربا بالخمر فلما انتشيا وقعا على المرأة فزنيا بها فرآهما انسان فقتلاه خوفا من أن ينم عليهما فأمرتهما أن يسجدا للصنم فسجدا وكفرا . وقيل فيه

تركت المدام وشرب المدام * وصرت صديقا لمن عابه
شراب يضل سبيل الهدى * ويفتح للشرّ أبوابه

(قال) فلما فعل هاروت وماروت هذه الفعال ووقعا في الذنوب أرادا أن يصعدا الى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا نبي الله ادريس عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما عند الله تعالى وقالا له انا رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاشفع لنا الى الله تعالى قال ففعل ادريس ذلك فخيرهما الله بين عذاب

الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة فهما يعذبان ببابل في جب معلقين بشعورهما منكسين على رءوسهما في سلاسل من حديد يعذبان بالعطش و بين لسانيهما و بين الماء مقدار يسير كعرض الاصبع وجميع دخان الدنيا داخل في أنفيهما زيادة في عذابهما وأعينهما شاخصة مزرقة ووجوههما مسودة وهما في هذه الحال الى يوم القيامة و يروى أن رجلا أتى اليهما من أرض بابل ليتعلم منهما شيئا من السحر فلما دخل عليهما ذلك الرجل رآهما فيما ذكرناه فقال الرجل أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما سمعاه قالا له من أي أمة أنت قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقالا له أبعث محمد قال نعم فقالا الحمد لله وأظهرا الفرح فقال لهما قد أظهرتما الفرح عند ذكر النبي ﷺ فقالا نعم انه نبي يبعث بين يدي الساعة وقد قرب فرجنا اه (وقيل) لما رفع ادريس عليه السلام الى السماء تولى بعده ابنه متوشلخ فحكم بين الناس بالحق . ولما توفي متوشلخ سلم التابوت والصحف الى ابنه لامك قال الكسائي كان لامك شديد البأس وكان عنده صلابة وقوة فكان يقلب بيده الصخرة العظيمة و يقلعها من الجبل (ومما وقع له) انه خرج ذات يوم الى الفضاء فرأى امرأة حسناء و بين يديها غنم ترعاها فأعجبته فتقدم وسألها عن اسمها فقالت أنا فينوسة بنت اكليل من أولاد قابيل بن آدم فقال لها ألك بعل قالت لا فقال لها أنت صغيرة ولو كنت بالغة لتزوجت بك وكان البلوغ يومئذ مائتي سنة فقالت الصحيح أنا بنت مائتين وعشرين سنة فانطلق واخطبني من أبي فلما سمع لامك بذلك الكلام مضى الى أبيها وخطبها منه فزوجها له فلما دخل عليها حملت منه ووضعت له ولدا ذكرا فسمته يشكر وقيل عبد الغفار وهو نوح قال وهب بن منبه فلما كان وقت ولادتها وضعته في مغارة وأرادت الانصراف عنه خوفا من ملك ذلك الزمان فانه كان يحجر على النساء و يقتل الأطفال عمدا فلما وضعته ذهبت عنه وهي تنوح عليه فناداها يا أماه لا تخافي علي فان الذي خلقني يحفظني فعند ذلك انصرفت مطمئنة فأقام في تلك المغارة أربعين يوما في هذه الاربعين يوما مات الذي كان يقتل الأطفال فحمله بعض الملائكة ووضعه في حجر أمه فاذا بالنور الذي كان في جبهة أبيه لامك انتقل الى جبهة ابنه عبد الغفار وهو نوح عليه السلام فأخذت أمه في تربيته حتى كبر وانتشى فتعلم صنعة النجارة وأتقنها وكان يرعى الغنم لقومه بالأجرة فأقام على ذلك مدة طويلة حتى توفي أبوه لامك فاستخلفه من بعده وسلم اليه الصحف والتابوت والسمط

﴿ ذكر قصة نوح عليه السلام ﴾

وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن ادريس عليه السلام . قال الكسائي كان اسمه عبد

الغفار أو يشكر وسبب تسميته نوحا ماقيل انه رأى كلبا له أربعة أعين فقال نوح ان هذا الكلب شنيع فقال له الكلب ياعبد الغفار أتعيب النقش أم النقاش فان كان العيب على النقش فان الأمر لوكان الى لما اخترت أن أكون كلبا وان كان العيب على النقاش فهو لايلحقه عيب لانه يفعل مايشاء فكان كلما ذكر ذلك ينوح ويبكى على خطيئته وذنبه فلكثرة نوحه سمى نوحا . رواه السدى قال وهب بن منبه لما أتى على نوح من العمر أربعمائة وثمانون سنة أتاه جبرائل عليه السلام فقال له نوح من أنت أيها الرجل البهى فقال له جبرائيل أنا رسول رب العالمين جئتك بالرسالة من عنده وقد بعثك الله الى قومك وهو قوله تعالى « انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم » ثم ان جبرائيل ألبسه لباس المجاهدين وعممه بعمامة النصر وقلده بسيف العزم ثم قال له امض الى عدو الله درمشيل بن فوميل بن جيج بن قابيل بن آدم وكان درمشيل جبارا عنيدا وهو أول من اعتصر الخمر وشربها وهو أول من لعب بالقمار وأول من اتخذ الثياب المنسوجة بالذهب وكان هو وقومه يعبدون الأصنام الخمسة وهى ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وهى التى ذكرها الله فى القرآن العظيم وكان حول هذه الأصنام ألف وسبعمائة صنم وكان لهم بيوت مبنية بالرخام الملون طول كل بيت ألف ذراع وعرضه كذلك وكان لهذه الأصنام كراسي من الذهب فيها أنواع من الجواهر الفاخرة وكان لها خدام يخدمونها بالليل والنهار وكان لها عيد معلوم فى السنة يجتمعون فيه فخرج اليهم نوح فى ذلك اليوم وكانوا يوقدون النار حول تلك الأصنام ويقربون اليها القربان ثم يسجدون بين يديها تعظيما لها وكانوا يخرجون بأصناف الملاهى ويضربون بالصنوج ويرقصون عندها ويشربون الخمر ويزنون بالنساء جهارا من غير ستر ويركبونهن كالبهائم بين الناس فلما خرج اليهم نوح وقف على تل عال ورفع رأسه الى السماء وقال الهى أسألك أن تنصرنى عليهم بنور محمد ﷺ وكانوا ممن لايحصون لكثرتهم . ثم ان نوحا وقف على ذلك التل ونادى بأعلى صوته يا أيها القوم انى قد جئتكم من عند رب العالمين أدعوكم لعبادته وأنهاكم عن عبادة الأصنام فلما صاح نوح هذه الصيحة بلغ صوته الى المشرق والمغرب وسقطت الأصنام عن كراسيها وفزع من كان حولها من الخدام وغشى على الملك درمشيل فلما أفاق من غشيته قال لمن حوله ما الذى سمعتموه من الصوت فقالوا هذا صوت رجل يقال له نوح وهو مجنون وفى عقله خلل فقال الملك ائتونى به فجاءت اليه أعوان الملك فأخذوه وأوقفوه بين يدى الملك فقال له الملك من أنت قال أنا نوح رسول رب العالمين قد جئتكم

بالرسالة لتؤمنوا بالله وحده وتتركوا عبادة هذه الأصنام فقال له الملك ان كان بك جنون نداويك وان كنت فقيرا نواسيك وان كنت مديونا قضينا عنك دينك فقال نوح مابى جنون ولا أنا فقير ولا على ديون وانما أنا رسول رب العالمين فكان نوح عليه السلام أول المرسلين وهو من أولى العزم وقد بعثه الله الى بنى قابيل لما تمادوا على عبادة الأصنام وأظهروا الشرك بالله فدعاهم الى توحيد الله وأن يقولوا لا اله الا الله وان نوحا رسول الله فلما سمع الملك كلامه غضب عليه وقال لولا أنه يوم عيد لقتلته شر قتلة ﴿ويروى﴾ أنه آمن بنوح فى ذلك اليوم امرأة يقال لها عمرة فتزوجها فولدت منه ثلاثة أولاد ذكور وهم سام وحام ويافث وولدت له ثلاث بنات وهن حصوة وسارة وبحيورة ثم آمنت به امرأة أخرى يقال لها ولعب بنت عجويل فتزوجها فولدت له ولدين وهما بالوس وكنعان ثم انها عادت الى دينها بعد اسلامها ثم آمن به من الرجال والنساء نحو من سبعين انسانا فصار نوح يخرج الى القوم فى كل يوم وينادى ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره لا شريك له فيخرج اليه القوم من بيوتهم فيضربونه بالعصى والنعال فيغشى عليه ويغيب عن الدنيا فيجرونه من رجله ويلقونه على المزابل ولما يفيق يمسح الدماء عن وجهه ويصلى ركعتين ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون فأقام على ذلك نحوا من ثلاثمائة سنة ثم ان الملك درمشيل هلك وأقام بعده ابنه توبين فكان أطغى من أبيه فصار نوح يدعوه لما كان يدعو أباه من قبله اليه واستمر نوح يدعو قومه الى أربعمائة سنة حتى دخل عليه القرن الخامس والقوم على حالهم وكانوا كلما سمعوا صوت نوح عليه السلام يضعون أصابعهم فى آذانهم كما أخبر الله العظيم فى القرآن الكريم وكان قومه يجمعون له الحجارة فوق الأسطحة فاذا مر عليهم يرمونه بها فيغشى عليه فيظنون أنه قد مات فكانت الطيور تروح عليه بأجنحتها اذا غشى عليه فيفيق فلا زال كذلك حتى مر عليه ستة قرون ودخل فى القرن السابع وهلك الملك توبين واستخلف من بعده ابنه طغردوس فكان أشد طغيانا من أبيه فصار كلما يدعوهم يرمونه بالحجارة كما تقدم ثم أوحى الله تعالى الى نوح انه لم يبق فى أصلاب الرجال ولا فى بطون النساء مؤمن يجيب دعوتك وقد أعقمهم الله تعالى فعند ذلك دعا عليهم نوح بأن الله لايبقى أحدا منهم كما أخبر الله تعالى عنه بقوله «رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا» فانفتحت أبواب السماء لدعوته وهاجت عندها الملائكة . قال فعند ذلك أوحى الله اليه أن اصنع الفلك الآية فقال نوح يارب وما الفلك قال هو بيت من الخشب يجرى على وجه الماء فأمره الله أن يغرس

فى الأرض خشب الساج وقيل هو الآبنوس وأمره أن يغرسه بأرض الكوفة فغرسه فاقام أربعين سنة حتى أدرك وأمر السماء أن تمنع القطر وأمر الأرض أن تمنع النبات فى تلك المدة لم ينزل من السماء قطرة ولم يخرج من الأرض عشبة ولم تلد امرأة ولا بهيمة ولا وحش ولم يفرخ طير وذلك لاقامة الحجة على الناس قبل نزول العذاب فأمر الله نوحا عليه السلام أن يتوجه الى الكوفة و ينقل خشب الساج فبقى نوح متحيرا كيف ينقل الخشب فأوحى الله اليه أن عوج بن عنق يحمل ذلك * قال الكسائى ان عنق أم عوج كانت من أولاد آدم وكانت شنيعة المنظر قبيحة الشكل وكانت ساحرة ماهرة فولدت عوجا ثم ماتت بعد ولادتها بمائة سنة فلما كبر عوج كان عظيم الخلقة طوله ستمائة ذراع بالذراع القديم وهو ذراع ونصف الآن وكان عرضه مثل ذلك حتى قيل انه لما جاء الطوفان لم يجاوز الى ركبته وكان اذا جلس على الجبل يمد يده الى البحر فيأخذ منه السمك و يشويه فى عين الشمس وكان اذا غضب على أهل قرية يبول عليهم فيغرقهم * وقيل انه سلط على أهل قرية فقالوا له نحن نكسوك قميصا ولا نأخذ منك ثمنه الا بعد سنة فتخارج أهل تلك القرية وصنعوا له قميصا من القطن فألبسوه اياه فمضى عنهم فكان كلما قصد أن يمر عليهم يذكر ما عليه من الدين فيرجع عنهم ولا يدخل اليهم خوفا من الدين (و يروى) أن عوج بن عنق عاش من العمر أربعة آلاف سنة وخمسمائة سنة وأدرك أيام موسى فلما دخل موسى الى التيه ومعه بنو اسرائيل قصد عوج أن يهلكهم فجاء الى جيش موسى لأجل أن يعرف مقدارهم فوجدهم فرسخا فى فرسخ فمضى الى جبل وقلعه من الأرض واحتمله على رأسه وجاء ليقلبه على جيش موسى فأرسل الله اليه هدهدا وجعل له منقارا من حديد فنزل ذلك الهدهد على تلك الصخرة وجعل ينقرها حتى ثقبها فنزلت فى عنق عوج فصارت غلاله لا يستطيع الحركة فلما رأى موسى ذلك أتى اليه وضربه بعصاه وكان طولها عشرة أذرع ووثب موسى فى الهواء عشرة أذرع وكان طول موسى عشرة أذرع فلم تبلغ ضربته ساق عوج فلما ضربه موسى خر عوج ميتا وصار ملقى فى الفلاة كالجبل العظيم (و يروى) أن ببلاد التترنهرا يسمى الطائى وعليه قنطرة عظيمة فيقال ان تلك القنطرة من عظم ضلع عوج بن عنق وكان من جملة عجائب الدنيا (قال) الكسائى فلما أوحى الله الى نوح بأن الذى يحمل له الخشب عوج من الكوفة الى أرض الحيرة وكانت الحيرة قرية قريبة من بغداد جاء نوح الى عوج وسأله أن يحمل له الخشب فقال عوج لا أحمل ذلك لك حتى تشبعنى من الخبز وكان مع نوح ثلاثة أرغفة من خبز الشعير فقدم الى عوج قرصا منها وقال له كل فضحك عوج من ذلك وقال لو أن مثل هذا الجبل خبزا ما أشبعنى

فكيف أشبع بهذا القرص فكسره نوح ذلك القرص وقال له قل بسم الله الرحمن الرحيم
وكل فأكل القرص وقدم له قرصا ثانيا فشبع من نصف الثانى ولم يقدر أن يأكل شيئا بعد ذلك
فحمل عوج ذلك الخشب من الكوفة الى الحيرة جميعه فى نقلة واحدة فلما صار الخشب عند
نوح قال يارب وكيف أصنع هذه السفينة فأوحى الله تعالى الى جبرائيل أن يعلمه كيف
يصنع السفينة فكان نوح يصنع الخشب ألواحا ويلصق بعضها ببعض ويسمره بالمسامير
الحديد ثم جعل رأسها كرأس الطاووس وذنبها كذنب الديك ومنقارها كمنقار البازى
وأجنحتها كأجنحة العقاب ووجهها كوجه الحمامة وجعلها ثلاث طباق وقيل سبع طبقات
قال ابن عباس رضى الله عنهما كان طولها ألف ذراع وعرضها ستمائة ذراع وارتفاعها ثلاثمائة
ذراع . ويروى أنه أقام فى أعمالها أربعين سنة فكان القوم يسخرون منه ويقولون له يانوح
قد تركت النبوة وصرت نجارا . قال الكسائى كان القوم اذا أتى الليل يطلقون النار فى
خشب السفينة فلم تعمل فيه النار فيقولون هذا من سحر نوح فلما أشرفت السفينة على
الفراغ طلاها بالزفت والقير ثم أوحى الله تعالى اليه بأن يسمر فى جوانبها أربعة مسامير وينقش
على كل مسمار منها عينا فقال نوح يارب وما فائدة ذلك فأوحى الله اليه هذه أسماء أصحاب محمد
وهم عبد الله أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين فلا تتم السفينة الا أن تفعل ذلك
ففعل نوح ما أمره الله به فتمت السفينة ثم أنطقها الله تعالى فقالت جهارا والناس
يسمعونها لا اله الا الله إله الأولين والآخرين أنا السفينة التى من ركبنى نجا ومن تخلف عنى هلك
فقال نوح تؤمنون الآن فقالوا ان هذا من سحرك يانوح ثم أوحى الله تعالى اليه انه قد اشتد
غضبى على من عصانى فأمره الله أن يحمل معه قوت ستة أشهر وأن يعمل فى السفينة مخزنا
لماء العذب ثم أنزل الله لنوح خرزة من الجنة لها ضوء كضوء الشمس فكان يعلم منها مواقيت
الليل والنهار ومضى الساعات ثم ان نوحا استأذن ربه بأن يحج فأذن له بذلك فلما مضى الى مكة
أراد القوم أن يحرقوا السفينة فأمر الله تعالى الملائكة بأن يرفعوها بين السماء والارض
فرفعوها والقوم ينظرون اليها فلما مضى نوح الى مكة طاف بالبيت سبعا ثم دعا على قومه هناك
فاستجاب الله دعاءه فلما رجع نوح من مكة أنزل الله له السفينة الى الارض ثم أوحى الله تعالى
اليه بأن يصعد الى الجبل وينادى بأعلى صوته يامعشر الوحوش والطيور والهوام وكل شىء
فيه روح هلموا الى دخول السفينة فقد قرب العذاب فوصلت دعوته الى المشرق والمغرب
فأقبلت اليه الوحوش والطيور والدواب والهوام أفواجا أفواجا فقال نوح انى أمرت أن
أحمل معى من كل زوجين اثنين ثم أمره بأن يحمل معه الأشجار قاطبة وأن يحمل معه جسد

آدم وحواء فوضعهما فى تابوت ثم أمرها أن يحمل معه الحجر الاسود وعصا آدم التى أنزلت عليه من الجنة وحمل معه التابوت والصحف والسمط وكان جلة من دخل معه فى السفينة أربعين رجلا وأربعين امرأة فوضعهم فى الطبقة الاولى ووضع فى الطبقة الثانية الوحوش والدواب والأنعام ويروى أن آخر من دخل من الدواب الحار وقد أمسك ابليس اللعين بذنبه فمنعه من الدخول فظن نوح أن الحار يمتنع من قبل نفسه فقال له نوح ادخل ياملعون فدخل الحار وابليس معه فلما رآه نوح قال له من أذن لك فى الدخول فقال أنت أذنت لى ألست القائل ادخل ياملعون ومافى الخلق على الاطلاق ملعون غيرى * ويروى أن نوحا لما ركب السفينة نهى جميع من كان معه عن النكاح خشية من التناسل فيضيق عليهم المكان فأطاعه جميع من كان فيها الا الكلب فانه نكح أنثاه فنمت الهرة لنوح على الكلب على فعله فأنكر ذلك وعاد ثانيا وثالثا فقالت الهرة لنوح فى ذلك فدعا عليهما بالفضيحة فوقعت العداوة بين الكلب والهرة من يومئذ وصارت لهما الفضيحة عند جماعهما وقيل فيهما

قالت الهرة قولا * جمعت كل المعانى
أشتهى أن لا أرى الكلب ولا الكلب يرانى

(ويروى) أنه لما كثر روث الدواب فى السفينة شكوا من ذلك الى نوح فأوحى الله اليه أن اعصر ذنب الفيل فلما عصره وقع منه خنزير وخنزيرة فصارا يأكلان الروث ثم خلق الله من عطسة الخنزير فأرا وفأرة ثم تناسل الفيران فصاروا يقرضون فى جوانب السفينة فشكا أهل السفينة من ذلك فسلط على الفيران السنانير وهى القطط فصاروا يأكلونها أكلا ذريعا حتى أفنوها عن آخرها فمن ذلك اليوم صارت العداوة بين القط والفأر (قال) ابن وصيف شاه لم يكن فى ملوك مصر أغنى من سوريد (ومما وقع) له أنه رأى فى منامه قبل وقوع الطوفان بثلاثمائة سنة كأن السماء قد انقلبت على الارض حتى صارت كالجوبة وكأن الكواكب قد تساقطت والشمس والقمر قد قربا من العالم ورأى طيورا بيضاء تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين وكأن الدنيا سوداء مظلمة وكأن الناس قد اجتمعوا عليه من صعيد واحد وهم يستجيرون به فلما رأى ذلك استيقظ من منامه وهو مرعوب خائف فلما أصبح استدعى الكهنة وهم مائة رجل وكانوا لا يقضون أمرا الا بالنجوم والطوالع فاختلى بهم وقص عليهم الرؤيا فقالوا ان رؤياك سماوية يهلك بها جميع العالم وجميع من على وجه الارض فقال لهم الملك خذوا الارتفاع من الكواكب فلما نظروا فى ذلك قالوا وجدنا القمر فى برج السرطان وهو مقارب السماك فيكون الهلاك فى أمر من طوفان وان هذه الآفة مائية سماوية فقال لهم

انظروا هل تلحق هذه الآفة بلادنا فقالوا له نعم تأتى اليها وتقيم البلاد خرابا مدة طويلة فقال لهم الملك انظروا هل تعود بلادنا عامرة أحسن مما كانت عليه قالوا نعم تعود أحسن مما كانت عليه فعند ذلك أمر سوريد ببناء هذه الاهرام وقد جعل أساسها مقدار ارتفاعها عن الأرض وقال نجعلها نواويس لنا وقبورا لأجسادنا ثم نقل اليها أشياء كثيرة من الاموال والجواهر وآلات السلاح والتماثيل العجيبة والأوانى الغريبة التى هى من سائر المعادن وكتب عليها الطلاسم والعلوم الفلكية التى تخبر بما سيحدث من الامور الى آخر الزمان ومن يملك البلاد من الملوك المسلمين والكافرين وأخبرت الكهنة أن هذا الطوفان لا يقيم كثيرا على وجه الارض بل نحو أربعين يوما فبنى الاهرام وحبس فيها الهواء بتقدير وتدبير الحكمة وادخر ما ذكرناه من الاموال وغير ذلك وقال ان كنا ننجو من هذا الطوفان نعود الى ملكنا فنجد أموالنا كما هى باقية وان متنا فتكون هذه الاهرام قبورا لاجسادنا حرزا تصونها من البلى فصنع كل واحد من وزرائه وحكمائه وأرباب دولته هرما لتكون حرزا لاجسادهم من الطوفان قال المسعودى فى مروج الذهب ان فى كل هرم منها سبع بيوت على عدد الكواكب السيارة وفى تلك البيوت عدة أصنام من الذهب مرصعة بالجواهر الفاخرة وفى آذانهم درر قدر بيضة الدجاج وفى كل هرم ناووس من الرخام الاخضر وفيه جثة صاحبه مطبق عليه ومعه صحيفة فيها اسمه وترجمته ومدة ملكه وذكروا أن لهذه الاهرام مكانا ينفذ الى صحراء الفيوم وهى على مسيرة يومين من الاهرام ﴿ ومما حكى ﴾ عن الشهاب الحجازى قال خرجنا من الجامع الأزهر أحد عشر نفرا فى طلب الاهرام وكان معنا عدة سلب طوال على حمار فلما وصلنا الى الاهرام دخلنا الى الهرم الكبير المفتوح ووقفنا على رأس البئر الذى به فتجرد منا شخص وكان يدعى الشجاعة فربطناه من وسطه بسلبة من تلك السلب التى معنا وأدليناه فى البئر فنفد السلب الذى معنا جميعه ولم ينته الى قعر البئر فربطنا فى السلب شاش عمائمنا فانقطع الشاش فهوى الشخص الى قعر البئر ولم نعلم له خبرا فرجعنا متأسفين عليه وخائفين على أنفسنا بسببه فدخلنا فى خفية الى القاهرة ولم نعلم أحدا من الناس بحالنا فبينما نحن فى الجامع بعد مضى أسبوع واذا نحن بصاحبنا الذى سقط فى البئر قد دخل علينا وهو فى غاية الضعف فلما دخل فى باب الجامع وقرب منا سقط بيننا وغشى عليه فلما أفاق استحكيناه عما كان من أمره بعد سقوطه فى البئر فقال لما انتهى بى السقوط نزلت على علية أعطتنى ليانة فقدحت بالزناد الذى كان معى وأوقدت شمعة ومشيت فى ذلك فوجدت من زبل الوطاويط شيئا كثيرا ورأيت أشخاصا وأشباحا طوالا واقفين على عكاكيز فقربت من واحد منهم وهززته فانقض الى الارض

هباء امنثورا فأخذت عكازته من يده ومشيت فاذا أنا بباب أمامي ودهليز فأخذت أمشي فى ذلك الدهليز وقد زادني الخوف والفزع ووجدت هناك عظاما بالية ورءوسا وجماجم كبارا على قدر البطيخ الكبير و بينما أنا أمشي فى ذلك الدهليز واذا بشيء يمشي قدامي فتأملته فاذا هو ثعلب فتبعته حتى خرج من ثقب فرأيت منه ضوء الدنيا فأردت أن أخرج منه فلم أستطع فحفرت بتلك العكازة التي معي فاتسع ذلك الثقب قليلا فخرجت فلما رأيت نفسي على وجه الارض وقعت مغشيا على فلم أدر أين أنا من البلاد واذا أنا بانسان يقول قم أيها الرجل فان القفل راح وخلاك فقلت أي مكان أنا فيه . قال فى صحراء الفيوم فقمت وركبت مع القفل وكنت لما خرجت من الثقب وجدت العكازة التي معي ذهبا جيدا فلما أغمي على فقدتها واختفى عني ذلك المكان الذي خرجت منه فتحيرت من ذلك واذا بقائل يقول لا تطمع فى عود العكازة اليك فتوجهت صحبة القفل ودخلت القاهرة انتهى (قال) أبو الريحان البيروني فى كتاب الآثار الباقية من القرون الخالية ان الهرم الكبير الشرقي موكل به صنم من جزع أبيض وأسود له عينان مفتوحتان براقتان وهو جالس على كرسي من ذهب و بيده حربة فاذا دنا منه أحد صوت عليه صوتا عاليا فيخرج الذي يدنو منه على وجهه ولا يبرح عنه حتى يموت مكانه والهرم الغربي موكل به صنم من حجر الصوان وهو جالس على كرسي من ذهب وعلى رأسه شبه حية وقد تطوق بها فمن دنا منه وثبت عليه تلك الحية وتطوقت على عنقه حتى تقتله ثم تعود الى مكانها والهرم الصغير المكسو بحجر الصوان موكل به صنم من حجر البهت فمن نظر اليه يجذبه حتى يلتصق به فلا يبرح عن مكانه حتى يموت * قال المسعودي لما فرغ سوريد من عمارة تلك الاهرام وكل بها جماعة من الروحانيين وذبح لها الذبائح لتمنع من أرادها بسوء فوكل بالهرم الشرقي غلاما أمرد مصفر اللون . وهو عريان وله أسنان كبار ووكل بالهرم الغربي امرأة عريانة بادية عن فرجها تضحك فى وجه الانسان حتى يدنو منها فتستهويه فيذهب عقله ووكل بالهرم الصغير الملون شخصا فى يده مبخرة وعليه ثياب الرهبان وهو يبخر حول هذا الهرم . وذكر جماعة من أهل الجيزة أنهم يرونه مرارا عديدة وهو يطوف حول الهرم وقت القائلة وعند غروب الشمس فاذا دنوا منه يغيب عنهم واذا بعدوا عنه يظهر لهم عن بعد * وأما ما نقله محمد بن عبد الكريم أن فى أحد هذين الهرمين قبر أخي ديمون وفى الآخر قبر هرمس . وكانا من حكماء اليونان . وكان أخو ديمون أقدم من هرمس وكانت الصابئة يحجون اليها من أقطار الارض ويحملون اليها الأموال الجزيلة على طريق النذر . وكان وراء هذه الاهرام من جهة الغرب أربعمائة مدينة عامرة غير القرى

* وأما مانقله أبو الحسن المسعودى فى مروج الذهب حيث قال ان سوريد لما فرغ من بناء هذه الاهرام كساها الديباج الملون من أعلاها الى أسفلها ، وعمل لها عيدا يحضره أرباب دولة مدينته وكتب على جانبها هذا بناء سوريد بن شهلوق قد بناها فى ستين سنة فمن يدع قوة فى ملكه فليهدمها فى ستمائة سنة وان الهدم أيسر من البناء فهو الصحيح * وقيل ان الخليفة المأمون لما فتح الباب الذى فى الهرم الكبير وجد به قطعة من المرجان وهى كاللوح وفيها مكتوب هذا بناء سوريد الى آخر كتابته بالقلم القديم * قال ولما دخل الأستاذ أبو الطيب مصر رأى الاهرام فأنشد يقول

أين الذى الهرمان من بنيانه * ماقومه مايومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن أصحابها * حينا ويدركها الفناء فتصدع

﴿ وأما ﴾ ماقالت الشعراء فى وصف الاهرام فمن ذلك قول القائل

انظر الى الهرمين واسمع منهما * مايرويان عن الزمان الغابر
وانظر الى سير الليالى فيهما * نظرا بعين القلب لا بالناظر
لو ينطقان لخبرانا بالذى * فعل الزمان بأول وبآخر

﴿وقال آخر﴾ لله أى غريبة وعجيبة * فى صنعة الاهرام للألباب
أخفت عن الاسماع قصة أهلها * كشفت عن الابداع كل نقاب
فكأنما هى كالخيام مقامة * من غير أعمدة ولا أطناب
مثل العرائس جردوا أثوابها * عنها ولم تنطق عن الاعجاب

﴿وقال آخر﴾ تحقق أن صدر الارض مصر * ونهداها من الهرمين شاهد
فواعجبا فكم أفنت قرونا * على هرم وذاك الثدى ناهد

انتهى (ومن هنا نرجع الى ما كنا فيه) قال ثم أوحى الله الى نوح يانوح اذا فار التنور من بيت ابنك سام فاركب فى السفينة. وكان سام أكبر أولاده وهو يومئذ ابن ثلثمائة سنة . وكان متزوجا بامرأة تسمى رحمة فجاء نوح الى بيت ابنه سام وقال يارحمة ان مبدأ الطوفان يكون من هذا التنور الذى تخبزين فيه فاذا رأيت التنور قد فار فأسرعى الى من وقتك وأخبرينى وكان هذا التنور من حجر أسود فلما كان يوم الجمعة لعشر مضين من رجب كانت رحمة تخبز فى التنور فلما كان آخر رغيف واذا بالماء قد فار وهو قوله تعالى « حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور » الآية فلما رأت رحمة ذلك صاحت الله أكبر قد جاء ماوعد الله به من العذاب وقد صدق نبى الله نوح فبادرت رحمة الى نوح وأخبرته بفوران التنور فقال نوح لاحول ولا قوة الا بالله العلى

العظيم وكان نوح قد جهز ما كان يحتاج اليه فى السفينة حتى علف الدواب والطير فلما أعلمته رحمة بذلك أتى الى بيت ابنه سام فرأى الماء يفور من التنور قد ملأ صحن الدار وهو يخرج من الباب كالنهر العظيم فلما رأى ذلك توجه الى السفينة وهو ينادى ياقوم النجاة النجاة فأتوا الى السفينة وكانت عدتهم أربعين امرأة وأربعين رجلا ثم ان نوحا قال لابنه كنعان « اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لاعاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين » . وقد أخبر الله عنه انه غير صالح . قال وهب بن منبه ان كنعان بن نوح غرق قبل أن يصل الى الجبل (قال) ابن عباس لما فار التنور فتحت أبواب السماء بالمطر من غير سحاب وأظلمت الدنيا ظلمة شديدة فكانت ملائكة الغضب تضرب بأجنحتها على وجه الشمس فكانت السماء تقول لولا الحد الذى حده الله تعالى لغاض الماء الى الأرض السابعة وكان الرجل يمشى فى الطرقات والماء ينبع من تحت رجليه وكانت المرأة قائمة فى بيتها فينبع الماء من تحتها وهو يفور ويغلى كغليان القدور وصار الماء ينبع من سائر أقطار الأرض فلما فار الماء فى مدينة أمسوس وكانت يومئذ كرسى مملكة الملك سوريد وسمع صريخ العالم ركب فى عظماء قومه ووقف على جبل عال ليرى أحوال الناس وهو متفكر فى هذا الماء فلم يشعر الا والماء يفور من تحت حافر فرسه فرجع الى قصره فما صار فى قصره الا والماء صار له موج عظيم كالجبال وما بقى بظهر الارض من شىء . قال وهب بن منبه كان مبدأ الطوفان من الكوفة وبها فار التنور . وأما نوح فانه ركب السفينة هو وأهله وقد تقدم ذكر ذلك . ويروى أن عوج بن عنق لما رأى هذه الأهوال أتى الى السفينة ووضع يده عليها فقال له نوح ما تريد ياعدو الله فقال له عوج لا بأس عليك يانبى الله دعنى أمش مع السفينة حيث مشت فأضع يدى عليها وأستأنس بها من الفزع وأسمع تسبيح الملائكة فأوحى الله الى نوح لاتخش من عوج ودعه يمش مع السفينة حيث سارت ثم ان نوحا أغلق أبواب السفينة « وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها » فصارت تمشى بهم بين أمواج كالجبال وقد قال الله تعالى « انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية » . ويروى أن الله تعالى لما أرسل الطوفان رفع البيت المعمور الذى كان أنزله فى زمن آدم وكان من ياقوتة حمراء فلما طغى الماء رفعه الله تعالى الى السماء . وسمى البيت المعمور العتيق لانه صار عتيقا من الطوفان فلما سارت السفينة أتت الى مكان الكعبة وطافت به سبعا ثم أتت الى مكان بيت المقدس فزارته وكانت السفينة لاتمر بنوح على مكان حتى تنادى يانوح هذا مكان كذا وكذا فطافت به من المشرق الى المغرب وكان حول السفينة تسعون ألف ملك يحفظونها

من العذاب المنزل فكانت تجرى فى الماء كجرى القمر فى الفلك فلم تكن الاساعة يسيرة حتى ارتفع الماء فوق رءوس الجبال مقدار أربعين ذراعا وعم الارض والجبال ولم يبق على وجه الارض ذوروح غير أهل السفينة وعوج بن عنق الاهلاك ولم تبق مدينة ولا قرية الاخربت ولم يبق أثر الا الاهرام والبرابى فانها كانت محكمة البناء ﴿ومن النوادر الغريبة﴾ مارواه الثعلبى فى أخبار الطوفان ان امرأة حملت ولدا لها صغيرا مرضعا ولم يكن فى القوم من الاطفال غيره فلما ارتفع الماء حملت ابنها على عنقها وهربت وصعدت الى جبل عال لتعتصم به من الماء فلما غشيها الماء حملت ابنها على عنقها فلما بلغ الماء الى فيها رفعته بيدها الى أعلى رأسها فلما غمرها الماء جعلته تحت رجليها ووقفت عليه ساعة فطلبت النجاة قدر نفس ثم غرقا جميعا فأوحى الله الى نوح لوكنت أرحم أحدا من قومك لرحمت تلك المرأة وولدها فصارت هذه الواقعة مثلا (فيقال) اذا وقع الطوفان يضع الانسان ولده تحت رجليه. قال الكسائى اختلف جماعة من العلماء فى مقدار مكث الماء على الارض فنهم من قال مكث على وجه الارض ستة أشهر ومنهم من قال مائة وخمسين يوما وبعد ذلك أوحى الله الى الارض «ياأرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى» . ويروى أن الجودى جبل بالقرب من الموصل فاستقرت السفينة عليه . قال الثعلبى كان استواء السفينة على جبل الجودى يوم عاشوراء وهو العاشر من المحرم فصامه نوح شكرا لله تعالى وأمر من كان معه بالصيام فى ذلك اليوم شكرا على تلك النعمة . ويروى أن الطيور والوحوش والدواب جميعهم صاموا ذلك اليوم ثم ان نوحا أخرج مابقى معه من الزاد فجمع سبعة أصناف من الحبوب وهى البسلة والعدس والفول والحمص والقمح والشعير والأرز فخلط بعضها فى بعض وطبخها فى ذلك اليوم فصارت الحبوب من ذلك اليوم سنة نوح عليه السلام وهى مستحبة ثم فتح أبواب السفينة فرأى الشمس والسحاب وقد تقطع وظهر فى الارض قوس قزح . وقيل انه لم يظهر فيما قبل الافى ذلك اليوم وكان دليلا لنقص الماء فلما رأى نوح ذلك كبر وكبر معه أهل السفينة قاطبة ثم ان أهل السفينة صاروا لايقابلون الشمس بأعينهم فشكوا ذلك الى نوح وقالوا لاطاقة لنا أن نقابل ضوء الشمس بأعيننا فأمرهم أن يكتحلوا بحجر الاثمد فى ذلك اليوم لتقوى أعينهم ﴿ويروى﴾ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من اكتحل فى يوم عاشوراء لم يرمد فى سنته ثم ان نوحا فتح أبواب السفينة كلها فدخلت الشمس ونفضت الطيور أجنحتها وتحركت الوحوش وتمايلت الأشجار ثم ان عوج بن عنق لما رأى السفينة قد رست تركها ومضى يخوض فى الماء حيث شاء . قال الكسائى أول ماظهر من الجبال فى الارض جبل

أبي قبيس الذي بمكة وظهر مكان الكعبة وقد صارت ربوة حمراء ولم يسلم من القرى سوى قرية نهاروند فوجدت من تحت الماء كما هي لم تتغير وسلمت الاهرام وسلمت البرابي التي كانت بجهات الصعيد وهي التي بناها هرمس الأول الذي أودع فيها علم النجوم وعلم الهيئة فوجدت على حالها . ثم ان نوحا أراد أن يعلم هل انكشف الماء عن الأرض أم لا فأرسل الغراب ليكشف له خبر الارض فلما ذهب الغراب رأى جيفة فاشتغل بأكل الجيفة فأبطأ بالخبر عن نوح سبعة أيام فدعا عليه فصار يمشي وفي رأسه الرعونة لا يستقر بمكان واحد. ثم ان نوحا قال لبقية الطيور من فيكن يأتيني بخبر الماء ولا يفعل كفعل الغراب فقالت الحمامة أنا آتيك بخبر الماء يا نبي الله فطارت وغابت ساعة ثم رجعت وفي فمها ورقة خضراء فلما رأى نوح تلك الورقة في فمها قال هذه الورقة من ورق الزيتون فعلم أن الماء لم ينكشف عن الارض ثم أقام بعد ذلك مدة يسيرة وأرسل الحمامة فغابت ساعة ثم عادت ورجلاها مخضبتان بحمرة وسبب ذلك أنه أول ما انكشف عن الارض مكان الكعبة فصارت ربوة حمراء فوقفت عليها الحمامة فاختضبت رجلاها من ذلك الطين الأحمر وتطوقت فدعا لها نوح وقال اللهم اجعل الحمام أبرك الطيور وأكثر من نسله وحببه للناس فما أقامت السفينة على الجبل أربعين يوما حتى جفت الارض ونبت فيها الأعشاب من كل جانب فأوحى الله الى نوح «أن اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك» . ثم ان الله أمر نوحا بأن يطلق ما كان معه من الطيور والوحوش والدواب والهوام فأطلقهم أجمعين فتفرقوا في الفضاء كما كانوا في الاول ثم ان الله تعالى أظهر الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم كما كانوا أولا . ثم بعد ذلك أمطر مطر الرحمة ودحرج ماء الطوفان عن الارض وجعله ملحا أجاجا ففرح نوح بذلك واستبشر بالرضا من الله تعالى . ويروى أن نوحا لما خرج من السفينة رأى الارض بيضاء كلها فصار متعجبا من ذلك فأتاه جبرائيل وقال له هل تدري يا نوح ما هذا البياض الذي تراه قال وما هو قال هذه عظام قومك ثم سمع صلصلة عظيمة فقال له جبرائيل أتدري ما هذه الصلصلة قال وما هي قال هذه أصوات السلاسل التي يسحب بها قومك الى النار وهو قوله تعالى «مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا» قال لما خرج نوح من السفينة وكان معه من المؤمنين ثمانون انسانا عمر لهم قرية هناك وسماها قرية الثمانين وهي أول قرية بنيت على وجه الارض بعد الطوفان فلما استقروا بتلك القرية أوقع الله فيهم الفناء فماتوا جميعا ولم يبق منهم أحد الا نوح وأولاده وهم سام وحام ويافث ونساؤهم فكانت عدتهم سبعة أنفس وهو قوله تعالى «وجعلنا ذريته هم الباقين» فجميع العالم من نوح عليه السلام وهو أبو البشر الثاني قال وهب بن منبه كان مبتدأ الطوفان في رجب وكان انتهاؤه في

أواخر ذي الحجة قال أبو معشر كان بين طوفان نوح وتوبة آدم ألفان ومائتان وأربعون سنة وكان بين الطوفان والهجرة النبوية ثلاثة آلاف وسبعمائة وأربعة وسبعون سنة ﴿ومن النكت اللطيفة﴾ ما نقله الثعلبي قال لما استقر نوح أوحى الله اليه أن يغرس الاشجار التى كانت معه فغرسها في أول الارض وكان أول ما غرس شجرة الآس وأراد أن يغرس شجر العنب فلم يجدها فقال لولده سام يا بني ما فعلت بشجرة العنب فقال لا أعلم بها فهبط جبرائيل وقال له يا نوح ان ابليس قد سرقها قال نوح لابليس أعد شجرة العنب التى سرقتها فقال ابليس ما أعيدها لك حتى تشركني بها فقال له قد جعلت لك فيها الثلث فأبى ابليس من ذلك فقال قد جعلت لك الثلثين فرضي . قال الشيخ كمال الدين الدميري فى كتاب حياة الحيوان لما غرس ابليس شجرة العنب فى الارض ذبح عليها طاوسا فشربت من دمه فلما طلعت أوراقها ذبح عليها قردا فشربت من دمه فلما أثمرت ذبح عليها أسدا فشربت من دمه فلما تزببت أعنابها ذبح عليها خنزيرا فشربت من دمه فلهذا شارب الخمر تعتريه هذه الأوصاف الاربعة ولذلك أول ما يشربها وتدب فى أعضائه يزهو كما يزهو الطاوس فاذا مشى صفق ورقص كما يرقص القرد فاذا قوى عليه السكر عربد وزمجر كما يفعل الأسد فاذا خدر منه السكر ينعس و يطلب النوم كما يفعل الخنزير فهذه العناصر الأربعة لا تحول من شارب الخمر قط وقال فى المعنى

كرمها من عهد نوح عصرا * فيه سر لسرور الانفس
ليس قولي بحديث مفترى * لم يزل شاربها فى أنفس

قال الكسائي أول من عصر الخمر وصنع الطار والمزمار وآلات الطرب ابليس

﴿ ذكر ما كان من أخبار الارض بعد الطوفان ﴾

قال الكسائي لما استقر نوح فى الارض قسم الجهات بين أولاده الثلاثة وهم سام وحام و يافث فاستقر سام بالجهة الغربية فكان من نسله الروم وفارس والعرب وكان يرى فى وجه سام نور النبوة وأضاف اليه جهات الحجاز واليمن والعراق والشام وغير ذلك من الجهات وكان أكبر أولاده. وأما حام فاستقر بالجهة القبلية من الجنوب فكان من نسله الزنج والحبشة . وأما يافث فاستقر بالجهة الشرقية فكان من نسله الترك و يأجوج ومأجوج فهم بنو عم الترك ثم ان الله تعالى أوحى الى نوح بأن يدفن جسد آدم وحواء فى المكان الذى أخذهما منه ففعل ذلك ثم أمره بأن يرد الحجر الأسود الى مكانه ففعل ذلك واستمر نوح يسعى فى عمارة الارض بعد الطوفان كما كانت عليه فى الاول . قال كعب الاحبار لما كبر سن نوح وقرب أجله أراد أن يدعو أولاده وأولاد أولاده و يسأل الله أن يرزقه الاجابة فى دعائه فصعد الى جبل عال ونادى ابنه ساما فجاء وجلس بين

يديه فوضع نوح يديه عليه وقال اللهم بارك فى سام وفى ذريته واجعل فيهما النبوة والملك فكان من نسل سام ارفخشذ فجاء من أولاده الانبياء والصلحاء ثم نادى ابنه حاما فلم يجبه فدعا عليه وقال اللهم اجعل أولاده أذلاء وسود وجوههم واجعلهم عبيدا وخدما لأولاد سام * وقيل كان لحام ولد يقال له مصرايم فسمع دعاء جده نوح فجاء اليه وقال له يا جدى قد أجبتك اذ لم يجبك أبى فوضع نوح يديه على مصرايم وقال اللهم كما أجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته وأسكنهم الأرض المباركة التى هى أم البلاد وغوث العباد التى نيلها أفضل الأنهار فسكن مصرايم بمصر وبه سميت فكان من ذريته القبط * ثم دعا ابنه يافث فلم يجبه فدعا عليه وقال اللهم اجعل نسله أشرار الخلق فكان نسله يأجوج ومأجوج والترك كما تقدم فلما دعا نوح على ابنه حام واقع زوجته فى تلك الليلة فحملت بولدين ذكر وأنثى فرأى حام لونهما أسود فأنكرهما وقال ماهما منى فقالت زوجته بلى بل هما منك ولكن لحقتنا دعوة أبيك فتركهما وابنيها وولى هاربا على وجهه خجلا من الناس فلما كبر الولدان خرجا فى طلب أبيهما حام فبلغا الى قرية بساحل بحر النيل ثم ان الغلام الاسود وثب على أخته فحملت وولدت منه غلاما وجارية أسودين فتناكحا وتناسلا فكان من نسلهما جميع السودان الى الآن وقال الكسائى ان القرية التى نزلوا بها تسمى النوبة * وأما يافث فانه سار الى بلاد الشرق فتزوج هناك فولدت له خمسة من الأولاد وهم جوهر وبترس ومياشيخ وسناف وسقويل فمن نسل جوهر الصقالبة والروم ومن نسل بترس الترك والخزر ومن نسل مياشيخ الاعاجم ومن سناف ياجوج ومأجوج ومن نسل سقويل الارمن * وأما سام فانه ولد له من الأولاد خمسة ارفخشذ جاءت منه الأنبياء والصلحاء ومن نسله عرب ربيعة ومضر وقبائل اليمن * وحاشيم جاء من نسله أقوام بأرض اليمن يقال لهم النسانيس وكان فى وجوههم عين واحدة وأذن واحدة ورجل واحدة وهويل جاء من نسله العمالقة والغمادية * وارم جاء من نسله قبائل عاد وثمود وشمليخا كان منقطع النسل عقيما اه * قال الثعلبى ان ساما عاش من العمر ستمائة سنة وكان جزوعا من الموت فكان نوح يسأل الله أن لا يموت سام حتى يسأل هو ربه الموت فلما كبر سنه عجز عن الحركة فسأل ربه الموت فلما مات سام دفن فى مدينة نوى من أعمال حوران * قال وهب بن منبه ان نوحا عاش بعد الطوفان مائتى سنة وحج بعد خروجه من السفينة * قال وهب بن منبه بعث الى قومه وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما كما أخبر الله فى القرآن العظيم فلما استوفى نوح العمر الذى كتبه الله له جاء اليه ملك الموت وقال له السلام عليك يا نبى الله فقال وعليك السلام من أنت فقد أرعدت

قلبي بسلامك فقال أنا ملك الموت جئتك لأقبض روحك فلما سمع نوح ذلك تغير وجهه وتلجلج لسانه فقال له ملك الموت ما هذا الجزع يا نوح ألم تشبع من الدنيا وأنت أطول الناس عمرا فقال نوح انما وجدت الدنيا دارا لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر ثم ان ملك الموت ناوله كأسا من شراب الجنة وقال له اشرب من هذا الشراب حتى يسكن روعك فتناوله وشرب به فلما شرب به خرميتا صلوات الله تعالى وسلامه عليه فلما مات شرع أولاده في تجهيزه فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه في قرية قريبة من الكرك و يقال ان عند قبره عين ماء تجري وقد قال القائل

نح على نفسك يا مسكين ان كنت تنوح لتموتن ولو عمرت ما عمر نوح

﴿ذكر قصة هود عليه السلام﴾

قال الله تعالى ﴿ والى عاد أخاهم هودا ﴾ الآية * قال كعب الاحبار الذي أتى بعد نوح من الأنبياء هو نبي الله هود وهو هود بن عبد الله بن عوص من أولاد سام وكان من قبيلة يقال لها عاد وكانوا من عرب يسكنون الاحقاف وهي جبال من رمل وكانت باليمن بين عمان وحضرموت بالقرب من البحر المالح وكان لهذه القبائل ملك يقال له الجليجان وكان طوله مائة ذراع ولهذا كان اذا قام يغطي الشمس عن الأرض واذا وضع يده على الجبل هدمه من جوانبه * قال وهب بن منبه وكان طول الرجل من قوم عاد مائة ذراع وأقصرهم ستون ذراعا وكانوا لا يبلغون الحلم الا بعد مائة سنة وكانت تمر عليهم الاربعمائة سنة ولم يمت فيهم ميت ولا يرى عندهم جنازة وكان رأس كل واحد منهم قدر القبة العظيمة وكانوا قوما جبارين يعبدون الاوثان من دون الله قال و بلغني أن ستين رجلا من قوم موسى استظلوا في قحف رجل من العمالقة * قال زيد بن أسلم رأيت ضبعا وأولاده أوكروا في عين رجل من العمالقة ولقد وزنت ضرسا من أضراسه فجاء نحو عشرة أرطال * قال وهب بن منبه فلما زاد طغيان هؤلاء القوم بعث الله اليهم هودا وكان لهود من العمر أربعون سنة عند بعثته فنزل اليه جبرائيل وقال ان الله قد بعثك الى قوم عاد فانذرهم وأعلمهم أني قد أمهلتهم دهرا طويلا وأعطيتهم من القوة ما لم أعطه لأحد من قبلهم وجعلتهم ملوكا على أسرة من الذهب وجعلتهم من أطول الناس أعمارا فامض اليهم وادعهم الى التوحيد ليرجعوا عن عبادة الاوثان فتوجه اليهم هود وهم في يوم عيدهم وقد اجتمعت هناك الملوك وجلسوا على أسرة الذهب وجلس الملك الجليجان على سرير من الذهب وعلى رأسه تاج مرصع بالجواهر الفاخرة فلم يشعروا الا بصوت هود وهو يقول يا قوم اعبدوا الله ربي وربكم ما لكم من إله غيره وان هذه الاصنام التي تعبدونها من دون الله هي التي أغرقت قوم نوح

من قبلكم فلمارآه الملك الجليجان قال له ويحك ياهود أتظن أنك مع جوعنا وشدة باسنا وقوتنا تغلبنا بهذه الكلمات أما تعلم أنه فى كل يوم وليلة يولد لنا ألف ولد * فلما ضجر هود وهو يدعوهم الى التوحيد وهم لايسمعون منه سأل الله أن يعقم نساءهم فلم تحمل منهن امرأة فى تلك السنة فشكوا ذلك الى ملكهم الجليجان وقالوا ان هودا أعقم نساءنا ونخشى أن يكون صادقا فيما يقول * ثم ان الله أوحى الى هود أن أخبر قومك أن يؤمنوا بى والا أرسلت عليهم ريحا عقيما فلما سمعوا منه ذلك ضربوه بالحجارة فأقام يدعوهم سبعين سنة وهم يرجمونه بالحجارة فلما أيس منهم قال إلهى إنك تعلم أنى بلغت رسالتك الى قوم عاد وهم على كفرهم فى ضلال مبين * ثم ان الله تعالى أمسك عنهم المطر سبع سنين فلما أجدبت أرضهم ماتت مواشيهم وعزت عندهم الاقوات حتى هلك منهم نحو النصف وكان ذلك الزمان اذا قحطوا توجه منهم جماعة الى مكة يدعون الله عند البيت الحرام فيسقون فى شهرهم ثم ان قوم عاد اختاروا منهم سبعين رجلا من صلحائهم فتوجهوا الى مكة وأخذوا معهم كسوة الكعبة فلما كسوا البيت جاء ريح عاصف فرق تلك الكسوة ونفضها عن البيت ثم طافوا بالكعبة ودعوا الله واستسقوا لقومهم فسمعوا قائلا يقول هذه الابيات

قبح الله وفد عاد أتونا * ان عادا أشر أهل الجحيم
سيروا وفدهم ليسقون غيثا * بل ليسقون من شراب الحميم

فلما دعوا الله تعالى أرسل اليهم ثلاث سحابات واحدة بيضاء وواحدة حمراء وواحدة سوداء ثم سمعوا قائلا يقول اختاروا من هؤلاء واحدة فاختار كبيرهم السوداء وظن أنها حشوة بالمطر فساقها الله الى ديارهم فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا * قال وهب ابن منبه ان الله أوحى الى ملك الريح بأن يفتح أطباق الريح العقيم من تحت الأرض فلما عاين قوم عاد ذلك خرجوا الى الصحارى هاربين على وجوههم فلما دارت الريح العقيم قلعت الاشجار بعروقها وانهدمت الدور على أهلها واستمر هذا الأمر على القوم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أى متتابعة فلما رأى القوم ذلك بادروا الى البيوت ودخلوا فيها فدخل اليهم الريح فأخرجهم منها على وجوههم فلما تزايد بهم خرجوا الى الصحارى ولبسوا آلة السلاح ووقفوا وقالوا نحن ندفع الريح بقوتنا وسطوتنا فجاء الريح فاقتلع منهم سبعة أنفس ممن هم أعظم خلقة وأقوى سطوة فكان الريح يرفع الرجل فى الجو نحو عشرين ذراعا ثم يضرب به الأرض فيصيرون كأنهم أعجاز نخل خاوية وكان الريح يدخل بين أثواب الرجل ويحمله ويضرب به الأرض فيخر ميتا ثم أمطر الله عليهم الرمال المسمومة

بالنار فاستمروا على ذلك أربعين يوما وأبقى الله أرواحهم فى أجسادهم حتى يطول عذابهم فكان المؤمن يمر عليهم فيسمع لهم أنينا من تحت الرمال (ويروى) أن هودا لما خرج الريح العقيم الى الأرض لم يخرج من بين قومه وكان غيره من الأنبياء اذا نزل بقومه العذاب يخرج من بينهم الا هودا ومن آمن معه فلم يصبهم من الريح شئ فكان المؤمن يجلس والى جانبه الرجل الكافر فيخط بينهما خطا فكان الريح العقيم يهب على المؤمن نسيما رطبا ويهب على الكافر سموما صعبا * وأما ملكهم الجليجان فانه عاش بعد فناء قومه أياما حتى نظر الى مصارعهم أجمعين ثم جاءت الريح فدخلت من فمه وخرجت من دبره فسقط ميتا ولم ينج من ذلك العذاب سوى نبى الله هود ومن معه من المؤمنين ثم أرسل الله عليهم طيورا سودا فنقلت أجسادهم وألقتهم فى البحر المحيط (ويروى) أن رجلا أتى الى الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال له من أى أرض أنت أيها الرجل فقال له من حضرموت بأرض اليمن فقال له أعندك خبر من قبر نبى الله هود فقال الرجل نعم خرجت فى أيام شبابى ومعى جماعة من أصحابى فسرنا حتى أتينا الى جبل عاد وفيه مغارة فيها ثقب ضيق فسرنا فيه بعسر الى أن أفضى بنا ذلك الى مكان واذا بسرير من ذهب وعليه رجل ميت وعليه أكفان بالية فلمست بدنه فاذا هو لم يبل ولم تتغير هيئته فتأملته فاذا هو رجل واسع العينين مقرون الحاجبين أسيل الخدين لطيف الفم طويل اللحية وتحت رأسه لوح من الرخام الابيض وعليه مكتوب هذا هود نبى الله عليه السلام بعث الى قوم عاد فكذبوه فأخذهم الله بالريح العقيم فلم يبق منهم أحدا انتهى

* ذكر قصة شداد بن عاد *

قال وهب بن منبه هو شداد بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وكان شداد بن عاد كثير الأولاد فقيل كان له أربعة آلاف ولد وتزوج بألف امرأة وعاش من العمر ألف سنة قال الكسائى لما مات عاد استخلف بعده ثلاثة أولاد شدادا وشديدا وارم وكان شداد أكبر أولاده فخضعت له الرقاب لما ملك بعد أبيه فلما تزايدت عظمته قهر ملوك الأرض فى الطول والعرض وقتلهم وملك أرضهم وديارهم وصار ملك الدنيا من مشرقها الى مغربها فى قبضة يده * قال وهب بن منبه لم يملك الدنيا بأسرها غير أربعة مؤمنين وكافرين فأما المؤمنان فهما سليمان بن داود عليهما السلام والاسكندر ذو القرنين * وأما الكافران فهما شداد بن عاد والنمروذ بن كنعان وقيل بختنصر والله سبحانه وتعالى أعلم وقيل فى المعنى

كم سمعنا بملوك هلكوا * ملكوا الدنيا وما قد ملكوا
كدر الموت عليهم عيشهم * تركوا الدنيا وما قد تركوا

قيل للامام على رضى الله تعالى عنه صف لنا الدنيا فقال وأى شئ بها أصفه لكم دار أولها

عناءوآخرهافناءحلالهاحساب وحرامها عقاب من استغنى فيهافتن ومن افتقر فيهاحزن (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة ماسقى منها كافرا شربة ماء وقد قيل فى المعنى

والله لو كانت الدنيا بأجمعها * تبقى علينا و يأتى رزقها رغدا
ما كان من حق حر أن يذل لها * فكيف وهى متاع يضمحل غدا

(قال) الكسائى ان شداد بن عاد كان مولعا بقراءة الكتب القديمة التى أنزلت على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فكان كلما مر عليه سماع أوصاف الجنة ترتاح لها نفسه فخطر بباله أن يجعل له فى الدنيا جنة مثلها وقد قيل فى المعنى

أحببتكم من قبل رؤياكم * لحسن وصف عنكم قد جرى
وهكذا الجنة معشوقة * لحسنها من قبل أن تبصرا

ثم ان شدادا أمر بعض وزرائه وكان له ألف وزير أن يجمع له الحكماء والمهندسين وأمرهم أن ينظروا له أرضا واسعة طيبة الهواء كثيرة الانهار والاشجار ليبنى له جنة عظيمة فخرج الوزير بمن معه من أهل الخبرة وساروا فى الارض فلما وصلوا الى عدن من نواحى اليمن وجدوا هناك أرضا على هذه الصفة فأخبروه بها فوجه اليها البنائين والمهندسين فاجتمعوا عند تلك الارض فوجهوها وخططوها مربعة الجوانب دورها أربعون فرسخا من كل جانب عشرة فراسخ فلما حفروا أساس تلك المدينة و بنوا فيها الرخام المجزع وأظهروه من جوانبها مقدار النصف وأخبروه بذلك قال لوزرائه ألستم تعلمون أنى قد ملكت الدنيا جميعها فقالوا نعم فقال أريد أن تجمعوا الى جميع ما فيها من الذهب والفضة ومعادن الجوهر واللآلئ واليواقيت والمسك والكافور والزعفران وغير ذلك من الأصناف النفيسة فجمعوا له ما فى بلادهم وما كان عندهم وما كان فى أيدى الناس وأرسلوا الى سائر الأقطار وأحضروا ما كان فيها من ذلك جميعه فصارت الناس يتعاملون بالجلود فيقصونها على هيئة الدراهم ويختمونها باسم الملك و يتعاملون بها فى كل جهة فلما أحضروا الجميع أخذوا يجعلون من الذهب لبنة ومن الفضة لبنة ويبنونه فوق ذلك الرخام حتى أتموا جوانبها فلما أحاط ذلك السور بالمدينة أخذوا يجعلون فى وسطها غرفا وقصورا على صفة السور من الذهب والفضة و يجعلون لها قوائم من الزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر وجعلوا تلك القصور والغرف تشرف على أشجار من الجواهر واليواقيت واللؤلؤ والانهار المتدفقة وحول القصور تلال من المسك والعنبر والكافور وأحكموا

ذلك كله بالصنائع العجيبة المتقنة التي لم يكن في الدنيا مثلها بل ولا في الدنيا مثل بعضها قال الكسائي كان مدة عمارة هذه المدينة ثلثمائة سنة فلما تكامل بناؤها أخبروا الملك بذلك فأمر الوزراء والأمراء والحجاب بأن ينقلوا اليها الفرش الفاخرة والآنية الفاخرة فأقاموا ينقلون ذلك مدة عشر سنين فلما انتهوا من ذلك ركب الملك شداد وأركب نساءه وخدمه ونساء وزرائه وأمرائه وحجابه في هوادج من الذهب المتقنة بصنائع المهندسين . فلما وصلوا الى باب تلك المدينة وأراد الملك الدخول أولا واذا بملك من الملائكة أرسله الله تعالى الى شداد فقال الملك ياشداد ان أنت أقررت لله بالوحدانية مكنتك من الدخول وان لم تقر لله بالوحدانية أخذت روحك في هذه الساعة فلما سمع شداد ذلك الخطاب طغى وكفر وفجر فصاح عليهم ذلك الملك صيحة فماتوا أجمعين عن آخرهم ولم يدخل أحد منهم الى تلك المدينة (قال) وهب بن منبه لم يكن مثل هذه المدينة على وجه الارض . وقد قال الله تعالى « ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد » وقد اختلفوا في ذلك اختلافا كثيرا . قال السدي ان هذه المدينة التي بناها شداد بن عاد باقية الى الآن وقد دخلها رجل اعرابي يقال له عبد الله بن قلابة وذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم سنة ثمانية وأربعين من الهجرة النبوية انتهى ما أوردناه من أخبار شداد بن عاد باختصار

﴿ ذكر قصة نبي الله صالح ﷺ ﴾

قال الله تعالى « والى ثمود أخاهم صالحا » الآية وهو صالح بن كانوك قد بعثه الله الى قبيلة ثمود . قال السدي ثمود اسم بئر كانت بين أرض الحجاز والشام (قال) ابن اسحق لما أهلك الله قوم عاد بالريح عمرت ثمود من بعدهم بلادهم واتخذوا من الجبال بيوتا مجوفة بالنحت وجعلوا على تلك البيوت أبوابا من الخشب مصفحة بالحديد وقد أوسع الله لقوم ثمود بكثرة المال فقد قال الله تعالى « واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد » الآية فلما تمكنوا من الارض طغوا وخالفوا أمر الله تعالى وعبدوا الأصنام فبعث الله اليهم صالحا قال العزيزي قد كان كانوك أبو صالح في خدمة الأصنام ففي بعض الأيام سجد للصنم الكبير فلما سجد نكس الصنم رأسه فتعجب كانوك من ذلك فأنطق الله الصنم وقال له يا كانوك ان في ظهرك نبيا يبعثه الله الى قبيلة ثمود . قال فلما سمع كانوك ذلك خرج هاربا على وجهه فلما جن عليه الليل بعث الله اليه ملكا على صفة طير فاحتمل كانوك ومضى به الى واد كثير الاشجار والمياه فلما أصبح كانوك تمشى في ذلك الوادي فنظر الى جبل عال وفيه غار فدخل في ذلك الغار فألقى الله عليه النوم فنام في ذلك الغار نحو مائة سنة فكان الملك يطلبه في كل يوم فلم يجده فاتخذ للاصنام خادما غيره فكانت زوجة

كانوك تبكى عليه ليلا ونهارا فبينما هى تبكى واذا بغراب ينعق على الباب فخرجت اليه
فقالت له أيها الطائر ما أحسن صوتك فأنطق الله لها ذلك الغراب فقال لها أنا الذى بعثنى
الله الى قابيل بن آدم لما قتل أخاه هابيل لأريه كيف يوارى سوأة أخيه . وقال لها
أيضا مالى أراك باكية حزينة فقالت له لقد فقدت زوجى من مدة مائة سنة فقال لها
الغراب أتحبين أن أمضى بك اليه فقالت ان ذلك عجيب فقال الغراب أتعجبين من
أمر الله فعند ذلك قامت من وقتها وساعتها فصارت تمشى والغراب يطير قدامها فخفف الله
عليها الطريق وهى سائرة فى جوف الليل حتى وصلت الى ذلك الوادى الذى فيه زوجها
كانوك ثم ان ذلك الغراب وقف على باب الغار فقال لها ادخلى فدخلت فرأت زوجها نائما
فدنا منه الغراب وقال له قم يا كانوك بقدرة الله تعالى فاستوى جالسا فدخلت عليه زوجته
فتعانقا فواقعها فى تلك الساعة فحملت منه بصالح عليه السلام فلما واقعها وفرغ وقع فى الحال
ميتا فخرجت زوجته من عنده فصارت تمشى والغراب معها حتى دخلت الى بلد ثمود وكل
ذلك جرى تحت الليل فلما كمل حملها وضعت صالحا * وكان وضعه فى ليلة الجمعة من شهر المحرم
ففى ليلة وضعه أصبحت جميع الاصنام منكوسة فبلغ الملك ذلك فاغتم غما شديدا وقال من
نكس أصنامنا فدخل إبليس جوف الاصنام وقال يا آل ثمود ولد فيكم مولود يقال له
صالح يفسد عليكم دينكم . فلما كبر صالح واتنشى كان أجمل أهل زمانه فصيح اللسان
بالعربية . فلما أتى عليه من العمر أربعون سنة أوحى الله اليه أن يدعو قوم ثمود الى توحيد
الله المعبود ويمنعهم عن عبادة الاصنام فعند ذلك ذهب الى القوم فرآهم مجتمعين فى يوم
عيدهم وقد نصبوا أصنامهم على أسرة من ذهب فتقدم صالح ووقف بين يدى الملك وقال له
اعلم أنى قد جئتكم رسولا من عند رب العالمين أدعوكم الى توحيده فقال له الملك يا صالح ان
قبائل ثمود لا ترضى أن يكون مثلك رسولا اليهم فقال صالح ان الله يختص برسالته من يشاء ثم
ان الملك أقبل على قومه وقال لهم ماذا ترون فقالوا إنه لكذاب أشر ثم ان صالحا بنى له مسجدا
بين قبائل ثمود فكان يتعبد فى كل يوم ويخرج الى قبائل ثمود ويدعوهم الى توحيد الله
تعالى وهم على ما هم عليه من الضلال فأقام صالح على ذلك مدة سبعين سنة ثم ان الله أعقم
نساءهم وأبقارهم وأغنامهم وجفت أشجارهم وصارت الخيول تنفر عنهم فهموا بقتل صالح
ففر منهم الى جبل من الجبال فى مغارة فرأى فى تلك المغارة سريرا من الذهب وعليه الفرش
الفاخرة ورأى جوهرة أضاءت منها المغارة فتعجب صالح من ذلك ونام على الفرش والسرير
فكانت تلك النومة نحو أربعين سنة ولا يعلم أحد الى أين توجه فلما انتبه من منامه أوحى الله

اليه أن انطلق الى قوم ثمود وادعهم الى التوحيد فاقبل صالح على القوم وهم مجتمعون فى يوم عيدهم والملك جالس وحوله قومه وأرباب دولته فناداهم صالح ياقوم اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فلما سمعوا صوته تساقطت الاصنام فقال له الملك أولست الذى كنت فينا بالامس وقد غبت عنا منذ أربعين سنة فلا نؤمن بك حتى تخرج لنا ناقة من هذه الصخرة فقال صالح ان ربى على كل شئ قدير وهذا هين على ربى فقال القوم تكون الناقة ذات ألوان أحمر وأصفر وأسود وأبيض ويكون طولها مائة ذراع وعرضها مثل ذلك ويكون مشيها كالبرق الخاطف وصوتها كالرعد القاصف ويكون لها فصيل خلفها على صفتها ويكون لبنها احلى من العسل ويسكر مثل الخمر ويكون فى الصيف باردا وفى الشتاء حارا ماشرب به مريض الاشفى من يومه ولافقير الا ويستغنى وتدخل علينا فى كل يوم عند العشاء وتسلم على القوم كل واحد باسمه وتقف على بابه وتحلب له اللبن من غير حلاب وأنها لاترعى من مراعينا ولاتجفل من مواشينا ويكون الماء لنا يوم ولها يوم وقال آخر من القوم أنا أريد أن تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة ويكون بدنها من الذهب ورجلاها من الفضة ويكون رأسها من الزبرجد الأخضر وأذناها من المرجان ويكون موضع سنامها قبة من الدر ولها أربعة أركان مرصعة بأنواع اليواقيت فاذا أخرجتها لنا بهذه الصفة آمنا بك وبرسالتك فقال له الملك بل تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة ذات لحم وعظم وجلد وشعر ويكون لها سنام قدر القبة ويكون لها فصيل يتبعها وهو على هذه الصفة فان أنت أخرجتها بهذه الصفة آمنا بك وبرسالتك ثم ان صالحا قال ياقوم قد اشترطتم على شرائط كثيرة وأنا أشترط عليكم أن لايركبها أحد ولايرميها بحجر ولاسهم ولايمنعها من شرب الماء ولايمنع فصيلها فقال القوم كلهم نعم فلما أخذ عليهم العهود قام وصلى ركعتين ورفع يديه الى السماء ودعا الله تعالى ثم تقدم الى الصخرة فضرب عليها بقضيب كان لآدم عليه السلام فاضطربت الصخرة وأنت مثل أنين الحامل ثم خرجت من الصخرة ناقة على الصفة التى أرادوها وفصيلها يتبعها وهى تنادى لا إله الا الله صالح رسول الله ✻ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان طول الناقة سبعمائة ذراع وعرضها مائة ذراع وكان لها سبعة آلاف جمل من العشب فلما نظر الملك اليها قام من ساعته وقبل رأس صالح وقال أشهد ان لا إله الا الله صالح رسول الله فآمن مع الملك جماعة كثيرة ثم سارت الناقة وفصيلها تمشى الى الجبال والأودية وترعى فاذا أمسى المساء دخلت الى المدينة وطافت على دور القوم تسلم وتعطى اللبن فكان القوم يخرجون بالأوانى ويضعونها تحت ثديها فتمتلئ الأوانى باللبن فاذا اكتفى جميعهم تاتى عند مسجد صالح وتقيم هى وفصيلها هناك واستمرت على ذلك مدة

ثم ان مواشى القوم صارت تنفر من الناقة حين ترد الماء وكان فى القوم امرأة ذات حسن وجمال يقال لها قطام وكانت معشوقة لشخص يقال له مصدع وكان من الجبابرة وكان مصدع يجتمع مع شخص من أصحابه يقال قدار فاجتمع مصدع وقدار فى بيت قطام على سكر فأحضرت لهما خمرا صافيا فطلبا منها الماء ليمزجاه فلم تجد ماء فطلبته من جيرانها فلم تجده فسألا عن السبب فقيل ان الناقة تشربه فعزم مصدع وقدار على عقرها ثم ان مصدعا أقبل على رهط وقال لهم انى عازم على عقر الناقة فهل تعينونى فقالوا نعم وذلك قوله تعالى « وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون » قال فكمن قدار للناقة فى مكان من الجبل فلما أقبلت الناقة وهى ترعى وقربت من قدار ضربها بالسيف فقتلها ثم طلب فصيلها فهرب الى المكان الذى خرج منه فلما عقر الناقة وشاع ذلك أتوا وصاروا يقطعون من لحمها فلم يبق بيت الا ودخله من ذلك اللحم وصاروا يأكلون ويضحكون فلما أتى صالح وكان غائبا أخبروه بعقر الناقة وقال له جماعة من القوم لاذنب لنا فى عقر الناقة وانما عقرها قدار فقال لهم صالح انطلقوا فان أدركتم فصيلها فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا فى طلبه فرأوه اختفى فى الصخرة التى خرج منها فقال صالح لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم * قال السدى وكان عقر الناقة يوم الاربعاء ثامن عشر صفر فقال صالح للقوم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب وعلامته فى اليوم الأول تحمر وجوهكم وفى الثانى تصفر وفى الثالث تسود فلما رأوا هذه العلامات قد ظهرت فى وجوههم هموا بقتل صالح فهرب منهم واختفى فى بيت كبير القوم فجاء اليه القوم وقالوا قد دخل عندك صالح فقال نعم غير أنى لا أسلمه لكم لانه فى أمانى ثم أوحى الله الى صالح بان يخرج من بين القوم ومعه جماعة من المؤمنين فخرج صالح هو ومن معه من المؤمنين الى نحو الشام فنزلوا بفلسطين فلما أصبح قوم ثمود فى اليوم الرابع تحنطوا بحنوط الموت فلبسوا أكفانهم وانتظروا نزول العذاب فلما كان يوم الاحد ثانى عشر صفر أتتهم صيحة من السماء فسقطت قلوبهم من صدورهم وماتوا أجمعين كبيرا وصغيرا وهو قوله تعالى « فأصبحوا فى ديارهم جاثمين » ثم توجه صالح من فلسطين الى مكة وصار يبكى على الناقة ليلا ونهارا فأتى اليه جبرائيل وبشره أن الله تعالى يبعثها يوم القيامة ويكون راكبا عليها فطابت نفسه واستمر مقيما بمكة الى أن مات صلوات الله وسلامه عليه وله من العمر نحو مائة وثمانين سنة (قال) عبد الرحمن بن سابط بين الركن والمقام دفن سبعون نبيا منهم هود وصالح واسمعيل عليهم الصلاة والسلام انتهى

﴿ ذكر قصة أصحاب الرس ﴾

قال الله تعالى « وعادا وثمود وأصحاب الرس » الآية قال السدى أصحاب الرس كانوا

بقية قوم ثمود وهم أصحاب البئر المعطلة والقصر المشيد اللذين ذكرهما الله فى القرآن العظيم قال السدى ان البئر المعطلة بأرض عدن وكان أهل تلك المدينة يستقون منها ليلا ونهارا وكان عليها نحو سبعين بكرة بسبعين دلوا عليها رجال موكلون بها وعندها حياض للورد فلما عبد الاصنام البقية من قوم ثمود بعث الله لهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان فدعاهم الى توحيد الله فلم يجيبوه فلما اشتد عليهم قتلوه وطرحوه فى تلك البئر فلما طرحوه غارماؤها فهلك أهلها من العطش وهلكت البهائم اذ لم يكن غيرها فسماها الله البئر المعطلة (وأما) القصر المشيد فهو قصر بناه شداد بن عاد بأرض عدن وكان محكم البناء فلما مرت عليه الدهور استملكه الجان فلم يقدر أحد من الناس أن يدنو منه على مقدار ميل لما يسمع فيه من أصوات الجن وضجيجهم ليلا ونهارا قال الكسائى أصحاب الرس كانوا بأرض حضرموت ومدينتهم تسمى الرس وكانت ذات أشجار وأثمار وقرى عامرة يسكن بها طائفة من أصحاب الرس يعبدون الأصنام وطائفة يعبدون النار ﴿قال﴾ السدى انما أهلك الله أصحاب الرس لأنهم كانوا يأتون النساء فى أدبارهن ولم يؤمنوا بنبيهم حنظلة بن صفوان فتزايد كفرهم وطغيانهم فصاح عليهم جبرائيل صيحة فصاروا حجارة سودا حتى بضائعهم ومواشيهم (قال) السدى ان ذا القرنين لما طاف البلاد ودخل الى مدينة الرس رأى ملكها وأهلها ونساءها وأطفالها ودوابها و بضاعتها وأشجارها وفاكهتها كلهم حجارة سودا (قال) الكسائى وكان بهذه المدينة جبل عال يقال له جبل الفلج وكانت تأوى اليه العنقاء بنت الريح وكانت عظيمة الخلقة اذا طارت تغطى عين الشمس مثل الغمام وكان عنقها مثل عنق البعير وكان لها أربعة أجنحة اثنان طويلان واثنان قصيران وكان ريشها ذا ألوان وكانت ترفع الفرس الميت والبعير والفيل وما أشبه ذلك بمنقارها وتطير به الى الجبل الذى تأوى اليه فلما تزايد منها الاذى وصارت تخطف الاطفال الصغار من بنى آدم وتصعد بهم الى الجبل فتزقهم أفراخها شكا أهل المدينة الى نبيهم حنظلة بن صفوان فدعا على العنقاء اللهم اقطعها واقطع نسلها فنزلت عليها من السماء صاعقة فاحترقت هى وأفراخها ولم يبق لها وجود وقد أنكر بعض العرب وجود العنقاء وقال انما هذه حكاية وضعتها العرب حتى قيل فى المعنى

انى اختبرت بنى الزمان فانهم * خل وفى للنوائب أصطفى
فعلمت أن المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفى

انتهى على سبيل الاختصار

﴿ ذكر قصة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ﴾

روى وهب بن منبه أن ابراهيم الخليل ﷺ ابن تارخ بن ناحور وقال الحافظ السهيلي وكان آزر عم ابراهيم ولم يكن أباه واسم أمه ليوثا وكانت مؤمنة تكتم ايمانها وكان مولودا ببلاد حوران وقيل بقرية تسمى برزة من قرى دمشق في مغارة هناك معروفة وفيها الدعاء مستجاب (قال) السدي كانت الكهنة تخبر النمروذ أنه سيولد في هذه السنة مولود يكون هلاك النمروذ على يديه فلما سمع النمروذ بذلك أمر بذبح كل مولود يولد في تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل بيت حارسا بسبب ذلك . قال الرواة ان ساما وحاما ويافثا أولاد نوح عليه السلام كانوا ثلاثة أقسام فكانت النبوة في أولاد سام ومساكنهم الحجاز وما يليها والقوة في أولاد حام ومساكنهم المغرب والتجبر في أولاد يافث ومساكنهم المشرق فولد لحام ولد يقال له كوش وولد لكوش ولد يقال له كنعان وولد لكنعان النمروذ المذكور قال وكان كنعان المذكور قوي البطش مولعا بالصيد واذا صاح بالسباع والوحوش تنشق مرائرها من شدة صيحته فتزوج امرأة فحملت بالنمروذ فلما استوفت أيام حملها ولدته فقال لها أبوه كنعان انه ولد مشئوم فاقتليه أو اطرحيه في الفلاة ليموت قال فأخذته وطرحته في الفلاة بين بقر ترعى فنفر كل البقر عنه وكلما أبصره وحش فر منه فجاءت اليه أمه بعد ذلك فحملته ورمته في نهر وظنت أنه قد غرق فأخرجه الماء الى البر سالما وسخر الله له نمرة ترضعه فرآها أهل قرية فحملوه وربوه وسموه النمروذ فلما شب جعل يقطع الطريق فاجتمع اليه خلق كثير فبلغ خبره الى أبيه كنعان فجمع عليه الجيوش وسار كنعان بمن معه حتى أدرك ولده النمروذ فلما أبصر النمروذ تلك الجيوش القادمة صف جيوشه وتقدم أمامهم ليكشف الخبر الذي قد ظهر له فلما أقبل كنعان بجيوشه حمل النمروذ عليه فيمن معه ووقع القتال فكسر النمروذ جيوش كنعان فعند ذلك برز كنعان وطلب النمروذ فقتل النمروذ أباه كنعان وهو لا يعلم أنه ابنه ولا النمروذ يعلم بذلك وصارت المملكة بيد النمروذ وصار يغزو ملوك الأرض ويظفر بهم حتى ملك شرق الأرض وغربها وكان يعبد الأصنام فأخبرته الكهان بأمر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام . قال وقالت الكهنة للنمروذ ان المولود الذي أعلمناك به قد حملت به أمه في هذه الليلة وكانت أم ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما ظهرت بين الناس لم يعلموا بحملها ولم يظهر عليها ذلك فلما دنت ولادتها خرجت هاربة خوفا على ما في بطنها من الذبح فلما أخذها المخاض دخلت الى المغارة ووضعته فوجدته أحسن الناس وجها والنور يلمع من جبينه وفي ليلة ولادته وقعت الأصنام وطارت التيجان عن رءوسها

ووقعت شرفات قصر النمروذ الى الارض ثم ان أم ابراهيم عليه السلام سدت عليه باب المغارة ومضت الى بيتها ثم أتت اليه بعد سبعة أيام فوجدته يشرب من ابهامه لبنا ومن أصابعه عسلا وزبدا فتركته ومضت وصارت تتردد اليه سنة كاملة وهو فى المغارة ويشب فى كل شهر كما يشب الطفل فى سنة. ولما خرج من المغارة كان يقاس بابن اثنتى عشرة سنة «فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين» ورجع عن اعتقاده «فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل» علم أنه مخلوق أيضا «فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر» يعنى أكبر من النجوم ومن القمر فلما مالت الى الغروب قال ان هذه الأشياء كلها لا تصلح أن تكون إلها فعند ذلك قال «لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين» ثم جعل يصيح ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له ياقوم «انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين» فسمعت الخلائق كلهم صوته بذلك فذعر النمروذ من ذلك . قال فخرج ابراهيم يريد أباه وأمه فجاءه جبرائيل وأدخله على أبيه وأمه فوثب اليه أبوه واعتنقه لما رأى النور والحسن والجمال فقال لأمه من ربك فقالت أبوك قال ومن رب أبى قالت النمروذ قال ومن رب النمروذ فنهره عن ذلك فلم ينته وهو يقول لا اله الا الله هو ربى ورب كل شىء فعند ذلك بكت أمه وأبوه خوفا عليه من النمروذ فقال لهما لا تخافا على منه أنا فى حفظ من حفظنى صغيرا يحفظنى كبيرا فخاف أبوه من النمروذ وأن يغمز عليه أحد فجاء الى النمروذ وقال له أيها الملك ان المولود الذى كنت تحذره هو ولدى قد ولد فى غير دارى ولا أعلم به حتى الآن الى أن جاءنى وقد أخبرتك به فافعل به ما تريد ولا تلمنى بعد ذلك فقال النمروذ ائتنى به فأخذوه من عند أمه وحملوه الى النمروذ فرآه النمروذ وتميزه ثم قال احبسوه الى غد فلما جاء الصباح زين النمروذ مجلسه وصف جنوده وقال ائتونى بابراهيم فأتوه به فنظر ابراهيم يمينا وشمالا وقال ياقوم ما تعبدون فذلك قوله تعالى «واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون» فقال له النمروذ يا ابراهيم ادخل فى دينى وما أنا عليه فأنا الذى خلقتك ورزقتك فقال ابراهيم كذبت يا نمروذ بل «الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين» الآية قال فبهت النمروذ وبهت الناس ووقع فى قلوبهم محبته من حسنه وجماله ولطافة حديثه فعند ذلك التفت النمروذ الى أبى ابراهيم وقال له يا آزر ولدك هذا صغير لا يدرى ما يقول ولا يجوز لمثلى فى قدرى وعظم ملكى أن أعجل بقتله اليك وأحسن اليه وحذره بأسى عسى أن يرجع عما هو عليه فأخذه آزر بيده الى أمه وصار يلاطفه ساعة ويحذره ساعة ويقول له خذ هذه الاصنام وبعها الكبير بكذا والصغير بكذا فكان

لا يصغى لقول أبيه بل يقول كما قال الله عز وجل اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا الآية وكان أبوه يقول له كما قال الله تعالى «لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا» * قال وكان ابراهيم يأخذ الأصنام من أبيه ويذهب بها ويشد الحبل بأرجلها ويجرها خلفه ويقول من يشترى ما يضره ولا ينفعه فكانت الناس تنظره ولا تجسر عليه بالنهى عن ذلك لحرمة أبيه آزر عندهم قال فلما مضى على ابراهيم من العمر سبع عشرة سنة وخالط الناس فقالوا له امض معنا الى عيد آلهتنا وكان للأصنام بيت مبنى بالرخام الأبيض والأخضر وفيه ثلاثة وسبعون صنما وهم جالسون على كراسى من ذهب وكان كبير هذه الأصنام على رأسه تاج مرصع بالجواهر الفاخرة وله عينان من الياقوت الأحمر والأصنام عن يمينه وشماله وكان القوم يصنعون طعاما ويضعونه بين الأصنام فى يوم عيدهم وكانت الشياطين تأخذ الطعام فيظنون أن الاصنام أكلته فيفرحون لذلك ويقولون هى راضية علينا بأكلها قال فصنع القوم الطعام ووضعوه عند الأصنام على المائدة وخرج القوم الى الصحراء للعيد إلا ابراهيم فانه لم يخرج معهم وقال لهم انى سقيم فقالوا اتركوه فلعل الطاعون قد أصابه فلما تخلف ابراهيم عنهم أخذ فأسا فكسر تلك الأصنام كلها الا الصنم الكبير فانه لم يكسره بل علق الفأس برقبته ومضى ابراهيم فلما رجع القوم الى الأصنام وجدوها مكسرة والفأس معلقة برقبة الصنم الكبير فقالوا من فعل هذا بآلهتنا قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم فقال النمروذ ائتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون فلما حضر ابراهيم قال له النمروذ أأنت الذى فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون فقال ابراهيم أف لكم ولما تعبدون من دون الله فكابر عند ذلك هو ووزراؤه وقالوا احرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين * قال السدى فلما أجمع هو ووزراؤه على حرق ابراهيم عليه الصلاة والسلام أمر بجمع الأحطاب على البغال من الجبال فلذلك قطع الله نسل البغال فلا زالوا يجمعونها الى مدة ثلاثة شهور ثم أطلقوا فيها النار فارتفع دخانها حتى كاد أن يهلك أهل المدينة من شدة حر النار والدخان فكان بعض الناس ينزل ويختفى فى الأسربة من شدتها قال وكانت النار فى قرية يقال لها الغوطة وحر النار وصل الى دمشق الشام فتحيروا كيف يلقون ابراهيم فيها من حرها ولم يجسر أحد أن يتقدم ليلقى ابراهيم فيها فجاء ابليس اللعين على صورة رجل وقال لهم أنا أصنع لكم منجنيقا لترموا به ابراهيم وكان ابليس قد رأى مجانيق جهنم المعدة للكفار فى أودية النار فلما صنع ابليس المنجنيق فرح النمروذ بذلك ووضعوا ابراهيم فى تابوت ووضعوه فى المنجنيق وهموا أن يلقوه فى النار

فضجت ملائكة السموات والأرض وقالوا إلهنا وسيدنا عبدك ابراهيم لا يعبدك غيره فى الأرض فكيف يرمى فى النار فأوحى الله اليهم يا ملائكتى ان طلب الاغاثة منكم فأغيثوه فجاء اليه ميكائيل عليه السلام وقال يا ابراهيم ان أردت أن أسوق لك الامطار وأطفئ لك النار فقال ابراهيم لا حاجة لى بك ثم جاء اليه جبرائيل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة فقال ابراهيم عليه السلام أما اليك فلا حسبى من سؤالى علمه بحالى واذا النداء من العلى الأعلى يا جبرائيل اضرب بجناحك النار فضربها بجناحه فانطفأ لهيبها وجعلها الله عليه بردا وسلاما بدليل قوله تعالى « قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم » وأجرى الله بجانبه عينا من الماء البارد وبجانبها شجرة رمان وأتاه جبرائيل بسرير من الجنة وعليه فراش من السندس وتاج وحلة فلبسهما ابراهيم وجلس على السرير فى أرغد عيش هذا ما كان من أمر ابراهيم ﷺ لما ألقى فى النار * وأما النمروذ المبعد عن رحمة الله تعالى فانه قصد مكانا عاليا وأراد النظر كيف صار بابراهيم واذا بشرارة طارت الى أثواب النمروذ فأحرقتها جميعا الابدنه فلم يحترق ليعلم أن النار لا تضر أحدا الا باذن الله تعالى كل ذلك ولم يعتبر النمروذ ﴿ سؤال ﴾ لم ابتلى الله ابراهيم عليه السلام بالنار ولم يبتل قبله أحدا بها ﴿ الجواب ﴾ أن ابراهيم عليه السلام كان يخاف من النار فأدخله الله اليها ليعلم أن النار لا تضر أحدا الا باذن الله تعالى * قال السدى آمن فى ذلك اليوم أناس كثيرون لما رأوا هذه المعجزة لابراهيم ﷺ ولما رأى النمروذ ذلك قال لابراهيم اخرج من أرضنا لئلا تفسد علينا ديننا فخرج ابراهيم وصحبته سارة وكان ممن آمن به وصحبه ابن أخيه لوط عليه السلام وتوجه ابراهيم بهما نحو أرض حوران فأوحى الله اليه أن يتزوج بسارة فتزوج بها وتاجر فصار عنده مال عظيم فاشترى قماشا وأخذ زوجته سارة وتوجه بها الى مصر قال وكانت سارة ذات حسن وجمال وقد واعتدال حتى لم يكن فى زمانها أجمل منها فلما دخل بها الى أرض مصر قيل له يا ابراهيم ان بمصر ملكا جبارا يحب النساء وكان من عادته اذا سمع بامرأة جميلة يتزوج بها قهرا وكان اسم الملك طوطيس وكان من عادة الملوك السابقة أن يسكنوا بمدينة يقال لها منوف وكان له حراس يقيمون على الطرقات ليأخذوا العادة من المسافرين وكان ابراهيم قد وضع زوجته سارة فى صندوق ليخفيها عن الملك فلما صار ابراهيم بين يدى الحراس أرادوا فتح الصندوق ليروا ما فيه ولم يقدر ابراهيم على منعهم من فتحه ففتحوه فاذا بسارة فى الصندوق فحملوها الى الملك فقال من هذه المرأة يا ابراهيم فقال هى أختى وعنى أنها أخته فى الخلقة و... زوجنى إياها فقال انها مزوجة فأخذها الملك قهرا (قال الراوى) فرفع الله تعالى

الحجاب عن بصر ابراهيم حتى انهالم تغب عن معاينته ليطمئن قلبه اذا رجعت اليه قال فلما دنا الملك منها وأراد أن يتناولها بيده يبست ثم تاب فانطلقت يده ثم عاد فيده ثانيا فيبست بدمورجله فعاد وقيل انه تاب فعاد وتاب سبع مرات الى أن تاب تو بتصادقة كل ذلك وابراهيم ينظر وقد كشف الله الحجاب عن بصره فدعا الملك بابراهيم وأحضره وأكرمه وأعطاه زوجته ووهبه جارية تسمى هاجر فتزوجها ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال ثم ان ابراهيم خرج من مصر يريد الشام فأقام عند قوم بواد يقال له وادى السبع فأوسع الله عليه الرزق من المال والمواشى حتى قيل كان له اثنا عشر ألف قطيع من الغنم وفى كل قطيع كلب وعليه جل من الديباج الملون وفى عنقه سلسلة من الذهب وكان ابراهيم أغنى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فى المعيشة وكان لا يأكل الا مع الأضياف وكان اذا أمسى المساء ولم يكن عنده ضيف مشى الميل والميلين ليجد من يأكل معه فكان كما يقال فى المعنى

لا مرحبا بالليل ان لم يأتنى * فى طيه ضيف ملم نازل
والصبح ان وافى فلا أهلا به * ان كان عندى فيه ضيف راحل

* قيل ان ابراهيم عليه السلام أول من قرى الأضياف وأول من شاب فلما رأى الشيب فى لحيته أنكره فقال يارب ماهذا فأوحى الله اليه هذا الوقار فقال يارب زدنى وقارا فأصبحت لحيته بيضاء * وقيل لما كثرت مواشيه ضاقت عليه الأرض فاجتمع عليه أهل تلك الارض وقالوا له ياصالح وكان يسمى عندهم بالشيخ الصالح اخرج من بلادنا فانك ضيقت الارض علينا بمواشيك قال فعزم على الرحيل فلما رحل عنهم نشفت الآبار من الماء وكان فيها الماء من بركته فهلك القوم من العطش فلحقوه وسألوه الرجوع فأبى فشكوا له قلة الماء فأعطاهم سبع نعاج وقال أوقفوا على كل بئر نعجة يأتيكم الماء فأخذوا النعاج وأوقفوها على الآبار فرجع الماء ببركة مواشيه ﷺ ولذا سمى الوادى بوادى السبع * قال قتادة لما تزوج ابراهيم عليه السلام بهاجر جاء منها اسمعيل عليه السلام وقد صار عمره خمسا وثمانين سنة فلما كبر اسمعيل شمخت هاجر على سارة وصارت تعارضها فيما تقول فحلفت سارة يمينا مغلظا لتقطعن قطعة من لحم هاجر فلما سكن غضبها بقيت سارة متحيرة فى أمر اليمين فأفتاها ابراهيم حين قصت عليه اليمين وقال اثقبى أذنيها ففعلت ذلك * ثم ان سارة قالت لابراهيم لا أسكن أنا وهاجر فى مكان واحد فأوحى الله الى ابراهيم بأن لا تخالف سارة وأمره أن يمضى بهاجر واسمعيل الى محل الحرم وكان اسمعيل طفلا رضيعا فأركب اسمعيل وأمه على بعير وأخذ معه سقاية وجرابا فيه دقيق وسار الى مكة فأنزلها فى محل الحرم وكان موضع

البيت الشريف يومئذ ربوة حمراء فصنع ابراهيم هناك بيتامن عريش الشجر وترك عندهما السقاية والجراب المملوء دقيقا فلماأراد الانصراف عنهماقالت له هاجر الى أين تمضى قال الى نحو الشام قالت وكيف تذهب وتتركنافي هذا المكان الذى لا نبات به ولا ماء ولا أنيس فلازالت تقول له مرارا وهو لا يلتفت اليهافقالت له آلله أمرك بهذا فقال لها نعم فقالت اذن لا يضيعنا ثم انطلق ابراهيم وهو يقول (ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ثم ان هاجر أقامت هناك ثلاثة أيام وفرغ ما كان معها من الماء والدقيق فعطشت هى وابنها فجعلت هاجر تصعد الى الصفا وتنظر هل ترى ماء أو أحدا ثم تذهب الى المروة وتنظر هل ترى ماء فسعت بين الصفا والمروة سبع مرات وهى كالولهانة تتضرع الى الله عز وجل فى طلب الماء فلأجل ذلك صار السعى واجبا بين الصفا والمروة على سائر الحجاج * وأما اسمعيل فانه كان يبكى تارة ويسكت أخرى حتى أشرف على الهلاك من قلة الماء فبينما هى كذلك اذ سمعت هاتفا يقول ارجعى قد أنبع الله لك الماء فرجعت فوجدت الماء قد نبع بين أقدام اسمعيل وهو يفور ويسيح فخافت هاجر منه فقالت زمزم يا مبارك حتى أمسك عن جريانه فلذلك سميت زمزم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أم اسمعيل لو أنها لم تقل زم زم يا مبارك لكانت زمزم عينا جارية (ويروى) أن جبرائيل عليه السلام أتى الى هاجر وهى تسعى بين الصفا والمروة فقال لها من أنت قالت أنا سرية ابراهيم خليل الرحمن وقد تركنى ههنا فقال جبرائيل الى من ترككما قالت الى الله تعالى فقال لقد ترككما الى كاف وقال الله تعالى أليس الله بكاف عبده ألا يعلم من خلق ثم ان جبرائيل أتى زمزم وركضها برجله ففاض الماء ولذا يقال لزمزم ركضة جبرائيل ثم ان اسمعيل وأمه جعلا يشربان من ذلك الماء فكان يكفيهم غذاء وشربا ببركته فأقامت هناك مدة * وقيل ان جماعة من بنى خزاعة من أولاد جرهم نزلوا بالقرب من مكة فرأوا طيورا قد كثرت هناك فقالوا ان هذه الطيور لا تنزل الا على ماء فجاءوا ودخلوا فوجدوا الماء فقالوا لها لمن هذا الماء فقالت لهم ان الله تعالى خصنى به فقالوا لها أننزل عندك حتى نجعل لك نصيبا من مواشينا فقالت لهم نعم فنزلوا عندها وضربوا حولها المضارب وأقاموا عندها فلما كبر اسمعيل عليه السلام وانتشى بين العرب وتعلم منهم اللغة العربية والفروسية وتزوج من بناتهم ورزق الأولاد ولهذا يقال اسمعيل أبو العرب (وقيل) ان ابراهيم بعد ذلك قدم الى مكة وسأل عن بيت اسمعيل فدلوه فأتى الى باب داره وطرق الباب فخرجت اليه زوجة اسمعيل فسألها عنه فقالت له انه غائب فسألها عن معيشتهم

فقالت نحن على أسوإ حال من ضيق المعيشة فقال لها اذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قالت له قد جاء اليك شيخ صفته كذا وكذا وذكرت له الوصية فقال لها هذا أبي وقد أمرني أن أفارقك فالحقي بأهلك ثم ان اسمعيل تزوج بامرأة غيرها من بنات العرب فقدم ابراهيم مرة ثانية فدق الباب فخرجت اليه زوجة اسمعيل فقال لها أين زوجك فقالت انه غائب فسألها عن معيشتهم فقالت بخير والحمد لله فقال وما طعامكم فقالت اللحم واللبن فقال وما شرابكم فقالت ماء زمزم فقال اللهم بارك لهم في لحمهم ولبنهم ومائهم ثم أوصاها وقال اذا جاء زوجك فأقرئيه مني السلام وقولي له يثبت عتبة بابه . قال السدي لما دعا ابراهيم بالبركة لم يكن غير اللحم واللبن والماء فلو كان غيره ودعا له بالبركة مثل الحبوب كالقمح والشعير والفول لكان كثيرا بدعوته ثم غاب ابراهيم عليه السلام مدة طويلة فاستأذن سارة المسير الى زيارة ولده اسمعيل فأذنت وشرطت عليه أن لا يكلم هاجر ولا ينظر اليها فقال نعم ثم انه قدم الى مكة وجاء الى بيت اسمعيل فدق الباب فقالت زوجته ما تريد فقال أين اسمعيل فقالت انه خرج يتصيد فسألها عن هاجر فقالت انها قد ماتت ودفنت قريبا من الحجر . وقيل لما توفيت هاجر كان لها من العمر نحو سنين سنة ولاسمعيل من العمر عشرون سنة ثم ان ابراهيم جلس في الحرم واغتسل من ماء زمزم وجعل ينتظر ابنه اسمعيل فلما جاء من الصيد وجد أباه عند بئر زمزم فاعتنقه ثم أخذ بيد أبيه وأضافه فأخرج له لحما ولبنا فأكل ثم قال ابراهيم يا بني ان الله قد أمرني بان أبني له بيتا على هذا التل الأحمر فكن لي معينا على ذلك

﴿ ذكر بناء البيت ﴾

قال الثعلبي لما أمر الله تعالى ابراهيم ببناء البيت أرسل اليه سحابة بيضاء على قدر البيت ونودي يا ابراهيم ان البيت على قدر السحابة وظلها . وروى الواقدي أن ابراهيم لما احتفر أساس البيت رأى حجرا من رخام أخضر وعليه أربعة أسطر . السطر الأول مكتوب أنا الله لا اله الا أنا رب البيت مغليها وهي غزار ومرخيها وهي قفار . والسطر الثاني مكتوب أنا الله لا اله الا أنا رب البيت مهلك الطغاة ومفقر الزناة ومخزي تارك الصلاة . والسطر الثالث مكتوب أنا الله لا اله الا أنا رازق من لا حيلة له حتى يعلم من له حيلة أن لا حيلة له . قال وأوحى الله الى ابراهيم بأن يأتي بحجارة البيت من خمسة جبال جبل طورسيناء وجبل طور زيتا وجبل لبنان وجبل الجودي وجبل حراء بمكة ليكون يوم القيامة تقل هذه الجبال في موازين الحجاج فلما جمعت هذه الاحجار من الجبال المذكورة شرع ابراهيم في بناء البيت فكان اسمعيل يأتيه بالحجارة و يعجن له الطين واستمر يبني الى أن ارتفع البناء وهو

قوله تعالى « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل » قال ان الحجر الذى يعرف بمقام ابراهيم كان اذا بنى وقف عليه فتارة يرتفع به اذا لم يرتفع البناء وتارة يهبط به اذا أراد الأرض . قال أنس بن مالك رضى الله عنه رأيت أثر قدم ابراهيم فى هذا الحجر وقد أثر فيه كعبه وأخماص أصابع رجليه غير أنه اختفى رسمه من كثرة لمس الناس له بأيديهم فمحى ذلك من كثرة الأيام والليالى . قال الكسائى بينما ابراهيم يبنى فى البيت اذ ناداه جبل أبى قبيس يا ابراهيم ان لك عندى وديعة فخذها فلما دنا منه انشق من الجبل قطعة وخرج منها الحجر الأسود وكان نوح عليه السلام لما خرج من السفينة بعد الطوفان أودع الحجر الأسود بهذا الجبل فأنطق الله الجبل بالوديعة فلما أتم ابراهيم بناء البيت أوحى الله اليه أن اصعد الى سطح البيت « وأذن فى الناس بالحج » قال فبلغ صوته مشارق الأرض ومغاربها لأن الله تعالى قال له يا ابراهيم منك النداء وعلينا البلاغ قيل ان ابراهيم طلع على جبل عرفات ونادى بأعلى صوته يا أيها الناس ان الله تعالى قد بنى لكم بيتا فحجوا اليه فبلغ مدى صوته المشرق والمغرب فمن أجابه بالتلبية كتب له الحج ومن لم يلب لم يحج فذلك قوله تعالى « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا » الآية قال الثعلبى ولم يزل هذا البيت على بناء ابراهيم الى سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله ﷺ فهدمت قريش ما بناه ابراهيم و بنوه ثانيا وجعلوا من داخله صور أربعة ملائكة جبرائيل وميكائيل واسرائيل وعزرائيل عليهم السلام وجعلوا أيضا فيه صور الانبياء والمرسلين فلما فتح النبى ﷺ مكة فى عام الفتح طمس تلك الصور جميعها وأبقى صورة عيسى وأمه ثم بعد ذلك جدد بناءه تميم بن أسعد ثم جدد بناءه بعد ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ ثم بعد ذلك جدد بناءه عبد الله بن الزبير فى خلافة معاوية بن أبى سفيان لما وهنت أركانه من النار التى أحرقته ثم ان الحجاج هدم ما بناه عبد الله بن الزبير جميعه وبناه على هذه الصفة التى هو عليها الآن وذلك فى سنة أربع وسبعين من الهجرة النبوية فى خلافة عبد الملك بن مروان الأموى

﴿ ذكر قصة اسمعيل عليه السلام ﴾

قال السدى قد اختلف جماعة من العلماء فى الذبيح فمنهم من قال انه اسحق وأهل التوراة يرجحون ذلك والاشهر أنه اسمعيل لقول بعض العرب للنبى ﷺ ابن الذبيحين وهما اسمعيل عليه السلام وعبد الله الذى فداه أبوه بمائة بعير . قال ابن عباس رضى الله عنهما ان ابراهيم نذر فى سره ان ولد له ولد ذكر ليذبحنه قربانا الى الله تعالى فلما تمادت عليه الأيام

والليالي تنسى ما نذره (قال) السدي ان ابراهيم رزق اسمعيل قبل اسحق بثلاثين سنة فبينما ابراهيم نائم اذ رأى في منامه قائلا يقول له يا ابراهيم ان الله يأمرك أن تفي بنذرك وهو ذبح ولدك بيدك فانتبه ابراهيم وهو مذعور فكان يرى تلك الرؤيا في سبع ليال متوالية فعزم على ذبح ولده . قال السدي لما قوي عزم ابراهيم على ذبح ولده ناداه يا اسمعيل خذ معك حبلا ومدية قال وما تصنع بها يا أبت قال أذبح كبشا قربانا الى الله تعالى فانطلق هو وابنه اسمعيل وسار به الى شعب جبل عند وادي منى فبينما هما يمشيان اذ تعرض ابليس اللعين لاسمعيل بصورة شيخ فقال الى أين تمضي يا اسمعيل قال ليقرب أبي قربانا الى الله تعالى فقال ابليس أتدري ما القربان الذي يقرب به أبوك قال لا قال انه يريد أن يذبحك وقد جئتك ناصحا فقال يا ابليس أيفعل هذا أبي من قبل نفسه أم بأمر ربه فقال ابليس بل بأمر ربه فقال اسمعيل اذا كان الذبح بأمر ربي فكيف أعصى ذلك فرجع ابليس خائبا فكان كلما يتبع اسماعيل يرميه بالحصى ففعل ذلك به سبع مرات فصار من يومئذ رمي الجمار سنة فلما وصل ابراهيم الى شعب الجبل جلس وقال لاسمعيل ان الله تعالى أوحى الي بذبحك وقد رأيت ذلك في المنام سبع مرات سبع ليال متوالية فقال اسمعيل «يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين» فلما رأى ابليس ذلك جلس على الجبل ليرى ما يكون من أمرهما ثم ان ابراهيم أضجع ابنه على جنبه الأيمن وشد يديه ورجليه بحبل فقال اسمعيل يا أبت لا تشد رجلي ويدي بالحبل لئلا تقول الملائكة قد جزع من أمر ربه فخله واستمر اسمعيل مضطجعا على جنبه الأيمن من غير وثاق ثم ان ابراهيم عليه السلام وضع المدية على نحر اسمعيل وصار يحز بها مرارا فلم تؤثر في نحره ولم تخدش شيئا فعند ذلك ضجت من هذه الواقعة ملائكة السماء والأرض والطير والوحوش والحيتان في البحر ونطق الكل بالابتهال الى الله تعالى وصاروا يقولون إلهنا وسيدنا ومولانا ارحم هذا الشيخ الكبير وافد هذا الطفل الصغير فلما رأى اسمعيل أن المدية لا تقطع نادى يا أبت انخع بالمدية في لبتي فنخعه بها في لبته نخعا بليغا فغابت المدية في نصابها ثم قال اسمعيل لأبيه يا أبت كبني على وجهي فانك اذا نظرت الى وجهي ترحمني فكبه على وجهه ووضع السكين وحز بها فلم تؤثر ذلك كله فغضب ابراهيم ورمى السكين من يده فأنطق الله تعالى السكين وقالت يا ابراهيم أنا بين أمرين فالخليل يقول اقطعي والجليل يقول لا تقطعي وإني من قبل الجليل لا من قبل الخليل وكيف أقطع في نحر اسمعيل ونور محمد صلى الله عليه وسلم في جبهته يلمع ثم ان الله تعالى أوحى الى ابراهيم أن يا ابراهيم «قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين وفديناه بذبح عظيم» قال فبينما هو

كذلك واذا بجبرائيل أتاه ومعه كبش أملح وقال هذا فداء ولدك نخذه واذبحه فداء لاسمعيل وأدركه بالفرج الجزيل (وأنشد في المعنى)

إنا سمعنا مقالا قاله فطن * في أضيق الوقت يأتي الله بالفرج

(قال) الثعلبي ان الأضحية صارت من وقتها سنة ابراهيم عليه السلام *(سؤال)* لم فدى الله تعالى اسمعيل بكبش ولم يجعل فداءه جملا أو بقرة أو غير ذلك *(الجواب)* ان ابراهيم لما أخذ الحبل والمدية فقال اسمعيل وما تصنع بهما قال أذبح كبشا فصدق الله تعالى قول خليله *(جواب آخر)* ان الله تعالى ادخر الكبش الذي قربه هابيل بن آدم فأخره الله ليعلم عباده أن الخير من الأجداد ينفع الاولاد (قال) السدي كان هذا الكبش قدر الفيل العظيم وكانت قرونه وحوافره من الذهب الأحمر وليس به عظم بل كله لحم وشحم ولم يكن على بدنه صوف وكان يرتع في رياض الجنة فصار عظيم الخلقة فذبحه ابراهيم وفرق لحمه على الفقراء والمساكين وكان ذبحه بمنى فصار فداء الحاج هنالك كل سنة. قال السدي كان عمر اسمعيل حين الذبح عشرين سنة. قال الكسائي عاش اسمعيل مائة وسبعة وثلاثين سنة . ويروى أنه لما مات دفن تحت الميزاب انتهى ملخصا

(قصة هلاك النمرود بن كنعان)

قال الثعلبي ان النمرود هو أول من تجبر في الأرض وادعى الربوبية من دون الله تعالى . قال السدي ان الغلاء وقع في زمن النمرود وأجدبت الأرض فكان النمرود يخزن عنده جميع الغلال فيقصده الناس من سائر الأقطار وكان لا يبيع أحدا شيئا حتى يسجد له ويقول أنت ربي ووقع القحط في الارض التي بها ابراهيم فسار ابراهيم الى النمرود ليشتري منه غلالا فلما وصل الى النمرود ووقف بين يديه عرفه النمرود فقال يا ابراهيم من أنا فقال ابراهيم أنت عبد من عبيد الله تعالى فقال النمرود اسجد لي فقال ابراهيم لا ينبغي السجود الا للرب المعبود فقال النمرود ومن الرب المعبود قال ابراهيم الرب المعبود هو الذي يميت ويحيي فقال له النمرود « أنا أحيي وأميت » فاستدعى برجلين وجب عليهما القتل فقتل واحدا وأطلق الآخر فقال ها أنا أمت وأحييت فقال ابراهيم «ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين » فعند ذلك قال النمرود لابد أن أقاتل إله ابراهيم فأمر ببناء الصرح (قال) كعب الأحبار طول ذلك الصرح فرسخان في عرض فرسخ . قال الآمدي كان بناؤه في أرض بابل ثم عمد النمرود الى أربعة نسور ربأها على اللحم والخمر حتى استكملت قوتها ثم صنع تابوتا من الخشب وجعل لذلك التابوت بابا من أعلاه وبابا من أسفله وربطه بأرجل النسور بعد أن جوعهم وعلق لها على عصا

فوق التابوت ثم دخل النمرود فى التابوت وأخذ معه قوسا وثلاثة أسهم وأخذ معه أحد وزرائه ممن كان يثق بعقله ثم كشف اللحم للنسور فأقلعوا طمعا فى اللحم فبعد ساعة قال لوزيره اكشف الباب الأعلى فنظر الى السماء فوجدها على هيئتها ثم كشف عن الباب الأسفل فنظر الى الأرض فوجدها كاللجة و وجد الجبال كالدخان ثم أطبق البابين ثم بعد زمان كادت النسور أن تهلك من التعب ففتح البابين فنظر الى السماء فوجد ظلمة ونظر الى الأرض فرأى ظلمة فبينما هو صاعد اذ ناداه ملك الى أين يا عدو الله فظن النمرود أن الذى ناداه إله السماء فأخذ القوس و وضع السهم وصوبه نحو السماء ورمى به فى الهواء فغاب السهم عنه ساعة ثم عاد اليه وهو ملطخ بالدم ففرح النمرود بذلك وقال قتلت إله السماء قال عكرمة ان السهم أخذته سمكة وقربت نفسها الى الله تعالى فأصابها فذلك الدم منها وهى فى بحر بين السماء والأرض * قال العزيزى ان النمرود لم يزل يصعد فى الجو الى أن ناداه ملك الى أين يا عدو الله ان بينك و بين السماء خمسمائة عام ثم صاح الملك صيحة مات منها الوزير ثم ان جبريل عليه السلام ضرب التابوت بجناحه فسقط فى البحر فقذفته الأمواج الى البر فخرج النمرود من التابوت وقد ابيضت لحيته من الخوف مما رأى من الأهوال فلما رآه قومه أنكروه ولم يصدقوه أنه النمرود قال الثعلبى ان الله سلط على ذلك الصرح ريحا عاصفة فألقته على من كان من أرباب دولته وذلك قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم ثم ان النمرود أحضر ابراهيم وقال له قل لربك أن ينزل من السماء إلى الأرض حتى أقاتله فان ذلك من عادة الملوك تقابل وتقاتل فأوحى الله تعالى الى ابراهيم أن قل للنمرود أن ينظر الى سائر المخلوقات و يختار أى جنس نرسله عليه فاختار البعوض لأنه لا يأكل الا أكلة واحدة و يموت فقال ابراهيم اجمع عساكرك من جميع الجهات وألبسهم الدروع والجواشن وتهيأ لهذا الجند الذى هو أضعف جنود الله القوى فجمعهم النمرود فكان مقدارهم مسيرة أربعة فراسخ قال العزيزى ان هذا الجمع كان بأرض الكوفة فلما كان يوم الميعاد ظهر عسكر البعوض من البحر وسد ما بين الخافقين حتى حجب الشمس عن الأبصار فأمرها الله أن تنتشر على عساكر النمرود وتأكلهم فصارت تأكل الدروع والجواشن والسلاح حتى وصلت الى لحومهم فأكلتها ولم يبق منهم غير العظام فهلكوا جميعهم ثم أرسل الله تعالى الى النمرود بعوضة ضعيفة بجناح واحد وهى أصغر البعوض كله فدخلت فى أنفه وصعدت الى رأسه فانهزم وأخره الله تعالى ليعتبر قيل انها مكثت فى رأسه أربعين سنة فكان يأمر غلمانه أن يضربوه بالنعال على رأسه فيجد بذلك راحة فلما طال عليه الأمر ضربه أحد خدامه بطبر على رأسه فانفلق فخرجت تلك البعوضة وهى مثل العصفور تقول

هذا جزاء عدو الله ... هبت وأهلك الله النمروذ وجنوده بأضعف جنوده وعجل الله بروحه الى النار و بئس القرار * قال تعالى «وما يعلم جنود ربك الا هو» وقد قيل في المعنى

فلسان الكون عنه ناطق * ان هذا الملك لله الصمد

جل خلقا عن مثال سابق * وتعالى عن نظير وانفرد

فاذا عاينتموا آياته * نزهوه عن شريك وولد

﴿ ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام ﴾

قال كعب الأحبار خرج ابراهيم عليه السلام في طلب الأضياف فمر به ملك الموت في صورة شيخ كبير فسلم على ابراهيم فرد عليه السلام وقال له من أنت قال أنا عابر سبيل فأخذه بيده وأتى به الى منزله فلما رأته زوجته عرفت أنه ملك الموت فبكت فلما دخل اسحق وجد أمه تبكي فبكى الآخر فلما وجدهما ملك الموت يبكيان خرج من المنزل ومضى فلما جاء ابراهيم و وجد الضيف قد مضى غضب على سارة واسحق وقال بكيتما في وجه ضيفي حتى مضى وكان لابراهيم بيت يتعبد فيه فدخله ابراهيم فوجد الضيف فيه فقال له ابراهيم من أدخلك بيتي من غير اذني فقال الضيف لا تخدعني يا ابراهيم أنا ملك الموت فقال له ان كنت صادقا فأرني آية تدل على انك ملك الموت فقال له حول وجهك عني فحول ثم التفت ابراهيم اليه فرآه على الصورة التي يقبض الله بها أرواح الأنبياء والمؤمنين أي صورة حسنة منورة ثم قال لابراهيم حول وجهك عني فحول ثم عاد فنظره على الصورة التي يقبض بها أرواح المنافقين والكفار فعند ذلك غشي على ابراهيم فتركه ملك الموت وانصرف عنه مدة ثم ان ابراهيم خرج يوما لينظر ضيفا فرأى شيخا كبيرا فأخذه بيده وأدخله بيته وأحضر شيئا من العنب فجعل الشيخ يأخذ من العنب ويمج ويرمي جلد العنب وماؤه يسيل على لحيته فتعجب منه ابراهيم فقال له ابراهيم أيها الشيخ كم لك من العمر قال كذا وكذا سنة فاذا هو قدر عمر ابراهيم فعند ذلك قال ابراهيم اللهم اقبضني اليك حتى لا أصير الى الهرم فكان ابراهيم أول من تمنى الموت فلما دنا منه ملك الموت قال يا نبي الله على أي حالة تحب أن أقبض روحك فقال ابراهيم وأنا ساجد لله تعالى فقبض روحه وهو ساجد وقد اختلف جماعة من العلماء في مدة حياة ابراهيم فمنهم من قال عاش مائة وخمسا وسبعين سنة ومنهم من قال عاش مائتي سنة والله أعلم * قال السدي ان سارة توفيت قبل ابراهيم بمدة طويلة وجاوزت من العمر مائة وسبعة وعشرين سنة فلما ماتت اشترى لها مغارة ودفنها فيها وهي بقرية حبرون من أرض كنعان ولما مات ابراهيم دفن في تلك المغارة

﴿ ذكر قصة اسحق عليه السلام ﴾

قال وهب بن منبه لما رزق ابراهيم بابنه اسمعيل من هاجر انكسر قلب سارة لأنها لم ترزق ولدا وكان لها من العمر خمسة وثمانون سنة فبشرها الله باسحق بعد هذه المدة كما جاء في القرآن وأن يكون من نسله ألف نبي فعند ذلك طاب قلب سارة بهذه البشارة * قال السدى كان بين اسمعيل واسحق نحو ثلاثين سنة وكان اسحق شديد الغيرة وكان نبيا مرسلا قد بعثه الله الى قوم بالشام فلما كبر اسحق تزوج بامرأة من أرض حوران وهي ربقة بنت توبيل فلما دخل بها حملت منه بغلامين في بطن واحد وهما العيص ويعقوب * قال السدى ان العيص تكلم في بطن أمه فسمعته فأخبرت أباه بذلك فقال لها ان سمعت فأعلميني فلما سمعت أعلمته فجعل اسحاق أذنه عند سرة زوجته فسمع العيص يقول ليعقوب والله لئن خرجت قبلي لأخرقن بطن أمي وأقتلك فقال له اسحاق يا مبارك ارع حق أمك ولا تخرق بطنها ولا تقتل أخاك فلما كان الوضع كان العيص يسابق يعقوب فخرج العيص أولا وتأخر يعقوب بعده فلذلك سمي العيص عيصا لأنه عصى أخاه عند الخروج لأن يعقوب كان أكبر منه وأسبق في الحمل وسمي يعقوب يعقوب لأنه تعقب في خروجه من بطن أمه فلما كبر كان العيص أحب الى أبيه وكان يعقوب أحب الى أمه فلما كبر اسحاق في العمر كف بصره فقال لولده العيص يا عيص ائتني بكبش حتى أذبحه وأجعله قربانا الى الله تعالى وأدعو لك دعوة فعسى أن تنفعك دعوتي ان شاء الله واجعل يدك عند يدي وقت الدعاء فسمعت زوجته ما قاله لابنها العيص فأخبرت ابنها يعقوب بذلك وقالت له اسبق أنت الى كبش وائت به الى أبيك والبس فروة مقلوبة لأن العيص كان على بدنه شعر مثل شعر المعز فاذا لمسك أبوك يعلم أنك العيص ابنه فيدعو لك وتفوز بدعوته فعند ذلك أسرع بكبش ولبس فروة مقلوبة وجاء الى أبيه وقدم له القربان مشويا فأكل منه اسحاق وقال تقدم يا بني وهو يظن أنه العيص فتقدم يعقوب ولمسه أبوه فوجد الشعر فقال اسحاق ان المس مس العيص والريح ريح يعقوب فقالت زوجته هو ابنك العيص فادع له فوضع كفه على كف يعقوب وقال اللهم اجعل من ذريته الأنبياء والملوك ثم قام يعقوب من عند أبيه فجاء في أثره العيص ومعه كبش مشوى فوضعه بين يدى أبيه فقال له من أنت قال أنا ابنك العيص فقال يا بني قد سبقك بالدعوة أخوك يعقوب وفاز بها فعند ذلك غضب العيص وقال لأقتلن يعقوب فقال اسحاق يا بني لا تغضب قد بقي لك عندي دعوة فرفع يده وقال اللهم اجعل ذريته عدد الرمل والحصى ولم يملكهم أحد غيرهم فكان من نسله بنو الأصفر وهم ملوك الفرنج وكان العيص به صفرة زائدة فكان يسمى الأصفر وكان في قلب العيص من

أخيه يعقوب شيء فقالت أمه ليعقوب اذهب الى منزل خالتك بأرض نجران واترك لأخيك
أرض كنعان فاني أخشى عليك منه فسرى يعقوب هو وعمله تحت الليل فكان يسرى
بالليل و يكمن بالنهار حتى وصل الى منزل خالته وكان اسمها ليا وكان لها بنتان فتزوج بواحدة
منهما ثم تزوج بالأخرى وهي الصغيرة فرزق منها بيوسف و بنيامين وكان ذلك جائزا في ذلك
الزمان ولم يزل جائزا الى أن بعث الله موسى بن عمران عليه السلام فأنزل الله عليه تحريم ذلك
فرزق الله يعقوب من زوجتيه وغيرهما اثني عشر ولدا فلما كبر أولاده قصد الرجوع الى
أرض كنعان فأمر أولاده أن يسبقوه واذا وصلوا يدخلون و يسلمون على عمهم العيص
و يقولون له نحن أولاد أخيك يعقوب وقصد بذلك الترفق والتودد لما جرى بينهما من الدعوة
كما سبق فلما وصلوا ودخلوا وسلموا عليه وقالوا له ذلك فعند ذلك طاب قلبه على أخيه و زال
ما عنده و رحب بهم وأحبهم حبا شديدا ولما قدم يعقوب بعد ذلك تلطف بأخيه العيص وأقام
عنده مدة ثم ان العيص ترك أرض كنعان لأخيه يعقوب وأولاده و رحل الى بعض بلاد
الشام فتزوج بابنة عمه اسمعيل وكان اسمها نسمة فجاء منها عدة أولاد ذكور واناث فجاء
من نسله الروم ولم يجيء من نسله نبي سوى أيوب عليه السلام وقيل ان القياصرة ملوك الروم
من أولاد العيص وكذلك ملوك بني الأصفر * قال السدي ان اسحاق عاش من العمر مائة
وستين سنة ولما مات دفن بأرض فلسطين ثم نقل بعد ذلك الى أبيه ابراهيم ولما مات العيص
كان عمره مائتي سنة وعشرين سنة والله أعلم انتهى ما أوردناه على سبيل الاختصار

﴿ ذكر قصة لوط عليه السلام ﴾

قال وهب بن منبه هو لوط بن هاران بن تارخ بن أخي ابراهيم * قال السدي ان لوطا بعث
في زمن ابراهيم الى قوم سدوم بأرض غرورة زغر وكانوا أهل كفر يرتكبون
الفاحشة فوقع بأرضهم الغلاء فكانوا يدخرون الغلال و يطلبون بذلك الغلاء وكان الناس
يقصدونهم من سائر الأقطار فجاء اليهم ابليس اللعين في صفة شيخ كبير فقال لهم اني رجل خبير
بأحوال الزمان فان كان عندكم شيء من الغلال فأمسكوا أيديكم في بيعها فسوف يأتي على
الناس مدة لا تنبت فيها حبة ولا تمطر السماء قطرة واذا جاءكم الناس ليشتروا منكم فلا
تبيعوهم حتى تلوطوا بهم وان كانوا شيوخا أو صبيانا فكانوا يجلسون على الطريق ينتظرون
من يمر بهم من المسافرين فيصيدونهم و يلوطون بهم (قال) الثعلبي ان أهل تلك القرية
كان يسكن بعضهم بالجبال و بعضهم بالسهل وكانت الفرقة التي تسكن بالجبال وحشيين
لم يجتمعوا بالفرقة التي تسكن السهل فاحتال عليهم ابليس اللعين ليجمع بينهما فاتخذ
المزمار وزمر فلما سمع الجبليون صوت المزمار نزلوا من الجبل النساء والرجال فلما

اجتمعوا بالسهل ورأى بعضهم بعضا افتتن الرجال بالرجال والنساء بالنساء فظهر من يومئذ اللواط والسحاق فكان كما يقال فى المعنى

شغل المرد بالبدال وأضحى * نسوة الناس شغلهم بالسحاق

كل جنس بجنسه قد تكفى * قم فرارا من معشر الفساق

فلما تزايد بهم هذا الأمر بعث الله لهم لوطا عليه السلام فنهاهم عن ذلك ودعاهم الى عبادة الله تعالى فلم يزدادوا الا عتوا وقالوا له «ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين» فعند ذلك قال «رب انصرنى على القوم المفسدين» فاستجاب الله دعاءه وبعث الله اليهم أربعة من الملائكة على صور مردحسان قال قتادة ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوا قوم لوط حتى تشهدوا عليهم أربع شهادات فلما دخلوا على لوط قالوا نحن ضيوفك فى هذه الليلة فانطلق بهم الى منزله وقال لهم أما علمتم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال انها شر قرية على وجه الأرض وأخبرهم بأمر قومه وما هم عليه من الفاحشة (قال) وكانت امرأة لوط اذا دخل الى منزلها ضيوف ترسل تعلم القوم بهم ولها أمارة وهى أن ترسل رسولها لتطلب من جيرانها ملحا فيعلمون أن فى منزل لوط أضيافا فيأتون اليهم فلما أخبرت امرأة لوط بالاضياف جاءوا اليهم فغلق لوط الباب فى وجوههم وقال لهم اتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى وخذوا واحدة من بناتى عوضا عن الاضياف فقالوا له «لقد علمت مالنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد» فلم يزل لوط يناجيهم من خلف الباب حتى تسوروا عليه من الحائط وهجموا عليه وخاف على أضيافه فقالت له الملائكة «انا رسل ربك لن يصلوا اليك» الآية ثم ان الله تعالى أذن لجبرائيل عليه السلام فضرب بجناحه وجوه القوم فطمس الله أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم قائلين ان لوطا أسحر من على وجه الارض فلما علم لوط أن الاضياف رسل ربه قال لهم أريد أن تهلكوهم فى هذه الساعة فقالوا ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب (قال) ابن عباس رضى الله عنهما ان الله مسخ امرأة لوط فصارت ملحا كما كانت تدل على الاضياف بطلب الملح ثم أمر الله تعالى لوطا أن يسرى بعياله تحت الليل فلما خرج لوط من القوم أدخل جبرائيل جناحه تحت القرى واقتلعها من أصولها وكانت سبع قرى فى كل قرية مائة ألف انسان ما بين رجال ونساء وصبيان فرفعها بين السماء والأرض حتى سمع أهل السماء صياح ديوكهم ونباح كلابهم ثم قلبها وجعل أعلاها أسفلها ثم أتبعهم بحجارة من سجيل فهلكوا أجمعين ﴿ وسئل ﴾ مجاهد هل بقى من قوم لوط أحد فقال نعم خرج منهم واحد الى مكة فبقى حجره معلقا بين السماء والأرض أربعين يوما حتى خرج من مكة وسار فى أثناء الطريق فسقط

عليه حجره فهلك فى الحال وقد عذب الله قوم لوط بعذاب لم يعذب به أحدا من الامم لاجل ارتكابهم الفاحشة العظيمة (قال) السدى توفى لوط فى زمن ابراهيم عليه السلام انتهى على سبيل الاختصار

﴿ ذكر قصة يعقوب وما وقع له من بنيه من جهة يوسف ﴾

قال الله تعالى «نحن نقص عليك أحسن القصص» الآية قال وهب بن منبه لما خرج يعقوب من أرض كنعان هاربا من أخيه العيص أتى عند خالته وتزوج بابنتها فجاء من راحيل وهى الصغيرة ولدان يوسف وبنيامين ولما وضعت راحيل يوسف كان يعقوب غائبا نحو الشام فنزل عليه جبريل وقال يا يعقوب إن الله تعالى وهبك ولدا لم يرزق مثله لأحد من الناس وقد أعطاه الله شطر الحسن ففرح بذلك ولما وصل من السفر ونظر الى يوسف فكان لا يمل من النظر اليه فذبح ألف رأس من الغنم قربانا لأجل يوسف شكر الله تعالى وفرقها على الفقراء والمساكين فلما كبر يوسف وصار له من العمر ست سنين ماتت أمه راحيل قال السدى ان الله تعالى قسم الحسن عشرة أجزاء فأعطى الناس جزأ واحدا وخص يوسف بالتسعة الاجزاء الباقية وقيل ان يوسف نظر الى وجهه يوما فى المرآة فأعجبه حسنه فقال فى سره لو كنت مملوكا ماقدر أحد على ثمنى فسلط الله عليه اخوته فباعوه بابخس ثمن قيل البخس الذى كان فى حق يوسف كان سبعة عشر درهما معدودة وهذا من آفة العجب (قال) السدى لما كبر يوسف وصار له من العمر اثنتا عشرة سنة رأى فى منامه أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين فقص رؤياه على أبيه وقال كما قال الله اخبارا عنه «يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا» الآية قال فلما بلغ اخوة يوسف ذلك حسدوه على هذه الرؤيا وقالوا لاشك أن يوسف يصير مولانا فان الشمس أبونا والقمر أمنا والكواكب نحن قال السدى لما سمع اخوة يوسف هذه الرؤيا شابت لها رؤسهم مما حصل عندهم وكان يعقوب يميل الى يوسف من دون إخوته قال فأخذوا فى تدبير الحيلة فى هلاك يوسف فاجتمع رأيهم أن يدخلوا على أبيهم ويستأذنوه فى أخذ يوسف معهم الى الصيد وقالوا ان هو أبى عن ارساله معنا نقتله بين يديه ولا نوقره قال فدخلوا على أبيهم فى غير الوقت المعهود لزيارته وجلسوا بجانبه من غير اكرام له فقال لهم مالى أراكم مذعورين فقالوا له إن قلوبنا مشغولة لأن أسدا عظيما هجم البارحة على أغنامنا وقتل منها ونحن الآن نريد أن نخرج اليه عصبة فأرسل أخانا يوسف معنا نرتع ونلعب وانا له لحافظون فقال لهم أبوهم يعقوب «انى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن

أ كله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون » وقالوا كيف يأ كله الذئب وفينا أخوه شمعون الذى اذا صاح صيحة تضع لها الحوامل وفينا أخوه يهوذا الذى اذا غضب فغضبه يشق الاسد نصفين فلما سمع يعقوب كلامهم قال لابنه يوسف اذا كان غد امض مع اخوتك الى الصيد فقد أذنت لك بذلك . قال ابن عباس رضى الله عنهما انما قال يعقوب لأولاده وأخاف أن يأ كله الذئب لانه رأى فى منامه كأن يوسف على رأس جبل وحوله ذئاب قد أحدقوا به ليقتلوه واذا بذئب منهم قد جاء وخلصه منهم وكأن الارض قد انشقت ودخل فيها يوسف ولم يخرج منها الا بعد ثلاثة أيام انتهى ما رآه يعقوب فى المنام قال فلما دخل ميعاد يوسف الى الخروج للصيد لبس يوسف ثياب السفر وشد فى وسطه منطقة من الذهب وخرج مع اخوته وأخذوا معهم كثيرا من الماء والزاد وركبوا اخيولهم ويوسف صحبتهم ثم ان يعقوب خرج معهم الى الصحراء ومشى معهم أربعين خطوة وودعهم وقبل يوسف بين عينيه وضمه الى صدره ثم رجع يعقوب الى منزله وندم على ارسال يوسف مع اخوته فلما بعدوا عن أرض كنعان وثب اخوة يوسف فمسكوه من أطواقه ولطموه على وجهه وعروه من ثيابه فصار عريانا فقال دعوا القميص على ليكون لى كفنا وهموا بقتله فترامى يوسف على أخيه يهوذا وكان أكبر اخوته فقال لهم يهوذا لاتقتلوا يوسف وارعوا حق أبيكم فلم يلتفتوا الى كلامه وقالوا لابد من قتله فقال يوسف اسقونى شربة من الماء قبل أن تقتلونى فامتنعوا من سقايته فتلطف يهوذا بهم وأشار اليهم بان يرموه فى الجب فأجمعوا على أن يجعلوه فى الجب فكتفوا يديه ورجليه وأدلوه فى الجب فلما أنزلوه الى الجب بكت ملائكة السماء رحمة ليوسف ثم عمد أحد اخوته الى الحبل فقطعه بسكين قبل أن يصل يوسف الى قعر الجب فأدركه جبريل فتلقاه ووضعه على صخرة قد رفعها الله من الجب . قال وهب بن منبه ان هذا الجب كان بأرض الاردن وقيل كان بين مدائن مصر ومدائن أرض كنعان وهو على قارعة الطريق . قال السدى ان الذى حفر هذا الجب هو سام بن نوح وسماه بيت الأحزان وكان من أسفله واسعا ومن أعلاه ضيقا وكان مظلما كثير الهوام وكان ماؤه مالحا وطوله نحو أربعمائة ذراع وكان فيه الماء على قدر قامة فلما نزله يوسف عذب ماؤه وقصدته بعض الافاعى فصاح بها جبريل فرجعت وطرشت وكل حية طرشى فهى من نسل تلك الحية . قال قتادة وجاءه جبريل بقميص من الجنة فألبسه وبطعام وشراب فأطعمه وصار الجب روضة مورقة واتسع حتى صار مد البصر . وقال جبريل لاتخف قد أتاك الفرج ثم بعد ليلة جاء اليه أخوه يهوذا ونادى يا يوسف هل أنت من جملة الأحياء أم من

جملة الاموات فأجابه يوسف أنا من جملة الأحياء من فضل ربي فلما علم اخوته أنه حي عمدوا الى صخرة عظيمة وأرادوا أن يلقوها عليه فقال لهم يهوذا ان أتتم فعلتم ذلك أخبرت أباكم بفعلكم فتركوه وانصرفوا . قال السدى كان عمر يوسف لما ألقى فى الجب أربع عشرة سنة ولما رجعوا الى أبيهم عمدوا الى شاة وذبحوها ولطخوا قميص يوسف بدمها وذلك قوله عز وجل «وجاءوا على قميصه بدم كذب» ثم انهم اصطادوا ذئبا ولطخوا فمه بالدم وأوثقوه بحبل وأتوا به الى أبيهم فوجدوه جالسا على قارعة الطريق فى انتظارهم لأجل يوسف فلما وصلوا اليه صرخوا وبكوا و«قالوا ياأبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين» فلما سمع يعوب ذلك غشى عليه فلما أفاق قال «بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون» ثم أحضروا بين يديه الذئب الموثوق والقميص فقال تالله ما أشفق هذا الذئب الذى أكل ولدى ولم يمزق قميصه فأمر باطلاق الذئب فاطلقوه فقال له ادن منى أيها الذئب فدنا منه فقال له أيها الذئب لم فجعتنى بابنى وأورثتنى حزنا طويلا قال يعقوب إلهى انطقى لى هذا الذئب فأنطقه الله فقال يانبى الله والذى اصطفاك نبيا ما أكلت له لحما ولا مزقت له جلدا ومالى به علم وانما أنا ذئب غريب أتيت من أرض مصر فى طلب أخ لى فقدته منذ أيام فلما رآنى أولادك اصطادونى ولطخوا فمى بالدم وأوثقونى وجاءوا بى اليك وقد حرم الله علينا لحوم الأنبياء فقال له يعقوب وهل يوسف فى قيد الحياة فقال له ما أنا بنبى ولا على الغيب بمطلع فعند ذلك أطلقه ودخل يعقوب خلوته وجعل يبكى وينتحب حتى ابيضت عيناه من كثرة البكاء فصار مثلا كما قيل

آحزان قلبى و بكائى حكت ❀ أحزان يعقوب على يوسف

قال وكان يعقوب يجلس على قارعة الطريق ويبكى ويشتكى الى من يمر به من المسافرين فأوحى الله اليه لئن عدت تشكو الى أحد من المخلوقين لامحونك من ديوان الأنبياء فعند ذلك قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله ودخل بيت الاحزان ولزم الصبر . قال ابن عباس رضى الله عنهما كان سبب بلاء يعقوب بهذه الفرقة من ولده أنه ذبح يوما شاة وشوى لحمها ففاحت منه رائحته فاجتاز بهم سائل وكان جائعا فطلب منهم شيئا من ذلك اللحم الذى شووه فلم يطعموه منه شيئا وتغافلوا عنه فرجع من عندهم وهو مكسور الخاطر فلم يمض على يعقوب الاسبعة أيام حتى ابتلاه الله بفرقة ولده يوسف الذى كان أعز أولاده كما يقال فى المعنى

احرص على كسر القلوب فانها ❀ مثل الزجاجة كسرها لايجبر

قال السدى لما أقام يوسف فى الجب ثلاثة أيام ففى اليوم الرابع جاءت من أرض مدين سيارة

يريدون مصر لحادوا عن الطريق ونزلوا بالقرب من الجب الذى فيه يوسف فذهب بعض السيارة ليملأ من ذلك الجب فلما أدلى دلوه تعلق يوسف بالحبل فنظر صاحب الحبل فرأى يوسف «فقال يا بشرى هذا غلام» وفرح به وأسره ليبيعه فذلك قوله تعالى «وأسروه بضاعة» ثم ان يهوذا أخا يوسف جاء الى الجب ومعه طعام الى يوسف فنادى من أعلى الجب يا يوسف فلم يجده فعلم أن السيارة أخذته فتبعهم فوجدهم فى أثناء الطريق ومعهم يوسف قال وكان مالك بن دعر قد أرسل جماعة ليأتوه بالماء فالتقطوه من الجب فوصل معهم يهوذا واخوته الى مالك وقالوا له هذا عبد لنا أبق منا فلما سمع ذلك يوسف سكت خوفا فقال مالك أنا أشتريه منكم فاشتراه منهم «بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين» . قيل ان الدراهم كانت سبعة عشر درهما وقيل كانت اثنين وعشرين درهما ثم ان يهوذا شرط على الذى اشتراه أنه لا يبيت به فى تلك الأرض وقال له استوثق منه فانه هارب سارق ثم سارت القافلة نحو مصر وأركبوا يوسف على ناقة فلما مر يوسف بقبر أمه راحيل نزل من أعلى الناقة ومضى ليزور قبر أمه فزاره . قال فاستفقدوا يوسف فلم يجدوه على ظهر الناقة فصاحوا فى القافلة يا يوسف فلم يجدوه فذهبوا فى طلبه فوجدوه عند قبر أمه فلطمه مالك لطمة أشد لطمة . وقال لقد حذرنا منك مولاك الذى باعك فلم نصدق ولكن ان فعلت مثل ذلك تكن هالكا قال فلما دخل مالك بن دعر الى مصر ألبس يوسف أثوابا فاخرة فاجتمع الناس وازدحموا عليه لما رأوا من حسنه وجماله فعرضه للبيع فاشتراه قطفير عزيز مصر يعنى مدبر ملك مصر وكان الملك يومئذ بمصر الريان بن الوليد . قيل لما اشتهر يوسف للبيع تزايد الناس فى ثمنه فدفعوا له أولا زنته فضة وزنته مسكا وزنته حريرا .قال قتادة وكان وزن يوسف ذاك الوقت أربعمائة رطل فلما اشتراه قطفير أخذه ومضى به الى منزله فقال كما أخبر الله عزوجل «لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا» وكساه سبعين حلة من الملون وألبسه تاجا من الذهب مرصعا بأنواع الجواهر . وكان قطفير لا يصبر عن رؤيته ساعة واحدة . قال وهب بن منبه أقام يوسف فى دار قطفير عزيز مصر سبع سنين حتى بلغ مبلغ الرجال فشغفت به زليخا امرأة العزيز قطفير وراودته عن نفسه . قال السدى ان قطفير كان عنينا لا يأتى النساء وكانت زليخا ذات حسن وجمال فلما تزايد بها الشغف بيوسف صبرت حتى ان يوسف دخل عليها وهى فى قصرها فقامت وأغلقت سبعة أبواب القصر «وقالت هيت لك» أى هلم لما أدعوك اليه فقال يوسف «معاذ الله» أى أعوذ به مما تدعيننى اليه ان زوجك سيدى وقد أحسن مثواى فلا أخونه فى أهله فلا زالت به حتى هم بها وهمت به قال الله عزوجل «ولقد همت به» أى هم فعل

وهم بها أى هم ترك «لولا أن رأى برهان ربه» قال بعض المفسرين ان يوسف لما هم بزليخا تمثل له أبوه يعقوب وهو عاض على أصبعه وفى رواية انه رأى جبريل فنهاه عن ذلك وقال له ان فعلت ذلك محيت من ديوان الأنبياء فعند ذلك خرج هاربا فوجد الأبواب مغلقة فلما رجع همت به زليخا ثانيا وهم بها فأوحى الله الى جبريل ان أدرك عبدى يوسف قبل أن يقع فى المعصية فهبط اليه جبريل وقال يا يوسف تعمل بعمل الخاطئين وأنت مكتوب فى ديوان المتقين فقام وبادر الى الباب هاربا ووقع له مثل ذلك ثالثا فولى هاربا وأنجاه الله كما قال تعالى «كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين» فلما ولى هاربا فى ثالث مرة أدركته زليخا عند الباب وتعلقت بقميصه فقدته من دبر ومنعته من الخروج فبينما هما كذلك واذا بقطفير قد دخل عليهما فرآهما واقفتو يوسف بجانبها فبادرت هى بالكلام «قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا» يعنى زنا ثم انها خافت على يوسف من قطفير أن يقتله فقالت «الا أن يسجن أو عذاب أليم» أى يضرب بالسياط فلما سمع يوسف كلامها «قال هى راودتنى عن نفسى» ففررت منها فأدركتنى فقدت قميصى فلما رأى قطفير هذه الواقعة تفكر فيماذا يصنع وصار ينظر الى زليخا مرة والى يوسف مرة وكان فى القصر طفل صغير فى المهد عمره سبعة أيام وهو ابن داية زليخا فنادى بأعلى صوته أيها العزيز ان لك عندى فرجا فانظر «ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين» فلما رأى قميصه قد من دبر» عرف أن هذا من خيانة زوجته «قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم» ثم التفت الى يوسف وقال له «يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين» . قال الزمخشرى كان قطفير رجلا حليما وكان قليل الغيرة على عياله وكان عنينا لا يقرب النساء فلأجل ذلك لم يشدد عليها فى هذه الواقعة وأيضا كان شيخا شنيع المنظر عمره نحو مائة سنة فرأى زليخا معذورة لجمال يوسف وحسنه فكان لها عذر عنده وقد قيل فى المعنى

تقول لى وهى غضبى من تدللها ٭ وقد دعتنى الى شىء فما كانا
كأن ايرك شمع فى رخاوته ٭ فكلما حركته نحوها لانا

قال بعض الحكماء من أقام بأرض بغداد سنة كاملة وجد زيادة فى علمه ومن أقام بأرض الموصل سنة كاملة وجد زيادة فى عقله ومن أقام بارض حلب سنة كاملة وجد شحا فى نفسه ومن أقام بارض دمشق سنة كاملة وجد فى نفسه فظاظة وغلظة ومن أقام بمصر سنة كاملة وجد فى طبعه قلة الغيرة وقيل فى المعنى

ما مصر الا منزل مستحسن * فاستوطنوه مشرقا ومغربا
هذا وان كنتم على سفر به * فتيمموا منه صعيدا طيبا

قال السدى لما اشتهرت زليخا امرأة العزيز بحب يوسف وشاع أمرها قال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها فى ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن فحضر منهن جماعة كثيرة من نساء الوزراء والحجاب فأقعدتهن على المراتب الحسان وأعطت كل واحدة منهن سكينا وأترجة وصحفة فيها عسل وقالت لهن بحقى عليكن اذا امر عليكن الفتى العبرانى يعنى يوسف فلتطعمه كل واحدة منكن لقمة من الأترج والعسل فقلن لها سمعا وطاعة ثم ان زليخا قالت ليوسف اعلم أنك ان خالفتنى فى جميع ماقلته لك فاهذا شأن العبودية والآن أريد أن أزينك بأحسن الزينة وأخرجك على هذه النسوة اللاتى عندى ولا تخالفنى فقال افعلى مابدا لك فألبسته الحرير واللؤلؤ وتوجته بتاج من الذهب مرصعا بالجواهر وقالت له اخرج عليهن فخرج وهو مشرق بالنور أحسن من الولدان والحور فلما رأته النساء أكبرنه وقطعن أيديهن من الدهشة والنظر وقلن حاش لله ماهذا بشرا ان هذا إلا ملك كريم فقالت لهن زليخا فذلكن الذى لمتننى فيه وقد قيل فى المعنى

لما تبدى على العشاق مبتسما * وحارت الناس جمعا فى معانيه
فقلت قول زليخا فى عواذلها * فذلكن الذى لمتننى فيه

فلما اندهشت النسوة قطعن أيديهن بالسكاكين وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج وهن لايشعرن بألمهن فلما رجعت النسوة الى بيوتهن صرن لايصبرن عن رؤية يوسف ساعة واحدة وهن متفكرات بيوسف وهن يقلن يوسف يوسف وأزواجهن يضربونهن بالسياط فلا يبالين به * قال وهب بن منبه كان عدة النسوة اللاتى افتتن بيوسف أربعين امرأة فمات منهن تسع نسوة وجدا بيوسف قال لما خرج يوسف على النسوة قلن له أطع مولاتك فيما تقول لك فقالت زليخا ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فلما رأى يوسف أن زليخا لاترجع عنه قال رب السجن أحب الىّ مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب لهربه فصرف عنه كيدهن الآية فلما شاع أمر زليخا فى المدينة خشى العزيز على نفسه من كلام الناس فأمر بسجن يوسف فسجن * قال السدى لما توجهوا بيوسف الى السجن قيدوه وأركبوه حمارا ونودى عليه فى الأسواق هذا جزاء من يخون سيده ويوسف يقول السجن أحب الى مما يدعوننى اليه فلما حبس يوسف كانت زليخا لاتهجع ولا تصبر ولا تنام ليلا ولا نهارا ولا تأكل ولا تشرب حتى

نحل جسمها وصارت مثل العود البالي فلما طال الأمر على زليخا أخذت في أسباب التسلي فكانت تقول لنفسها اذا كان هذا شابا صغيرا فزع من المعصية وخاف من ربه أن يعصيه واختار السجن فكيف وأنا امرأة كبيرة لا أخشى من المعصية فكانت تتسلى بعض التسلي بمثل ذلك * وأما يوسف لما سجن صار يتأنس بالمسجونين و يتحدث معهم وكان جبريل يأتيه في كل شهر يزوره و يبشره بأنه سيصير ملكا ثم جاء مرة ومعه ياقوتة من يواقيت الجنة وقال له يا يوسف ابتلع هذه الياقوتة فابتلعها فكانت علامة لتعبير الرؤيا * قال السدي لما كان يوسف في الجب كان جبريل يأتي اليه في كل يوم مرة و يؤنسه بالكلام ولما كان في السجن كان جبريل يأتي اليه في كل شهر مرة فقال يوسف الهي لقد كنت في الجب في راحة وأنا في السجن في تعب و بكاء فأوحى الله اليه يا يوسف الجب كان باختياري والسجن باختيارك حيث تقول رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه * قال السدي ان الملك الريان كان من العمالقة وقد انفرد بملك مصر دون غيره وكان له عدو بأرض اليمن فبعث ذلك العدو الى ساقي الملك الريان والى طباخه سما قاتلا و بعث صحبة السم مالا جزيلا وقال لهما ان أنتما دسيتما السم على الملك الريان ومات فلكما عندي مال كثير أضعاف ما أرسلت اليكما فأخذ الساقي والطباخ في أن يسما الملك رغبة فيما وعدهما به عدو الملك وأراد كل منهما أن يتلف صاحبه ليفوز بقتل الملك لأجل المال فجاء الساقي الى الملك الريان وقال له اياك من الطباخ فانه وضع لك السم في طعامك ثم انه جاء الطباخ بعده وقال له اياك من الساقي فانه وضع لك السم في الماء فعلم الملك أنهما خائنان فقبض عليهما وعاقبهما فأقرا له بصدق الحال وما صار فأمر بسجنهما فلما دخلا السجن كانا يجلسان بجانب يوسف و يتحدثان معه فقال الساقي اني رأيت في المنام في هذه الليلة ثلاث طاسات من الذهب وفي كل طاسة عنقود من العنب وكأني أعصر من العنب خمرا وأسقيه الملك مرة بعد مرة ثم قال له الطباخ بعد ذلك وأنا رأيت في منامي الليلة كأني لي ثلاث تنانير مملوءة بالنار وكأني خبزت خبزا و وضعته في طبق وحملته على رأسي والطير تأكل منه فكان الساقي صادقا في منامه وكان مؤمنا وكان الطباخ كاذبا في منامه وكان كافرا مستهزئا بيوسف فقال لهما يوسف ياصاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا ومعنى ربه سيده وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه فلما سمع الطباخ ذلك قال اني لم أر شيئا فقال يوسف قضي الأمر الذي فيه تستفتيان ثم بعد ثلاثة أيام أمر الملك باخراج الطباخ فلما أخرج صلب فتناهشت الطيور من رأسه كما أخبر يوسف ثم بعد ذلك أمر باخراج الساقي فلما أخرج خلع عليه وأعاده لما كان عليه قال لما خرج الساقي قال له يوسف اذكرني عند ربك

وقل له ان فى السجن غلاما محبوسا ظلما من غير ذنب فلما خرج الساقى نسى قول يوسف *
قال وهب بن منبه ان يوسف لبث فى السجن ست سنين بعد حروف اذكرنى قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى يوسف لولا الكلمة التى قالها مالبث فى السجن بضع سنين
قال لما لبث بضع سنين جاء اليه جبريل وقال له يا يوسف قد قرب الفرج من الله تعالى
وذلك أن الملك الريان يرى مناما ولم يقدر أحد من الناس على تفسيره ويكون ذلك سببا
لخروجك من السجن ثم بعد أيام رأى الملك الريان فى منامه كأن بحر النيل قد غار فى الأرض
وطلع منه سبع بقرات سمان ثم طلع بعد ذلك سبع بقرات عجاف أى ناحلات ضعيفات أكلن
تلك البقرات السمان ثم طلع من بعد ذلك سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات صفر ثم ان
السنبلات الصفر التفت بالسنبلات الخضر فأيبستها فى الحال فانتبه من منامه مرعوبا
وأمر باحضار المفسرين وقص عليهم رؤياه فلما سمعوا ذلك قالوا أضغاث أحلام وما نحن
بتأويل الأحلام بعالمين فلما نام ثانى ليلة وأصبح نسى ما كان قد رآه فضاق صدره وأحضر
المعبرين وقال لهم هل تذكرتم شيئا مما كنت قد قصصته عليكم بالأمس من تلك الرؤيا فقالوا
كلهم قد نسيناها وهذه الرؤيا أضغاث أحلام فغضب الملك على المعبرين وأمر باسقاط ما كان
لهم من الرواتب فى ديوانه ثم ان الساقى تذكر ما قال له يوسف فجاء الى الملك وسجد بين يديه
وقال هل يأذن لى الملك فى تعبير هذه الرؤيا فقال الملك يا هذا قد عجز عن تعبير الرؤيا المعبرون
فكيف تقدر أنت على تعبيرها فقال الساقى ان فى السجن غلاما من أولاد يعقوب هو أعلم
بتعبير هذه الرؤيا فأمره الملك بالتوجه الى يوسف فمضى الساقى الى السجن ودخل على يوسف
وقبل رأسه واعتذر اليه وقال له والله ياسيدى قد نسيتك هذه المدة ولم أذكرك الا فى هذا
اليوم وهو أن الملك رأى فى منامه رؤيا قد عجز عن تفسيرها المعبرون ثم ان الملك نسى ما قد
رآه من تلك الرؤيا فقال يوسف ان الملك رأى ما هو كذا وكذا فذهب الساقى وأخبر الملك بما
قاله فتعجب الملك من ذلك وأمر باحضاره وهو قوله تعالى وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى
الآية ثم ان الملك أرسل فرسا وخلعة وتاجا وأمر الوزراء والحجاب بأن يمضوا الى السجن
ويمشوا بين يدى يوسف فلما أتوا الى يوسف وأرادوا أن يخرجوه فأبى يوسف أن يخرج
وقال لا أخرج حتى تظهر براءتى بين الناس ثم قال للوزراء والأمراء ارجعوا الى الملك فاسألوه
مابال النسوة اللاتى قطعن أيديهن بالسكاكين فلما رجع الرسول وأخبر الملك بما قاله يوسف
فعند ذلك أحضر الملك امرأة العزيز قطفير والنسوة اللاتى قطعن أيديهن وسألهن فقلن
حاش لله ماعلمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن

نفسه وانه لمن الصادقين » فلما عرف الملك براءة يوسف زاد فى تعظيمه ثم ان يوسف لما أراد
أن يخرج من السجن بكى أهل السجن قاطبة لفراقه فدعالهم عندما خرج ثلاث دعوات
مستجابات فقال اللهم عطف على المسجونين قلوب العباد اللهم ادفع عنهم شدة الحر والبرد
اللهم آتهم بالأخبار فى كل يوم من سائر البلاد ثم كتب على باب السجن هذا قبر الأحياء
ثم ان يوسف اغتسل ولبس الثياب التى أهديت له من الملك الريان وركب ومشت بين
يديه الوزراء والأمراء والحجاب وسار فى موكب عظيم حتى وصل الى قصر الملك فدخل عليه
وسلم بالعربية عليه فقال الملك ماهذا اللسان فقال هذا لسان عمنا اسمعيل بن ابراهيم
خليل الله * قال وهب بن منبه كان الملك الريان يتكلم بسبعة ألسن فكان كلما تكلم
بلسان أجابه يوسف به ثم ان الملك أجلس يوسف بجانبه وقال له من أنت قال أنا يوسف
ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الله ونحن من أرض كنعان فقال من أدخلك السجن
قال زليخا امرأة العزيز لأجل انى لم أطاوعها على الزنا فأعجب الملك كلامه وحسن وجهه
وكان ليوسف لما خرج من السجن نحو ثلاثين سنة ثم ان الملك قال ليوسف قد رأيت فى المنام
رؤيا ونسيتها فقال له يوسف أيها الملك لقد رأيت سبع بقرات سمان طلعت من البحر ثم طلع
بعدها سبع بقرات عجاف فافترسن تلك البقرات السمان ومزقن جلودهن ورأيت سبع
سنبلات خضر مثمرات وسبع سنبلات صفر يابسات غير مثمرات التفت على السنبلات
الخضر وصارت أصولها فى الماء فهذا مارأيته ثم انتبهت من منامك فقال الملك انها لهى الرؤيا
التى رأيتها بعينها فمن أخبرك بذلك فقال أخبرنى بها جبرائيل رسول رب العالمين فقال له
الملك وما ترى فى هذه الرؤيا أيها الصديق فقال له يوسف ستأتيكم سبع سنين مخصبة ثم يأتيكم
من بعدها سبع سنين مجدبة فقال له الملك وما التدبير فى ذلك فقال يوسف ازرعوا زرعا كثيرا
فى السنين المخصبة ثم احصدوه وذروه فى سنبله وقصبه وكذلك جميع الحبوب وابنوا له مخازن
كبارا فيكون القصب علفا للدواب والحب قوتا للناس قال الملك ومن يتولى هذا التدبير كله
قال يوسف للملك اجعلنى على خزائن الأرض أى مصر انى حفيظ عليم ثم ان الملك عزل
قطفير وكان شيخا كبيرا وولى يوسف عوضا عنه وعاش قطفير بعد عزله شهرا ومات فلما
تولى يوسف على مصر عدل فى الأحكام وخضع له الجميع من الخاص والعام فكان يركب فى كل
سبعة أيام مرة وفى خدمته الأمراء والوزراء والحجاب وكان يركب معه من العسكر نحو الألف
غير المشاة وقد قال تعالى « وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض » أى فى أرض مصر وقد قيل فى المعنى

وراء مضيق الخوف متسع الأمن * وأول مفروح به آخر الحزن

قلانيا سن فالله ملك يوسفا ✽ خزائنه بعد الخروج من السجن

قال السدى لما جلس يوسف على سرير الملك فوض اليه الملك الريان أمر الديار المصرية شرقا وغربا فلما تم أمر يوسف فى الحكم أوحى الله اليه بأن يجعل ذلك الطفل الذى شهد له وهو فى المهد بالبراءة وزيرا ولا يضيع شهادته له فاتخذه وزيرا وألبسه خلعة وأركبه فرسا ونودى عليه فى الاسواق هذا جزاء من شهد بالحق ثم ان يوسف الصديق جد واجتهد فى أمر الزرع زيادة عن العادة و بنى يوسف المخازن وسماها الاهرام وخزن بها الغلال وآثار تلك المخازن باقية الى الآن فى جهات الفيوم وغيرها من البلاد واستمر على خزن الغلال فى قصبها وسبلها سبع سنين وهى السنين المخصبة فلما مضت ودخلت السنين المجدبة والعياذ بالله وقع الغلاء والقحط واشتد البلاء بالناس قال فلما دخلت السنين المجدبة أول من جاع الملك الريان فانتبه من منامه نصف الليل وهو يصيح الجوع الجوع فأتاه الطباخ بالمائدة فقال له الملك الريان من أعلمك بأنى جائع حتى جئتنى بطعام من غير أن يعلمك احد فقال أعلمنى بذلك يوسف فلما أكل وفرغ جاع فى الحال وذلك حكمة من الله تعالى اذ وقع القحط والغلاء فالنفس دائما تأكل ولا تشبع قال فمس يوسف الصديق بيده بطن الملك الريان فأذهب الله تعالى عنه الجوع ✽ قال وأما أهل مصر فكانوا يأكلون ولا يشبعون فباعهم يوسف الصديق القمح فى أول سنة بالذهب والفضة والنحاس حتى لم يبق شئ من ذلك ثم انه فى السنة الثانية باعهم القمح بالجواهر والحلى ثم باعهم فى السنة الثالثة بالمواشى والدواب حتى لم يبق لأحد شئ ثم باعهم فى السنة الرابعة بالعبيد والجوارى حتى لم يبق شئ وفى السنة الخامسة بالضياع والاملاك حتى لم يبق لاحد شئ ثم باعهم فى السنة السادسة بالأولاد والنساء حتى لم يبق شئ ثم باعهم فى السنة السابعة بالنفوس جميعا حتى لم يبق فى مصر كبير ولا صغير من رجل أو امرأة الا وصاروا فى رق يوسف فعند ذلك اجتمع يوسف بالملك الريان وقال له انى أشهدك أنى أعتقت جميع ما صار الى بالرق من أهل مصر ورددت عليهم أموالهم وضياعهم وأملاكهم جميعا قال السدى ان يوسف الصديق كان لا يشبع بطنه فى تلك الايام وكان يقول أخاف ان شبعت أنسى الجائع وكان يأمر طباخه أن يؤخر غداءه الى نصف النهار ✽ قال الكسائى لما كان أواخر السنة السابعة من سنى القحط فرغ القمح من عند يوسف الصديق والغلال فكان الناس اذا نظروا الى وجهه يشبعون برؤية وجهه فكانوا يقصدونه بكرة وعشيا لرؤيته فتغنيهم عن الزاد بقية العام السابع حتى أدرك الزرع فاكتفوا عنه قال السدى لما وقع القحط بمصر جاءت زليخا الى يوسف ومعها خادم يقودها

فانها عميت وطرشت وافتقرت وذهب جمالها فلما أقبلت على يوسف عرفها فقال لها أنت زليخا قالت نعم قال لها أين حسنك وجمالك قالت ذهب ذلك كله ولم يبق منه شيء فقال لها يوسف كيف حال محبتك فقالت باقية لم تتغير ولم أجد لطم العمى والفقر ألما من كثرة الشغف بك وقيل ان زليخا وقفت ليوسف وهو سائر فى موكبه فنادته سبحان من جعل العبيد ملوكا بطاعتهم وجعل الملوك عبيدا بمعصيتهم فقال يوسف لغلمانه انطلقوا بهذه العجوز الى الدار فانطلقوا بها فقال لها ماتريدين منى واذا بجبريل عليه السلام يقول يا يوسف ان الله تعالى يأمرك أن تتزوج بزليخا فقال له يوسف كيف أتزوج بها وهى عجوز عمياء فقال له جبريل ان الله تعالى يرد عليها بصرها وجمالها فعند ذلك تزوج بها يوسف وأسلمت على يده ورد الله لها حسنها وجمالها وبصرها فعادت أحسن ما كانت عليه فوجدها بكرا ثم ان زليخا قعدت مع يوسف الصديق أربعين سنة ورزق منها بولدين وهما افرائيم وميشا * قال ولما وصل الغلاء والقحط الى أرض كنعان قال يعقوب لاولاده اذهبوا الى مصر واشتروا لنا غلالا من صاحب مصر فتجهزوا للسير وأخذوا معهم بضائع يتجرون بها مثل عسل وزبد وصابون وغير ذلك فلما دخلوا مصر ودخلوا الى دار العزيز طلعوا الى القصر الذى فيه يوسف فرأوه وعلى رأسه ألف غلام وبأيديهم أعمدة الذهب وكان يوسف اذا جلس فى موكبه يضع على وجهه برقعا مكللا بأنواع الجواهر فلما وقفوا بين يديه عرفهم وهم له منكرون قال يوسف للترجمان سلهم من أين هؤلاء فقالوا من أرض كنعان أولاد يعقوب فقال يوسف قل لهم كم أنتم فقالوا اثنا عشر وقد ذهب واحد منا ولم نعلم له أثرا فقال يوسف لحاجبه ارفعهم الى دار الضيافة فأقاموا بها ثلاثة أيام لم يأذن لهم بالانصراف ولم يبعهم شيئا فقال لهم يهوذا قد عاقنا الملك ومن خلفنا أكباد جائعة وعيال ضائعة فدخل الحاجب على يوسف وأخبره بما قال يهوذا فقال يوسف قل لهم يأتونى بأخيهم من أبيهم وكتاب من أبيهم يشهد لهم بأنهم أولاده والا فلا كيل لهم عندى ولا تقربون * قال السدى ان يوسف أوفى لهم الكيل وأعطاهم الثمن الذى أخذه من ثمن الغلال ووضعه فى رحالهم ثم قال لهم دعوا بعضكم يكون عندى رهينة حتى تأتونى بأخ لكم من أبيكم فلما سمعوا ذلك قالوا من يقعد منا رهينة فأقرعوا بينهم فأصابت القرعة أخاهم شمعون فتركوه عند العزيز ورجعوا الى بلادهم فلما وصلوا الى أبيهم قالوا يا أبانا انا قدمنا على ملك مصر فأكرمنا وأوفى لنا الكيل وأخبروه برهن أخيهم شمعون عند الملك حتى نأتيه بأخ لنا من أبينا فأرسله معنا فقال لهم يعقوب «هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل» قال ولما فتحوا متاعهم وجدوا ثمن الغلال الذى أعطوه ليوسف رجع اليهم فقالوا

يا أبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت الينا فأرسل معنا أخانا بنيامين فقال لهم أبوهم لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتننى به فلما آتوه موثقهم فعند ذلك قال يعقوب الله على ما نقول وكيل والموثق اليمين . قال السدى لما أرادوا أن يتوجهوا الى مصر قال لهم يعقوب يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة . قال قتادة ان يعقوب خشى على أولاده من العين لانهم كانوا من ذوى الحسن والجمال ملاح الهيآت فأمرهم أن يدخلوا متفرقين قالوا فلما دخلوا مصر من حيث أمرهم أبوهم ثم اجتمعوا فدخلوا على يوسف وهو جالس على سريره فى قصره وقالوا يا أيها العزيز هاهو الطفل الذى أمرتنا أن نأتيك به فقال لقد أحسنتم وأصبتم ثم انه أمر بالموائد فحضرت فأجلس كل اثنين من أم على مائدة فتبقى بنيامين وحيدا فبكى فقال له الملك لاى شىء تبكى فقال لو كان أخى يوسف حيا لجلست معه فقال له الملك عند ذلك اذا كنت وحيدا فأنا أحق بك وأنزلك عندى فى هذا القصر وآكل معك فلما انصرفوا وبقى بنيامين عند الملك قال له لاتخف وكشف يوسف البرقع عن وجهه وقال له أنا أخوك فلا تبتئس أى لاتخف فعند ذلك تعانقا وتباكيا ثم قال له سأحتال على أخذك من اخوتك ثم ان يوسف وفى لاخوته الكيل وجعل سقايته فى رحل أخيه بنيامين كما أخبر الله تعالى فى القرآن العظيم . قال كعب الاحبار ان السقاية كانت مشربة من ذهب مرصعة بالجواهر واليواقت وقيل انها من الزمرذ الأخضر فلما قصدوا أن يرحلوا الى بلادهم أشاع الملك ذهاب السقاية واتهمهم بها فقال لهم الحاجب ألم يحسن الملك اليكم ألم يكرمكم قالوا بلى قال وكيف تأخذون سقايته وقد فقدت من حين دخلتم عليه ولم يمكن أن يسرقها أحد غيركم «قالوا تالله ماجئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين» فقال لهم الحاجب فما جزاء من أخذها منكم ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله أن يقيم عند المسروق منه سنة كاملة فى الأسر وكان ذلك جائزا فى شريعة يعقوب فقال الحاجب لابد أن تفتش الرحال فأتوا بها عند يوسف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ففتشها فلم يجد بها شيئا فلم يبق الا وعاء بنيامين الصغير فقال يوسف هذا غلام صغير وما أظنه يسرق ولا يأخذ شيئا قالت اخوته والله لايترك رحله بلا تفتيش حتى يطيب خاطرك علينا فلما فتشوه وجدوا فى رحله السقاية فنكس رأسه وأظهر الحياء فأقبل أولاد يعقوب على أخيهم بنيامين ووبخوه بالكلام وقالوا يا أولاد راحيل لايزال لنا منكم البلاء والعناء ثم قالوا ليوسف ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم . قال السدى اختلف جماعة من العلماء فى سرقة يوسف التى عيره بها اخوته فقالوا انه أخذ يوما بيضة من بيت عمته وأعطاها لسائل كان واقفا

على بابها . قال قتادة ان يوسف كان قد أخذ صنما من الذهب كان لجده أبى أمه وألقاه فى بئر انتهى . قال فلما ظهرت السقاية أحضرها يوسف بين يديه وضربها بقضيب كان معه ثم أدنى أذنيه منها فقال انها تخبرنى بخبر عجيب بأنكم كنتم اثنى عشر ولدا ليعقوب وانكم انطلقتم بأخيكم فبعتموه بثمن بخس فلما سمع بنيامين قام ودعا الملك وقال أيها الملك استخبر الصواع هل يوسف حى أم لا فضربه وأصغى باذنه وقال انه حى يرزق وسوف يظهر ثم قال الملك امضوا الى أبيكم واتركوا أخاكم عندى سنة كما هو شرعكم فقالوا أيها الملك « ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده » . قال كبيرهم يعنى شمعون « ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله » فكيف نلقى وجه أبينا بغير أخينا وقد اخترت أن أقيم بمصر « حتى يحكم الله » برد أخى « وهو خير الحاكمين ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين » فلما رجعوا الى أبيهم يعقوب وأخبروه بما جرى لابنه بنيامين بكى وقال « بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » ثم ان يعقوب دخل بيت الأحزان وجدد حزنه على يوسف وأخيه . قال السدى وانما ألهم الله يعقوب بتسمية ابنه يوسف واسم يوسف مشتق من الأسف لما سبق فى علمه من الأزل بما جرى ليعقوب فلم يزل يعقوب يبكى حتى نشفت دموعه وجرى الدم من عينيه وابيضت عيناه من كثرة البكاء وقيل فى المعنى

لابد للاحباب من فرقة ✻ وكل مصحوب وأصحابه

فمن يمت يفقد من نفسه ✻ ومن يعش يرزأ باحبابه

(قال) السدى كان زمن الفرقة بينه وبين ابنه يوسف سبعين سنة وفى هذه المدة لم ينسه ساعة فقال له أولاده « تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين » قال قتادة بينما يعقوب جالس بيت الأحزان اذ هبط عليه جبرائيل وقال له ان الله يقرئك السلام ويقول لك ان ابنك حى يرزق وقد صار عزيز مصر فان شئت ناده بصوتك من مكان محرابك فان الريح تحمل صوتك اليه . ويروى أن ملك الموت استأذن ربه فى زيارة يعقوب فأذن له فزاره فقال له يعقوب يا ملك الموت بالله عليك هل قبضت روح يوسف فقال لا والذى اصطفاك بالحق نبيا ما قبضت روحه وهو حى يرزق وقد قرب الفرج فعند ذلك طابت نفس يعقوب وسكن ما به قليلا . قال كان سبب بلاء يعقوب أنه ذبح بقرة ولها عجل مرضع بين يديها فلم يرحمها ولم يرحمه فجعل العجل يصيح كل يوم على أمه ثم ان يعقوب كتب كتابا مضمونه من

يعقوب نبي الله ابن اسحق الذبيح ابن ابراهيم خليل الله أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء أما أبي اسحق فوضعت السكين على حلقه وأما جدي ابراهيم فوضع في المنجنيق وألقي في النار وأما أنا فكان لي ولد يسمى يوسف وكان أحب أولادي الي فذهب مع اخوته فأتوا بقميصه ملطخا بالدم وقالوا ان الذئب أكله فبكيت عليه منذ ثلاث وخمسين سنة حتى ابيضت عيناي وأما ابني بنيامين فقلت انك وجدت سقايتك في رحله وحزته عندك فنحن من أهل بيت لا نسرق ولا نلوذ بمن يسرق فارحم ترحم واردده على ولدي فان فعلت ذلك فالله يجزيك خيرا وان لم تفعل ذلك دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك وقال يعقوب خذوا الكتاب واذهبوا به الى عزيز مصر عسى الله أن يأتيني بهم جميعا فلما ذهبوا بالكتاب وأتوا به الى يوسف أخذه يوسف ودخل بيته وقبله وقرأه وبكى وقال لأولاده هذا كتاب جدكم ثم ان يوسف خرج وجلس على سرير ملكه وأحضر أولاد يعقوب بين يديه وقال لهم قد عفوت عن أخيكم بنيامين فما قصدكم غير ذلك قالوا أوف لنا الكيل وتصدق علينا فقد مسنا وأهلنا الضر انا نراك من المحسنين فعند ذلك رفع البرقع عن وجهه وقال لهم «هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا» وجمع بيننا ثم قصد أن يؤكد المعرفة بذكر المنام السابق وما فعلوه فذكرها . قال السدي كان على خد يوسف خال أسود وفي وجهه شامة بيضاء تتلألأ بالنور فعند ذلك تحققوا أنه يوسف ثم انه سألهم عن أبيه فقالوا له قد ابيضت عيناه ونحل جسده ثم ان يوسف أعطاهم قميصه الذي كان أتاه به جبريل وهو في الجب وكان من الجنة فقال «اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وائتوني بأهلكم أجمعين» فقال يهوذا أنا أذهب بالقميص وأفرحه بيوسف كما أني أعطيته القميص الملطخ بالدم وقد أحزنته عليه ثم ان يهوذا توجه من أرض مصر الى كنعان في سبعة أيام وأرسل معه ما تحمل جمالة من الزاد والقماش وكان وصول يهوذا يوم الجمعة وكان يهوذا يحث السير . قال كعب الاحبار ان ريح الصبا استأذنت ربها بان تأتي الى يعقوب بريح يوسف قبل أن تأتيه البشرى بالقميص فقال يعقوب لمن حوله « اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون» أي تستهزئوا بي . قال مجاهد في تفسير هذه الآية فمن يومئذ ريح الصبا اذا هب على عليل بجدله بهار احتو اذا هبت على محزون تنفس عنه الكرب . قال السدي فلما جاء يهوذا بالقميص الى يعقوب «ألقاه على وجهه فارتد بصيرا» وعادت اليه الشبوبية وذهب عنه الحزن والبكاء وعادت اليه القوة والنشاط بعد ما قاسى الشدائد وأنشد في المعنى

جاء البشير مبشرا بقدومه ٭ فلئت من قول البشير سرورا

واللهِ لو قنع البشير بمهجتي * لوهبتها ورأيت ذاك يسيرا
فكأنني يعقوب من فرحي به * قد عاد من شم القميص بصيرا

فعند ذلك قال يعقوب ألم أقل لكم انى أعلم من الله مالا تعلمون فقال له أولاده «ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين» فقال لهم يعقوب «سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم». قال قتادة ان يعقوب أخر الدعاء لأولاده الى ليلة الجمعة وقت السحر لان الدعاء فيه لا يرد ثم ان يعقوب عليه السلام أخذ أولاده وعياله وتوجه الى مصر فلما وصل نزل بمدينة بلبيس وكانت مدينة كبيرة عامرة وقد ذكرها الله فى التوراة وسماها أرض حاشان فلما بلغ يوسف قدوم أبيه خرج اليه هو والملك الريان وخرجت أمامهما العساكر والوزراء والأمراء وكان عسكره نحو أربعمائة ألف انسان فلما بقى بين يوسف و يعقوب مقدار فرسخ كشف الله عن بصره فرأى يوسف فى وسط العسكر كالأسد الضارى ثم تلاقى يوسف مع أبيه على التل المعروف بالعكرشا بعد أن نزلا عن المطى وكذلك الملك الريان نزل عن فرسه فترجلت العسكر كلهم أجمعون فتعانق يوسف مع أبيه و بكيا حتى غشى عليهما فلما أفاقا قال له أنت ياأبت كيف بكيت على وأذهبت نفسك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا قال بلى ولكننى كنت أخشى أن تسلب من دينك مما قاسيت فيحال بينى و بينك . وقيل لما تلاقيا قال له يعقوب يايوسف على أى دين أنت قال ياأبت على دين ابراهيم عليه السلام ففرح يعقوب بذلك . قال وهب ابن منبه لما دخل يعقوب مصر كان معه من أولاده وأولاد أولاده اثنان وسبعون انسانا رجالا ونساء فما زالوا فى مصر ينمون و يتناسلون الى أيام موسى عليه السلام فلما خرج موسى من مصر فارا من فرعون كان معه من طائفة بنى اسرائيل ستمائة ألف وخمسمائة وسبعة وسبعون رجلا غير النساء والأطفال فكان جملتهم قاطبة ألف ألف ومائة ألف انسان . قال السدى لما دخل يعقوب الى مصر مشى العسكر بين يديه فرسخا حتى وصل الى داره فلما وصل الى القصر ودخل رفع يوسف أبويه أى أباه وخالته ولما كانت أخت أمه لها عليه تربية سميت أمه لأجل ذلك رفعهما على سريره وأمر العسكر أن يسجدوا لهما وكان ذلك عادة أهل مصر فى التحية . فقال يوسف لأبيه ياأبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا فأوحى الله الى يعقوب لما قلت أخاف أن يأكله الذئب ولم تفوض الأمر الى فرقت بينكما ولما اجتمع يوسف بأبيه أقاموا فى مصر فى أرغد عيش أربعا وعشرين سنة فبينما هم على ذلك اذ هبط جبرائيل على يعقوب وقال له يايعقوب قد اشتاقت اليك أرواح آبائك وقد قرب الوقت بانقضاء أجلك فكره يعقوب أن يخبر يوسف بذلك بل قال يابنى أريد أن أزور قبور

آبائى ببيت المقدس فأذن له فى ذلك فخرج من مصر وخرج معه ابنه يوسف لوداعه فى العسكر ورجع هو والعسكر وأرباب الدولة * قال السدى لما أراد يعقوب أن يخرج من مصر جمع أولاده بين يديه وقال لهم ما تعبدون قالوا لا نعبد الا الله * قال العزيزى أقام يوسف بمصر بعد موت أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما دنا أجله أتاه ملك الموت وهو يريد أن يركب على فرسه فلما وضع رجله فى الركاب قال له ملك الموت أخرج رجلك من الركاب فهذا وقت الانقلاب فلما أيقن يوسف بالموت قال لاخوته لا تقيموا من بعدى فى أرض مصر فانها دار الفراعنة ومسكن الجبابرة * قال السدى لما توفى يوسف جعلوه فى حوض من رخام أبيض ودفنوه فى أحد جانبى النيل فى الفيوم فأخصب ذلك الجانب دون الآخر فنقلوه الى الجانب الآخر فأخصب دون الآخر فلما رأوا ذلك جعلوا ذلك الحوض فى وسط النيل بين عمودين من الصوان وجعلوا الحوض فى سلسلة من حديد وسمروها بسلك من حديد فى تلك الأعمدة فلما صنعوا ذلك أخصب الجانبان من النيل جميعا قال العزيزى توفى يوسف وله من العمر مائة وعشرون سنة وقد مات قبل زليخا بمدة يسيرة ودفنت بمصر ولم يعلم مكان قبرها فكان كما يقال

محبتى لا تنقضى * بسلوة تبطلها كأنها دائرة * آخرها أولها

(قال) السدى اختلف جماعة من العلماء فى نبوة إخوة يوسف فنهم من قال ما كان فيهم نبى سوى يوسف عليه السلام ومنهم من قال كلهم أنبياء وهم الأسباط الذين ذكرهم الله فى القرآن العظيم قال السدى ان الملك الريان صاحب مصر توفى فى زمن يوسف ويقال انه أسلم على يد يعقوب وكان اسمه الريان بن الوليد بن أرسلادس وكان حسن السيرة عادلا فى الرعية وكان خراج مصر فى زمانه ألف ألف دينار ولما وقع الغلاء فى أيامه أسقط عن المزارعين بارض مصر خراج ثلاث سنين وكان من جملة فراعنة مصر انتهى قال الكسائى ان يوسف هو أول من أظهر علم الهندسة ولم يكن الناس يعرفون ذلك وهو أول من قاس النيل بمصر ووضع له مقياسا محكما وهو الذى حفر خليج المنتهى بالفيوم * ومن العجب ان الخليج لا ينقطع جريانه على الدوام ولو انقطع ماء النيل عنه وهو أول من خص بتعبير الرؤيا وأول من خزن القمح فى سنبله وأول من أظهر القراطيس أى الورق البلدى * قال ابن طيعة فى أخبار مصر ان يوسف عليه السلام هو الذى بنى مدينة الفيوم ودبرها بالوحى عن جبرائيل وكانت أرضها مغايض الماء فدبرها حتى أخرج منها الماء وجعل بها عشر قناطر وعمل عليها أبوابا من الحديد وبنى بها من جهة الشمال الى جهة الجنوب حائطا طوله مائتا ذراع بذراع العمل وأحكمه ليرد الماء اذا زاد النيل اثنى عشر ذراعا وكان على خليج المنتهى عدة طواحين تدور بالماء قال

العزيزى وكان انتهاء العمل منها فى سبعين يوما فتعجب الملك من ذلك وركب هو ووزراؤه ورأوا ما صنعه يوسف فتعجبوا من ذلك وقالوا هذه الطواحين كانت تعمل فى ألف يوم فسميت من ذلك اليوم الفيوم وكانت محكمة على ثلاثمائة وستين قرية وهى على مسيرة يوم من مصر وكان فى الفيوم ألف منبر من ذهب برسم الوزراء والحجاب يجلسون عليها فى المواكب وقد سماها الله فى القرآن بالمقام الكريم * قال أقام يوسف مدفونا ببحر النيل فى خليج المنتهى نحوا من ثلثمائة سنة حتى ظهر موسى عليه السلام * قال السدى لما خرج موسى من مصر ومعه بنواسرائيل أوحى الله اليه بان يحمل معه جثة يوسف قال موسى يارب ومن يدرى أين جثة يوسف فأوحى الله اليه ان عجوزا كبيرة قد ذهب بصرها تسمى سارح وهى بنت آشر بن يعقوب فهى تعرف مكان جثة يوسف فمضى لها موسى وسألها عن جثة يوسف قالت ما أدلك على مكان جثة يوسف حتى تحملنى معك الى بيت المقدس وتدعو لى بأن الله يرد علىّ سمعى و بصرى فقال لها موسى أفعل ذلك ان شاء الله تعالى فدعا لها فرد الله عليها ما سألت فدلته على المكان الذى فيه جثة يوسف فاخذها من خليج المنتهى وكانت فى وسط الماء فحملها معه فى تابوت من خشب وتوجه بها الى بيت المقدس ودفن يوسف عند ابراهيم الخليل عليه السلام ثم ان موسى حمل معه تلك العجوز وصارت كما شرطت * قال السدى فمن حين نقلت جثة يوسف من الفيوم تناقصت البركة منها فى زرعها وغلالها ومواشيها * قال الكسائى كان بين مولد موسى ووفاة يوسف زيادة عن خمسمائة سنة وكان مولد يوسف بأرض كنعان ومولد موسى بمصر تمت قصة يوسف عليه السلام

﴿ ذكر قصة أيوب الصابر عليه السلام ﴾

قال الله تعالى «واذكر عبدنا أيوب» الآية قال كعب الاحبار كان أيوب من الروم وهو من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام ولم يجئ من نسل العيص سوى أيوب وكانت زوجة أيوب تسمى رحمة وهى بنت افرائيم بن يوسف عليهم السلام قال العزيزى كان أيوب نبيا فى زمن يعقوب وقد بعث الى أهل حوران من نواحى دمشق * قال السدى كان أيوب فى سعة من المال وكان لا يفتر عن قرى الاضياف ويؤوى الغرباء وكان يتعاطى المتجر والزرع وله عدة أولاد وعيال كثيرة قال وهب بن منبه كان لأيوب عبادات يقصر عنها العابدون فحسده ابليس اللعين على تلك العبادات وكان ابليس فى تلك الايام لا يمتنع من الصعود الى السماء وكان يتحدث مع الملائكة وهم يثنون على أيوب خيرا لكثرة عبادته وجوده وقراه الاضياف قال ابليس اللعين لو كان أيوب فقيرا ما عبد الله فلو سلطنى الله على ماله لترك العبادة فأوحى الله الى ابليس انى قد سلطتك على ماله فجمع ابليس جنده ومضى

الى زرعه ومواشيه فلم يشعر أيوب الا وقد ثارت نار عظيمة من تحت الأرض فأحرقت جميع زرعه وهبت على مواشيه فأحرقتها عن آخرها ثم ان ابليس أتى الى أيوب وهو قائم يصلى فى محرابه فقال له ان الذى تصلى له قد أحرق جميع زرعك وأهلك جميع مواشيك فقال أيوب الحمد لله الذى أعطانى وأخذ منى ما كان وهبنى فرجع ابليس خائبا ثم صعد الى السماء فقالت له الملائكة كيف رأيت صبر أيوب قال هو على ثقة من ربه فلو سلطنى الله على أولاده لما كان يصبر فأوحى الله اليه قد سلطتك على أولاده فمضى ابليس وحرك الدار على أولاده وعياله فسقطت الدار عليهم فهلكوا جميعا فأتى ابليس الى أيوب وهو قائم يصلى فى المحراب على صورة داية تهم فناحت بين يديه وبكت وضجت فقال أيوب ما الخبر فقالت قد سقطت الدار على أولادك فهلكوا جميعا فقال أيوب الحمد لله الذى أعطى وأخذ ثم جاء ابليس فى صورة خادمهم فقال لو رأيت أولادك وقد سالت دماؤهم وتشققت بطونهم وأمعاؤهم فما زال يقول وينوح حتى رق قلب أيوب وبكى وقال ياليتنى لم أخلق فابتهج ابليس بهذه الكلمة ثم ان أيوب استغفر الله من ذلك وصبر واحتسب ثم ان ابليس صعد الى السماء فقالت له الملائكة كيف رأيت أيوب قال هو على ثقة من ربه ثم قال ابليس فلو سلطنى الله على جسده لما صبر على ذلك فأوحى الله اليه انى قد سلطتك على جسده فرجع ابليس وأتى الى أيوب فوجده قائما يصلى فدنا منه ونفخ فى أنفه نفخة فاشتعل منها دماغه وقدمه وما بينهما فحك جسده بالحجارة حتى تقطع لحمه وسقطت أظفاره وذاب لحمه وظهرت عظامه وأنتن لحمه ودود جسده وحصل له ألم شديد بين اللحم والجلد وكان أيوب متزوجا بثلاث نسوة فلما رأينه على تلك الحالة ذهبت اثنتان وبقيت رحمة عنده فأتى ابليس الى أهل تلك القرية التى فيها أيوب فقال لهم أخرجوا أيوب عنكم والا يعدكم فى أجسامكم من دائه فقال أهل القرية لرحمة أخرجى أيوب عنا والا قتلناه فحملته رحمة على أكتافها وأتت به الى خربة هناك ففرشت تحته التراب فنام عليه (قال وهب ابن منبه) نام أيوب على التراب مطروحا والدود يرعى فى لحمه سبع سنين ولم يقرب اليه أحد سوى زوجته رحمة فكانت تذهب الى أهل القرية وتعمل لهم أشغالهم وتأتى الى أيوب بما يحصل لها من نوالهم من الخبز والطعام فجاء ابليس الى أهل تلك القرية وقال لهم لا تدعوا رحمة تدخل عليكم فتعديكم من حال زوجها فقال أهل القرية يارحمة ابعدى بزوجك عنا والا قتلناك بالحجارة فحملته على كتفها وذهبت به الى مكان بعيد عن القرية وفرشت تحته الرماد ووضعته عليه وجعلت تحت رأسه حجرا وقالت له يا أيوب اطلب لك العافية من الله فقال يارحمة خولنا الله فى نعمائه أفلا نصبر على بلائه فكانت رحمة

تذهب وتقف على الابواب فيطردونها ويقولون لها اذهبي عنا لاتعدينا من داء زوجك فلما بلغ بها الجهد وأضر بأيوب الجوع عمدت الى ضفيرة من شعرها فقطعتها وباعتها برغيف وأتت به الى أيوب فقال لها أيوب من أين لك هذا الرغيف فأخبرته بما كان من شعرها فلما سمع أيوب ذلك بكى بكاء شديدا وصبر (ومما يحكى من موافاة النساء) قال أبو الفرج الاصفهانى إن رجلا من العرب يقال له هندية بن حشرم أمر بقتله معاوية بن أبى سفيان فلما تحقق الاعرابى ذلك أرسل خلف زوجته تحت الليل فأتت اليه وهى تختال فى ثوب خز والمسك يفوح منها وقد رنت خلاخيلها وكانت ذات حسن وجمال فلما اجتمعا جلسا يتحدثان ثم انهما تباكيا ثم نام معها وكان بينهما ما كان فلما أصبح الصباح أخرجوه من السجن ومضوا به الى القتل فالتفت الى زوجته وكانت ابنة عمه فتأمل اليها وأنشد يقول

أقلى من التعنيف وارعى لمن رعى * ولا تجزعى مما أصاب فاوجعا
ولا تنكحى ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

قال فلما سمعت زوجته ذلك مالت الى جدار الحائط وأخذت سكينا وقطعت بها أنفها ثم التفتت اليه وقالت له هل بقى بعد ذلك من الحسن شئ يوجب النكاح فمشى فى قيوده وقال الآن طاب الموت فقتل * قال الثعلبى بينما أنا أمشى فى شوارع البصرة واذا أنا بامرأة من أجل النساء وجها وأظرفهن شكلا وهى تقبل شيخا هرما سمج الوجه والخلقة وهى تحادثه وتلاعبه وتضحك فى وجهه وتفلى قميصه من القمل فلما رأيت ذلك دنوت منها وقلت لها ياهذه من يكون هذا الشيخ السمج منك قالت زوجى فقلت لها وكيف تصبرين على سماجته وقبح وجهه مع وجود حسنك وجمالك ان هذا لعجب فقالت ياهذا أتعجب من صنع الله تعالى فلعل هذا الشيخ رزق مثلى فشكر ورزقت مثله فصبرت والصبور والشكور فى الجنة أفلا أرضى بما رضى الله تعالى لى من هذا الأمر فتركتها وانصرفت عنها وقد أعجزنى جوابها (ومما رواه معاذ ابن جبل) رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لو خرج من أحدكم قيح أو دم فمسحته امرأته بلسانها ولم يرض عنها جاءت يوم القيامة فى تابوت من نار يهوى بها الى قعر جهنم * قال وهب بن منبه ثم ان ابليس اللعين تصور لرحمة زوجة أيوب فى صورة طبيب فقال لها أنت زوجة أيوب المبتلى قالت نعم قال أنا أداويه من هذه العلة بشرط أنه اذا ذبح لايسمى وأن يشرب الخمر فيشفى فلما رجعت الى أيوب أخبرته بذلك فقال لها ويلك هذا ابليس اللعين فغضب أيوب على رحمة وحلف يمينا عظيما أنه اذا شفى من هذه العلة ليجلدنها مائة جلدة حيث انها لم تقل لابليس

ان الله يشفيه * ثم ان ايوب بكى وقال إلهى أ نالم أكن قط بين أمرين الا وقد طلبت رضاك فيهما دون رضاى وماشبعت من الطعام قط خوفا أن أنسى الجائع فبأى ذنب آخذتنى به فأوحى الله تعالى اليه ياأيوب هل كان صبرك على البلاء بتوفيقى أم بتوفيقك وأوحى اليه ثانيا ياأيوب لولا أنى جعلت تحت كل شعرة فى جسدك صبرا لما كنت تطيق بعض مافى جسدك من الألم * قال الكسائى ان الدود لم يزل يرعى فى جسد أيوب حتى وصل الى لسانه فخشى أن يشغله عن ذكر الله فعند ذلك قال رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين قال الله تعالى « فاستجبنا له وكشفنا مابه من ضر » * قال السدى لما قال أيوب رب انى مسنى الضر علم الله تعالى أنه قد جزع لأجل الله تعالى فجاء اليه جبرائيل عليه السلام برمانة من الجنة وقيل بسفرجلة وقابل أيوب فقال له أيوب من أنت أيها العبد الصالح الذى أنست بك من بعدما نفرت عنى الأصحاب والأحباب فدنا منه جبرائيل وناوله تلك الرمانة فلما أكلها ونزلت فى جوفه ذهب عنه الألم الذى فى جسده جميعه فقال له جبرائيل ياأيوب قم فقال وكيف أقوم ولم يبق لى حول ولاقوة فأخذ جبرائيل بيده ومشى به نحو اثنتى عشرة خطوة وقال له اركض برجلك اليسرى فركض بها فظهرت له عين ماء حار ثم قال له اركض برجلك اليمنى فظهرت له هناك عين ماء بارد فقال له جبرائيل اغتسل من الحارة واشرب من الباردة فلما شرب واغتسل عاد اليه حسنه وجماله وصار جسده كالفضة النقية ثم أتاه جبرائيل بحلة من الجنة وألبسه اياها وتوجه بتاج من الجنة فصار أيوب يزهو كالشمس المضيئة فعند ذلك صلى أيوب ركعتين شكرا لله تعالى على نعمته ورضاه . وقد قيل فى المعنى

ماضاق بالمرء أمر فاستعد له * عبادة الله الا جاءه الفرج
وما ألم بباب الله ذو تعب * إلا تزحزح عنه الهم والحرج

قال وهب بن منبه لما اغتسل أيوب من تلك العين تناثر الدود وصار فراشا من ذهب وطار فى الآفاق فصار نعمة بعد أن كان بلاء * قال السدى ان اليوم الذى اغتسل فيه أيوب وشفى كان يوم النيروز فلذلك تجد الاقباط تتراشش بالماء يوم النيروز * قال وكانت رحمة غائبة فى طلب القوت لأيوب فتعرض لها ابليس فى الطريق وقال لها يارحمة الى متى هذا التعب والجهد العظيم فى حق من لم يخلص من البلاء والمرض وقد وعدك اذا عوفى ليجلدنك مائة جلدة فلم تلتفت رحمة الى كلامه وأقبلت نحو أيوب فجعلت تطوف عليه فى الفضاء فلم تجده فأخذت تنادى وتقول أيوب هل أكلتك السباع أم بلعتك الأرض ثم ان أيوب نادى رحمة فقال لها ياجارية ماتطلبين قالت أريد الصابر قال وكان أيوب لابس الحلل وعلى رأسه

التاج وعنده عين ماء وهو عند روضة فى خير وعافية فاشتبه على رحمة حاله لأنه كان فى بلاء وعناء فلم تعرفه فقال لها أيوب هل لك فى أيوب علامة تعرفينها فتأملته فقالت انك تشبه أيوب فضحك فى وجهها وقال أنا أيوب وقد دعا فانى ربى فنزل جبرائيل وأشار الى داره فعمرت وأحيا الله تعالى له أولاده ورد عليه مواشيه وزرعه ونسى أيوب ما قاساه من البلاء والمحنة فى سبع السنين وهو صابر وقد قيل فى المعنى

كن راضيا حكم الاله * عز وجل بلا وجل

وارض القضاء فانه * حتم أجل وله أجل

(قال) السدى لما عوفى أيوب من بلائه بقى متحيرا فى يمينه التى حلفها وتوعد بها رحمة بالمائة جلدة فضاق صدره لذلك فأتاه جبرائيل وقال له يا أيوب خذ مائة عود من أصول السنبل واجمعها حزمة واضرب بها رحمة ضربة واحدة فتخلص من اليمين ففعل ذلك أيوب وخلص من يمينه * قال السدى واستمر أيوب فى نعمة حتى مات وله من العمر ثلاث وسبعون سنة وقيل مائة سنة والله أعلم * ولما مات دفن بحوران وكانت أم أيوب بنت لوط عليه السلام ولما مات أيوب سارت أولاده على سيره من العبادة والطاعة وكان أكبرهم حواميل وبعده مقبل ورشد ورشيد وبشير وكان فى زمانهم ملك يقال له لام بن دعام وهو من ملوك الشام

﴿ ذكر قصة ذى الكفل ﴾

قال كعب الأحبار لما قبض الله تعالى أيوب عليه السلام تغلب على أولاده الملك لام بن دعام فأرسل هذا الملك الى أولاد أيوب ليزوجوه بأختهم بنت أيوب فأرسلوا اليه وقالوا ليس فى ديننا أن نزوجك وأنت على الكفر فان أحببت فادخل فى ديننا فنزوجك اياها فلما سمع ذلك الملك هددهم وعزم على قتالهم فبلغ ذلك أولاد أيوب فمنهم من أشار بقتاله ومنهم من أشار بمداراته بالمواعيد فعند ذلك قال حواميل بن أيوب لابد من قتاله وحربه فلما جمع الملك جنوده وبرز للقتال برز أولاد أيوب بمن معهم من المؤمنين والتقى الجيشان واقتتلا قتالا شديدا فوقعت الهزيمة فى جيش حواميل بن أيوب واحتوى لام على جميع أموالهم وأملاكهم وأسر من قومهم أناسا كثيرة وفيهم بشير بن أيوب فهم الملك بصلبه ثم أمهله وأمر بحبسه يريد الفدية فأراد أخوه حواميل أن يرسل له الفدية فرأى فى منامه قائلا يقول يا حواميل لا ترسل الفدية ولا تخف على أخيك وان هذا الملك سيؤمن وتكون عاقبته الى خير فقص الرؤيا على من كان عنده ورجع عن اعطائه الفدية فبلغ الملك لام هذا الكلام فغضب غضبا شديدا فأمر أن يتخذ خندقا ويجعل فيه النار ليحرق بشير بن أيوب فعند ذلك أحضر الجنود النار وأوقدوها واحتملوا بشيرا وألقوه فيها فلم تحرقه فتعجب

الملك لام من ذلك وقال ان هذا لسحر عظيم فقال له بشير أيها الملك لسنا بساحرين وقد كان لنا جد يقال له ابراهيم الخليل فعل به النمروذ ذلك فلم تحرقه النار وجعلها الله عليه بردا وسلاما وكذلك يفعل الله بأولاده فعند ذلك رق قلب الملك وعلم الحق فأسلم وآمن واجتمعوا على الاسلام فرزوجوه بأختهم وسمى الملك بشيرا ذا الكفل لأنه لما أراد الملك الفدية تكفل بشير بايصال الفدية اليه من اخوته ثم ان حواميل أرسل أخاه ذا الكفل رسولا الى جميع أهل الشام باذن الله تعالى وكان الملك لام بين يديه يقاتل الكفار فلم يزالوا على ذلك حتى مات حواميل ثم مات بشير ذو الكفل ثم مات بعدهم الملك لام بن دعام فتغلب على أهل الشام العمالقة الى أن بعث الله شعيبا انتهى على سبيل الاختصار

﴿ ذكر قصة نبي الله شعيب عليه السلام ﴾

قال كعب الأحبار ان أسماء ملوك مدين منهم أبوجاد وهوّز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت وهم قوم من العمالقة وقال ابن عباس رضى الله عنهما معنى أبي جاد أبي آدم أى خالف الطاعة ظاهرا وجد فى أكل الشجرة ومعنى هوز أول من نزل الى الأرض ومعنى حطى حطت عنه ذنوبه بالتوبة ومعنى كلمن أكل من الشجرة ومن عليه ربه بالمغفرة ومعنى سعفص عصى آدم ربه فأخرجه من النعمة الى النكد ومعنى قرشت أقر بالذنب وسلم من العقوبة وقال قتادة هى أسماء ملوك أصحاب الأيكة * قال كعب الأحبار ان مدين ابن ابراهيم عاش عمرا طويلا وكان له امرأة من العمالقة فولدت له أربعة بنين فتزوجوا وتوالدوا فصار منهم خلق كثير فدعا مدين بكبراء نسله وجمعهم عنده وقال لهم انكم كثرتم والرأى عندى أن تبنوا لكم مدينة كبيرة حصينة حتى لا تخافوا على أنفسكم من العمالقة قال فبنوا مدينة وحصنوها وسموها باسم جدهم مدين ونزلوا بالأيكة وهى قرية قريبة من مدين فكان أهل مدين يعبدون الله وأهل الأيكة يعبدون الأصنام ولا يغير بعضهم على بعض وكان فى المدينة رجل من عبادهم يقال له صنعون وهو والد شعيب وكان تحت صنعون امرأة من العمالقة فولدت له ولدا وهو شعيب واسمه يبرون حين كان غلاما وكان سبب تسميته شعيبا أن والده لما كبر سنه وضعف خاف على نفسه من كثرة القوم فرجا أن يسعفه ولده فكان صنعون يقول اللهم بارك لى فى شعيبى أى ولدى فغلب عليه اسم شعيب فقيل له شعيب وسقط عنه الاسم الأول ثم توفى أبوه صنعون فقام شعيب مقام أبيه وفاق بالزهد والعبادة أهل زمانه من أهل مدين واشتهر بذلك قال وكان أهل مدين أصحاب تجارات يشترون الحنطة والشعير وغير ذلك من الحبوب ويخزنونها عندهم ويتربصون

بها الغلاء فهم أول المحتكرين وكان له مكيالان مكيال واف لأجل الشراء ومكيال ناقص لأجل البيع وميزانان كذلك فكانوا على ذلك مدة وشعيب لا يعاشرهم ولا يداخلهم وكان له غنم ورثها عن أبيه يأكل من لبنها حلالا طيبا فبينما هو جالس على باب داره يذكر الله اذ أقبل عليه غريب فسلم عليه وقال ياشعيب أنت رجل صالح وانى اشتريت من رجل مائة كيل من الطعام بمائة دينار فأخذتها واكتلتها فنقصت عشرين كيلا والتمس من شعيب أن يساعده عليهم فعند ذلك توجه شعيب معه الى القوم فسألهم عن قضية المشترى فقالوا ألم تعلم ياشعيب أن ذلك سنتنا نأخذ بالوافر ونعطى بالناقص فقال شعيب ليس هذا من سنة الله فاتقوا الله وأعطوا الرجل حقه فلما رأوه على غير سنتهم سبوه وكذبوه وجفوه ﴿ مبعث شعيب عليه السلام ﴾ فنزل جبريل عليه فى الحال فقال له السلام عليك فقال له وعليك السلام من أنت فأخبره جبرائيل ان الله اطلع على سريرته ويأمره أن يكون رسولا الى أهل مدين وأصحاب الأيكة وغيرهم ممن يعبد الأصنام يأمرهم بطاعة الله ويحذرهم بأسه ونقمه وينهاهم عن عبادة الأصنام وبخس المكيال والميزان فتوجه شعيب الى ما أمره الله به حتى أتى الى القوم فقال ياقوم اعبدوا الله وحده واتركوا عبادة الأصنام فان الله أرسلنى اليكم لأنهاكم عن معصيته وأحذركم نقمته وأنهاكم عن بخس المكيال والميزان وذلك قوله تعالى « ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان » فقالوا ياشعيب لم نكن نترك مايعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا مانشاء وليس معك حجة وقد عرفناك وعرفنا أباك ولو شئنا لأخرجناك ولكنا لا نفعل ذلك حتى نجتمع نحن وبنو اسرائيل ونشكو لهم سوء فعلك قال فانصرف عنهم بعد كلام كثير ثم عاد اليهم فى اليوم الثانى وقد اجتمعوا ومعهم ملكهم أبوجاد فوقف عليهم وخطب ونهاهم عن عبادة الأصنام وبخس المكيال والميزان فقال له قومه مانفقه كثيرا مما تقول ثم عاد اليهم من غد فقالوا انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز قال فأخذ القوم فى الاستهزاء فقال اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب * قال وأقبل عليه سادات قومه من أهل مدين والأيكة وقالوا ياشعيب انك رجل ترجع الى حسب ونسب والى عفاف عرفناك به فان كنت تريد الرياسة والأموال شاركناك بها واترك ذكر آلهتنا الا بخير فقال لا أريد شيئا من ذلك وانما أريد أن أنصحكم وأن لا تعبدوا مالا ينفعكم ولا يضركم وأن تعطوا كل ذى حق حقه فعند ذلك احتمله القوم جميعا وجاؤا به الى أبى جاد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت واجتمع الناس ليسمعوا مايجرى بينهم فأمرهم شعيب

ونهاهم وحذرهم فذكرلهم مانزل بقوم نوح من الغرق وبقوم هود من الريح وبقوم صالح من الدمدمة وبقوم ابراهيم من الزلازل والبعوض وبقوم لوط من الانقلاب وارسال الحجارة عليهم فقال كلهم ياشعيب ان كان الأمر كما تقول «فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين» قال الكسائى لما انصرف شعيب أتاموز ير من وزراء الملوك وآمن به سرا وكتب عنده شعرا قاله حين أسلم

شعيب بن صنعون أتى برسالة * وخص بها من دون رهط أبى عمرو
بحق أتاهم صادقا فغدوا به * وجاءوا عليه بالعظيم من الكفر
فلما رأيت القوم صدوا وأعرضوا * عن الحق والانذار ضاق بهم صدرى
جئت شعيبا تابعا ومصدقا * لأرجو ثواب الله فى آخر العمر

ثم بعد ذلك قالوا كلهم ياشعيب ألك حجة فيما تقول قال نعم قالوا ان نطقت الاصنام بصدق ماتقول تكن قد جئت بالحق فرضى القوم بذلك لانهم ظنوا أن أصنامهم لاتنطق بمثل مايريد شعيب فتقدم شعيب الى الأصنام فقال من ربكم ومن أنا فتكلمت باذن الله تعالى وأنطقها الذى أنطق كل شىء فقالت الأصنام ربنا الله ورب كل شىء وخالق كل شىء وأنت ياشعيب رسول الله ونبيه ونكست عن أسرتها ولم يبق منها صنم جالس الا تنكس فلم يصدقوه وأرسل الله على قوم شعيب ريحا كادت تنسفهم نسفا فبادروا مسرعين الى منازلهم من شدة الريح وآمن بشعيب فى ذلك اليوم خلق كثير رجال ونساء فأرسل الملك يهدد من آمن فقال شعيب لاتخافوا فأمر الملك أبوجاد أعوانه أن يترصدوا لشعيب ومن آمن به ويقتلوهم فعند ذلك قال شعيب «ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين» واذا بريح قد هاجت عليهم فيها حر وكرب لاطاقة لهم بها فرمى القوم أنفسهم فى الآبار والسراديب ودام عليهم مدة وهم لايزدادون الا عتوا ونفورا وشعيب يحذرهم فيقولون هذا من فعل آلهتكم فاصبروا فأرسل الله عليهم الذباب الأزرق يلدغهم كلدغ العقارب وربما قتل أولادهم وشغلهم الله بأنفسهم عن أذى شعيب ومن آمن به وهم لايؤمنون فهبت عليهم ريح السموم فكانوا ينتقلون من مكان الى مكان ليجدوا لهم فرجا من الكرب وشعيب يناديهم الى أين تهربون فليس لكم الا التوبة فيقولون ياشعيب نحن نكفر بك وبربك فزدنا مما نحن فيه واذا بسحابة سوداء قد أظلتهم فنصبوا لهم ظلة واستظلوا جميعا فأظلت الأرض عليهم حتى لم يبصر بعضهم بعضا واشتد عليهم الحر فأوحى الله الى شعيب أن اخرج أنت وقومك واعتزلهم وانظر كيف يحل عذابى بهم ثم زمت السحابة بوهجها وحرها وضربت القوم بعضهم فى بعض وأضرمت فأحرقت جلودهم وأكبادهم وجميع

ما كان على وجه الارض والمؤمنون ينظرون اليهم ولم يصل شيء من العذاب الى المؤمنين فذلك قوله تعالى «ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة» يعني صيحة جبرائيل «فأصبحوا في ديارهم جاثمين» فأقبلت أخت الملك كلن وكانت قد آمنت بشعيب فأبصرت أهلها فوجدتهم قد نضجت جلودهم وجاء شعيب فقسم أموالهم على قومه المؤمنين وتزوج بامرأة من المؤمنين ورزقه الله رزقا حسنا ولم يزل مقيما بأرض مدين حتى كف بصره وجاء موسى عليه السلام فتزوج بابنته انتهى على سبيل الاختصار

﴿ ذكر قصة موسى بن عمران عليه السلام ﴾

قال وهب بن منبه لما أمات الله الريان بن الوليد ملك مصر وكان مكرما عند بني اسرائيل وكانوا يعبدون الله علانية فملك بعده ابنه سنجاب (قال) وكان بمصر رجل يقال له مصعب يرعى الغنم وكان له من العمر مائة وسبعون سنة ولم يرزق ولدا فرأى بقرة وضعت عجلا فحسدها فأنطق الله البقرة فقالت يا مصعب سيولد لك ولد ذكر ويكون من أركان جهنم فواقع زوجته فحملت بفرعون ومات مصعب قبل ولادة زوجته فلما ولدت من بعده أتت بالولد فسمته بالوليد بن مصعب فلما كبر وبلغ سلمته أمه الى النجارين فتعلم صنعة النجارة وأتقنها ثم ولع بالقمار ولم يكن له صبر عنه فعاتبته أمه بذلك فقال يا أمي كفي عني فاني عون نفسي فلزمه هذا اللقب فلم يكن يعرف الا بعون فما زال يقامر ويغلب حتى لم يبق عليه ثوب فتستر بخرقة لا تواريه فاستحى من الناس فهرب على وجهه فقيل فرعون وغاب مدة ورجع فرأى لزوم هذا الاسم له فقالت له أمه هل تريد أن تشتغل بالنجارة قال لها لا أرضى الا بما تربده نفسي فوجد معه درهما فاشترى به بطيخا وجلس على قارعة الطريق ليبيعه واذا بعريف الطريق طلب منه درهما فقال فرعون يا هذا ليس معي الا شيء قيمته درهم فقال أمر الملك أن يؤخذ من كل بائع درهم فغضب فرعون وخلى رحله ومضى وجعل يدور بأرض مصر ينقب ويسرق فيهرب مرة ويحبس مرة فاتفق أن رجلا من العمالقة ركض به فرسه فلم يقدر أن يضبطه فوثب فرعون الى الفرس وضبطه بلجامه وأوقفه فقال العمليقي يا فرعون أراك قويا فلو أقمت عندي لاتخذتك سايسا فرضي فرعون وأقام عند العمليقي مدة يخدمه حتى مات العمليقي ولم يخلف أحدا من الورثة فاحتوى فرعون على جميع ماله وحمله الى أمه ولم يزل فرعون ينفق ذلك المال حتى نفد منه فوقع في قلب فرعون أن يقعد على باب مقابر مصر ويطلب أرباب الجنائز بشيء ويظهر أنه بأمر الملك فلم يزل كذلك مدة حتى بسط له بساطا وجعل له خادما وكان الناس يعطونه فجمع من ذلك مالا عظيما حتى مات للملك بنت فتعلق بجنازتها فرعون فأخبروا الملك بذلك فاستدعاه فحضر ودعا

الملك وقص عليه قصته فهم الملك بقتله ففدى نفسه بمال جزيل فطابت نفس الملك بالمال وأراد أن يقره على عمله فنها ه أرباب دولته وقالوا هذا أمر قبيح فهو ذكره بين الملوك منمة فقال فرعون للملك انى قوى على أن يكون أمر الحرس فى يدى وكان الملك كثير الاعداء فخلع الملك عليه وجعله أمينا على الحرس فاتخذ فرعون قبة فى وسط البلد وجعل له أعوانا للحرس شداد البأس. قال فرأى الملك فى منامه أن عقربا أسود له شعاع قد ملأ المدينة فلدغ الملك فأفاق الملك من منامه مرعوبا فركب بالليل وقصد وزيرا من وزرائه ليخبره بما رأى فرآه فرعون فأخذه الى القبة فقص الملك لفرعون ما رأى فعند ذلك أخذ فرعون سيفا وقتل الملك سرا وركب فرعون وقصد قصر الملك فجلس على السرير ووضع التاج على رأسه وفتح الخزائن واستدعى الوزراء وأصلحهم بالمال ودانوا له فأول من دخل عليه وسجد بين يديه هامان وكان غلاما السنجاب . قال كعب الاحبار أول من سجد بين يديه ابليس اللعين وأول من سماه إلها وربا ثم سجد هامان والوزراء والاعوان والكهنة ثم بعث فرعون الى أسباط بنى اسرائيل فدعاهم الى الطاعة فأقبلوا وسجدوا بين يديه وقصدوا بالسجود سرا الله المعبود فجاء ابليس على الصورة التى سجدتها لفرعون فقال أيها الملك أنا أتخذ لك صنما تنفرد به ولقومك أصناما فقال افعل ما بدا لك وأمر فرعون باتخاذ الأصنام و بعبادتها وكان بنو اسرائيل يعبدون الله سرا

﴿ ذكر قصة آسية بنت مزاحم ﴾

قال كعب الاحبار ان آسية كان أبوها مزاحم قد تزوج بأمها فى الليلة التى اقترن سعد الكواكب بالزهرة فحملت امرأة مزاحم بآسية فرأى مزاحم فى منامه كأن شجرة خضراء خرجت من ظهره واذا بغراب قد انقض عليها وقال أنا صاحب هذه الشجرة فانتبه مزاحم وقص ذلك على بعض صلحاء المعبرين فقال ترزق جارية حسناء صديقة وتكون عند رجل كافر وترزق الشهادة فلما ولدت آسية وصار لها من العمر عشرون سنة واذا هى بطائر مثل الحمامة وفى فمه درة فرمى بها فى حجر آسية وقال يا آسية خذى هذه الخرزة فاذا اخضرت فهو أوان تزويجك واذا احمرت فهو وقت الشهادة ثم طار الطائر فأخذت الخرزة وربطتها على عضدها وأخذت فى العبادة واشتهر أمرها بالخيرات فوصفت لفرعون فأحب أن يتزوجها فخطبها من أبيها فاغتم أبوها لذلك وقال ان ابنتى صغيرة فكذبه فرعون فقال مزاحم اجعل لها مهرا فأبى فرعون فتلطفوا بفرعون الى أن أرسل اليها خلعة ومهرا فأبت فتلطفوا بها لأجل مداراة فرعون وقالوا لها أنت على دينك وهو على دينه وكان قد أمهرها عشرة آلاف أوقية من الذهب ومثلها من الفضة و بنى لها قبة عظيمة وجعل

لها جواري كثيرة وأمر بذبح البقر والغنم فلما صارت عند فرعون دخل عليها وهم بها فلم يقدر على ذلك وكان هذا حاله معها فرضي بالنظر منها فقط

﴿ ذكر الآيات التي رآها فرعون ﴾

قال فبينما هو نائم في قبة آسية اذ سمع هاتفا يقول ويلك يا فرعون قد قرب زوال ملكك ويكون على يد فتى من بني اسرائيل قال فرعون أما سمعت يا آسية قالت نعم ﴿ آية أخرى ﴾ فبينما هو ذات يوم نائم على سريره واذا بشاب قد دخل عليه من غير حجاب وتحت الشاب أسد عظيم وبيده عصا وهو يضرب بها رأس فرعون ويقول انظر الى نفسك وأين أنت وأخذه برجله ورماه في البحر فلما أفاق استدعى بالمعبرين وقص عليهم القصة فقالوا أجلنا فأجلهم فلما خرجوا قالوا لبعضهم هذه الرؤيا تدل على هلاكه فلما جاء الاجل خافوا منه فقالوا له أضغاث أحلام ﴿ آية أخرى ﴾ فلما كانت الليلة الثالثة رأى ذلك الشاب قد أتاه وتلك العصا بيده فضرب بها رأسه وقال له ويلك يا فرعون ما أقل حياءك من اله السموات والارض ثم رأى بعد ذلك أن آسية صار لها جناحان فطارت بهما بين السماء والارض وهو ينظر اليها ورأى الارض قد انفجرت فأخلته فيها فانتبه مرعوبا فجمع الكهنة وقص عليهم رؤياه فقالوا ان هذه الرؤيا تدل على مولود يولد ويسلب ملكك ويزعم أنه رسول إله السماء والارض ويكون هلاكك وهلاك قومك على يديه ﴿ حديث قتل الاطفال ﴾ فاستشار فرعون وزراءه وقومه فأشاروا أن يجعل على الحبالى حرسا فكل من حملت تحمل الى داره ويكون ولادتها هناك فان كان ذكرا قتله وان كان أنثى تركها ففعل ذلك حتى قتل اثني عشر ألف طفل فضجت الملائكة الى ربها وقالوا إلهنا وخالقنا أنت الفعال لما تريد فأوحى اليه أن لهذا الامر أجلا محدودا فبشرهم بموسى وحمل أمه به وكان فرعون أمر وزراءه وأرباب دولته أن لا يفارقوه لان الكهنة قالوا له ان هذا المولود يكون من أقرب الناس اليك وكان عمران من جملة أرباب دولته الممنوعين عن مفارقته أيضا فبينما عمران جالس على كرسيه اذ رأى زوجته وقد حملها ملك وجاء بها الى جانب عمران فواقعها وفرعون نائم لم يشعر فحملت تلك الليلة بموسى عليه السلام ثم اغتسلا من حوض في دار فرعون واحتملها الملك وذهب بها الى مكانها وكل ذلك تحت الليل ولم يعلم بذلك أحد من الناس وكان فرعون عين نساء يطفن في البلدة فكن يطفن على النساء جميعا الا امرأة عمران لم يدخلن عليها لعلمهن أن عمران لا يفارق فرعون فلما تم حملها تسعة أشهر أخذها الطلق في نصف الليل ولم يكن عندها أحد الا أخته فوضعته ووجهه بالنور يتلألأ ففرحت به وهي مكروبة خائفة عليه فتنكست الأصنام على رءوسها وأصبح فرعون

مغموما مهموما لجد فى طلب المولود واتفق أن الوزير هامان وقع فى قلبه أن الولادة فى بيت عمران فأخذ معه الأعوان ودخل الى دار عمران فجعل هامان يفتش الدار حتى لم يترك شيئا ونظر الى التنور فرآه يفور نارا ورأى العجين بجانبه فلم يشك فى ذلك وخرج وكانت أم موسى غائبة فى حاجة لها خارج الدار فلما رجعت رأت هامان وهو راجع فأخذها الرعب على موسى فدخلت الدار ونظرت الى التنور فوجدته يفور بالنار وكانت لما خرجت وضعت موسى فى التنور وجعلت عليه آلة الوقود حتى لا يراه أحد عند دخوله فجعل الله عليه النار بردا وسلاما فنظرت أم موسى فى التنور فوجدت ابنها سالما فأخرجته وأرضعته ولما بلغ عمره تسعين يوما أوحى الله الى أمه اذا خفت عليه فضعيه فى تابوت وألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فأقبلت أمه الى نجار بمصر يقال له سونام وقالت اصنع لى تابوتا طوله كذا وعرضه كذا وأحكمه لئلا يدخل فيه الماء ولا يخرج منه فصنعه وأتقنه وسلمه الى أم موسى فعند ذلك أرضعت موسى وكحلته ودهنته ووضعته فى التابوت وهى باكية حزينة وكان أبوه قد مات وعمره أربعون يوما وأخذت التابوت ورمته فى بحر النيل نصف الليل فأمر الله الملائكة بحفظه هذا وفرعون مشدد الطلب فى أمر النساء والأطفال ولم يكن له هجوع قيل انه بقى التابوت فى الماء أربعين يوما وقيل ثلاثة أيام وقيل يوما واحدا وهو الأصح

﴿ ذكر دخول التابوت لدار فرعون ﴾

قال وكان لفرعون بنت برصاء عجزت الأطباء عن مداواتها فقال الطبيب أيها الملك ليس لها دواء الا الاغتسال كل يوم بماء النيل فاتخذ خليجا من النيل الى داره واتفق أن ذلك التابوت قذفته الأمواج باذن الله حتى أدخلته الى دار فرعون فبادرت البنت وأخذت التابوت وفتحته فاذا فيه موسى فأخرجته بيدها فحين لمسته برئت من علتها وأقبلت بالتابوت على آسية وذكرت لها قصته وكيف دخل وكيف شفيت به فأخرجته آسية وقبلته وهى لا تعلم أنه ابن عمها فمضت به الى فرعون وقصت له قصته وكيف شفيت به البنت فقال يا آسية أخاف أن يكون هذا المولود عدوى ولابد من قتله فقالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وأمهل به فهو عندك حتى تبين أنه عدو فاقتله

﴿ ذكر قصة رضاعه ﴾

ثم انهم عرضوا عليه المراضع فلم يقبل ثم ان أمه قالت لأخته مريم أخرجى وخذى خبر أخيك فخرجت الى آسية لتأخذ خبره فنظرت واذا هو فى حجر آسية فقالت مريم أنا أدلكم على من يكفله لكم وذهبت الى أمها وأخبرتها بذلك فقامت من ساعتها ودخلت على فرعون وموسى بين يديه فعرفت آسية انها امرأة عمها فقالت لها اعرضى عليه لبنك فلما أخذته

أمه وجدر أخنها ارتضع منها فقال فرعون أرى لك لبنا غزيرا فهل لك من ولد قالت وهل ترك الملك لأحد ولدا فظن ان ولدها قتل مع من قتل ولم يعلم انها امرأة عمران فقالت لها آسية أحب أن تكونى عندى فأقامت عندها سنتين حتى استغنى عن الرضاع فلما همت أمه بالانصراف أمرت لها آسية بحمل من الذهب والثياب الفاخرة وذهبت غنية مستبشرة

﴿ عجائب موسى ﷺ ﴾

فلما صار لموسى ثلاث سنين أقعده فرعون فى حجره فمد موسى يده الى لحية فرعون وتنف منها خصلة فاغتاظ فرعون غيظا شديدا وقال هذا عدوى وهم بقتله فقالت له آسية ليس للصغار عقل ولا معرفة وأنا آتيك بدليل وأمرت باحضار طشت وجعلت فيه تمرة وجمرة وقدمته الى موسى فمد يده الى التمرة فحول جبرائيل يده الى الجمرة فرفعها الى فيه فاحترق لسانه وأخذ فى البكاء الشديد فسكن غيظ فرعون ﴿ آية أخرى ﴾ فلما تم لموسى سبع سنين كان قاعدا مع فرعون على سريره فقرصه فرعون فنزل موسى عن السرير غضبان وضرب برجله قوائم السرير فكسر منها قائمتين فسقط فرعون وتهشم أنفه وسال الدم على وجهه فهم بقتله فقالت آسية ألا يسرك أن يكون لك ولد بهذه القوة يدفع عنك أعداءك فسكن غضبه ﴿ آية أخرى ﴾ فلما صار لموسى من العمر اثنتا عشرة سنة قعد يوما على المائدة وعليها جمل مشوى فقال له موسى قم باذن الله فقام قائما على المائدة ففزع فرعون من ذلك ودخل على آسية فأخبرها بذلك فقالت ألا يسرك أن يكون لك ولد يأتى بمثل هذه العجائب فسكن غضب فرعون ﴿ آية أخرى ﴾ فلما أتى على موسى ثلاث وعشرون سنة خرج يوما وتوضأ ووقف يصلى فقال رجل من خواص الملك ياموسى لمن تصلى قال لسيدى ومولاى فقال الرجل تعنى أباك فرعون قال على فرعون لعنة الله وعليك معه وكان ذلك دأب موسى يلعن فرعون وكل من أتى ليخبر فرعون بما يشتمه به موسى سلط الله عليه فرعون قبل الاخبار فمنهم من يقتله ومنهم من يقطع يده ومنهم من يحرقه بالنار ﴿ آية أخرى ﴾ علم أهل مصر أنه من أراد أن يشى للملك بما يفعل موسى يتسلط عليه ويضربه قبل أن يشى فامتنعوا من أن يخبروا فرعون بشىء من فعل موسى الا بالجميل قال فلما صار لموسى أربعون سنة وبلغ أشده وكان موسى يذكر لبنى اسرائيل ماعليه فرعون من الضلالة وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويبغض أهل الكفر ﴿ حديث القبطى ﴾ وكان طباخا لفرعون فاشترى حطبا فمر به فتى من بنى اسرائيل ممن كان يجالس موسى فجذبه القبطى ليحمل الحطب فامتنع واستنصر بموسى فقال موسى خل سبيله فأبى القبطى فوكزه موسى فى صدره فمات

فندم موسى على قتل القبطي خوفاً من الله فقال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له فلما أصبح في اليوم الثاني صار موسى خائفاً من فرعون لأن فرعون علم بذلك الأمر فبينما موسى خائف يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه على قبطي آخر هو ابن أخي المقتول وكان هذا القبطي يطالب الاسرائيلي بدم عمه ويريد أن يأخذه الى فرعون فطلب الاسرائيلي من موسى أن يعينه على القبطي فقال موسى للاسرائيلي انك لغوي مبين أغويتني بالأمس حتى قتلت رجلاً وتريد اليوم أن تغويني لأقتل آخر ففزع الفتى من كلامه وعلم أن موسى ندم على مافعل بالأمس وعلم القبطي أن الاسرائيلي لم يقتل عمه وانما قتله موسى فأطلق القبطي الاسرائيلي وجاء الى فرعون وأخبره أن موسى قتل عمه فأرسل فرعون في طلب موسى وأذن لأولياء المقتول أن يقتلوا موسى حيث وجدوه وكان رجل يسمى حزقيل مؤمناً من آل فرعون لما سمع ذلك أتى الى موسى وقال له ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فخرج موسى خائفاً نحو أرض مدين حافياً بغير زاد متوكلاً على الله تعالى

﴿ قصة موسى لما كان بأرض مدين ﴾

فلما وصل موسى الى مدين في اليوم السادس وجد رعاة الغنم على بئر يسقون غنمهم واذا بامرأتين تذودان وهو قوله تعالى « ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان » فقال موسى ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وباقي الماء لمواشينا وأبونا شيخ كبير نبي هؤلاء القوم يحسدونه على ما آتاه الله وكان الرعاة اذا فرغوا من السقي يضعون حجراً كبيراً على رأس البئر لئلا يقدر أحد على فتحه خوفاً على أخذ شيء من الماء فصبر موسى حتى وضعوا الحجر وانصرفوا فقال موسى للمرأتين قربا أغنامكما الى الحوض ثم تقدم ورفع الصخرة عن رأس البئر بيده ولا يقدر على رفعها الا جم غفير أي رجال كثير وذلك مع ضعفه وجوعه فسقى لهما ثم تولى الى الظل تحت شجرة كانت هناك « فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير » فتمنى موسى في ذلك الوقت قرصاً من خبز الشعير فلما أتت المرأتان الى أبيهما وهو نبي الله شعيب فقال لهما انكما جئتما بسرعة وكان موسى قد سقى لهما فقصتا عليه خبر موسى فقال شعيب لاحداهما وكانت شديدة الحياء اذهبي فأتيني به فأقبلت الى موسى وقالت « ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا » فقام موسى معها فكانت تمر بين يديه فكشف الريح عن ساقيها فقال لها موسى تأخري الى خلفي ودليني على الطريق فتأخرت فكانت تقول له عن يمينك عن يسارك قدامك حتى دخل مدين الى بيت شعيب فأذن له شعيب في الدخول فدخل فسلم عليه وجلس بين يديه فسأله شعيب ما الذي جاء بك الى أرض مدين فقص عليه

موسى حاله كما قال الله تعالى ﴿ فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴾ فدعا شعيب بالطعام فأكل وحمد الله تعالى ﴿ قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين ﴾ فكان من قوته أنه رفع الحجر عن البئر وكان لا يرفعه الا جمع من الرجال وكان من أمانته تأخير المرأة عنه لئلا ينظرها فقال شعيب يا موسى ﴿ اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ﴾ فرضي موسى وقال ﴿ ذلك بيني و بينك أيما الأجلين قضيت ﴾ من الثماني أو العشر ﴿ فلا عدوان علي ﴾ أي لا سلطان علي فرضي شعيب قال فجمع شعيب المؤمنين من أهل مدين و زوجه بنته صفوراء بحضرتهم ثم أدخله عليها فلما أراد موسى الانصراف مع الغنم قال له شعيب ادخل هذا البيت وخذ عصا فدخل موسى ونظر الى عصى معلقة فأخذ من جملتها عصا حمراء فقال شعيب أرني هذه العصا التي أخذتها يا موسى فلما لمسها شعيب قال ضعها مكانها وخذ غيرها وأرني ما أخذت ففعل ذلك موسى مرارا فكان كلما وضعها وأخذ غيرها لا يخرج بيده الا تلك العصا فقال شعيب يا موسى خذها فهي من أشجار الجنة أهداها الله لآدم يا موسى واني لموصيك بها فاحفظها وان أهل مدين يحسدونني فيدلونك على مكان لا ماء فيه ولا مرعى فاعلم ذلك فخرج موسى بغنم شعيب وكانت أربعمائة شاة فما زالت تزيد مع موسى حتى صارت أربعين ألفا وكان لا يجسر أحد من الرعاة أن يسقي قبل موسى * قال فلما بلغ موسى الثماني حجج قال له شعيب مهما جاء من الغنم ذكورا في السنة التاسعة فهي لك و في السنة العاشرة اناثا فهي لك فأتت الأغنام في التاسعة بذكور خلص وفي العاشرة باناث خلص فسبحان الرزاق العليم فأخذ الجميع موسى

﴿ خروج موسى من أرض مدين ﴾

فلما عزم موسى على الانصراف بكى شعيب وقال يا موسى كنت مباركا علي فكيف تخرج بابنتي وقد كبرت وضعف بصري وكثر حسادي وغنمي شاردة بغير راع فقال موسى طالت غيبتي عن أمي وأختي وخالتي وقد تركتهم في بلدة فرعون فقال شعيب أكره أن أمنعك عن أمك وهذه بنتي معك نعم الصاحب لك فكن بها شفيقا ونعم الرفيق أنت وهي وأوصاها كذلك ودعا لهما * قال فسار موسى بأهله و ولده وغنمه يريد أرض مصر فلما قرب الى وادي طوى بقرب الطور وكان آخر النهار وقد هبت الرياح وسكب المطر وعظم البرد فأنزل موسى أهله وضرب الخيمة على جانب الوادي وكانت امرأته حاملا فأخذها الطلق في الحال فجمع موسى حطبا وأخرج زنادا وضرب بها فلم تور شيئا واجتهد فلم يحصل شرر فرمى بها وخرج من الخيمة متحيرا في أمر النار فاغتم لذلك فنظر على بعد فاذا هو

بنار تلوح فتوجه فى طلبها «فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة» يعنى من عند الشجرة ولم تكن نارا بل نورا فنودى «ياموسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى» الى قوله تعالى «وماتلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى» ومن المآرب أنه كان يعلق عليها كساءه ويستظل به ويقاتل بها السباع ويعلق عليها زاده قال الله تعالى «ألقها ياموسى فألقاها فاذا هى حية تسعى» فلما رآها «ولى مدبرا ولم يعقب» فلما هرب قال له جبرائيل أتهرب من ربك ياموسى وهو يكلمك فرجع موسى الى موضعه والحية بحالها قال الله تعالى «خذها ولا تخف» فأدخل يده فى كمه ليأخذها بكمه لأنه خاف أن تلدغه فقال جبرائيل ان أذن الله فى لسعها لك لا يغنى كمك فأخرج يده فأخذها فاذا هى عصا قال الله تعالى «واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء» فمد يده تحت ابطه فخرجت بيضاء من غير برص «آية أخرى» مع العصا فانس موسى وذهب عنه الخوف وقال الله ياموسى «أنا اخترتك» برسالتى لابعثك الى عبد من عبيدى بطر نعمتى وتسمى باسمى وعبد غيرى قال موسى «رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى» الآية قال الله تعالى «لقد أوتيت سؤلك ياموسى» قيل لما اشتد بابنة شعيب الطلق سمع بذلك سكان الوادى من الجن فاجتمعوا اليها وأوقدوا عندها النار وقبلوها حتى وضعت وانصرفوا عنها فلما رجع موسى حمد الله وشكره وتوجه الى مصر * قال سخر الله لابنة شعيب راعيا من أرض مدين فعرفها فحملها الى أرض شعيب فلم تزل عنده حتى فرغ موسى من أمر فرعون فبلغ ذلك شعيبا فرد الى موسى زوجته

﴿ ذكر دخول موسى الى مصر ﴾

فأوحى الله الى هرون أخى موسى بقدوم موسى وهو يومئذ وزير فرعون وكان فرعون لا يفارقه ليلا ولا نهارا فأوحى الله اليه فى المنام ان أخاك موسى قدم من أرض مدين رسولا وأنت شريكه فى الرسالة الى فرعون فانتبه هرون خائفا وظن أنه من الشيطان وعاد الى منامه فعاد اليه القائل كذلك ثلاث مرات ثم قال له نعم قم الى أخيك وكانت الابواب مغلقة فاحتمله الملك الى قارعة الطريق وقال له امض ياهرون واستقبل أخاك فكان الريح يلقى الى موسى كلام هرون والى هرون كلام موسى حتى اجتمعا فبشر موسى أخاه هرون بالرسالة ثم أقبلا يريدان أمهما فقال هرون انى أخاف أن يعلم بنا أحد فقال موسى لا تخف قد قال الله تعالى «اننى معكما أسمع وأرى» فلما

وصلا الى باب أمهما قرعا الباب ودخلا ليلا فلما رأت أمهما انهما اجتمعا عندها غشى عليها فلما أفاقت قص موسى عليها قصته جميعها وأنه رسول الله الى فرعون وقومه فسجدت لله شكرا فبات موسى تلك الليلة عند أمه فلما كانت الليلة الثانية أخذ موسى عصاه ومضى فما كان يضرب بها بابا الا وفتح حتى فتح كذا وكذا بابا حتى صار فى قبة فرعون فلقيه نائما وأخوه عند رأسه جالس على كرسى فلما رآه هرون قام اليه وقال ياموسى أفى مثل هذا الوقت وفى مثل هذا المحل يكون الكلام اذهب فكل مقام له مقال فذهب موسى هذا وفرعون نائم لا يشعر فلما أصبح الصباح أتى موسى الى فرعون فمن القوم من عرفه ومنهم من لم يعرفه فأخبر الناس فرعون بقدوم موسى فقال على أى حالة جاء موسى فقالوا رجل طويل أسمر كث اللحية عليه جبة صوف وفى رجليه نعل مخصوف وفى يده عصا جراء فعند ذلك اصفر وجه فرعون وارتعدت قوائمه وخاف خوفا شديدا فأمر هامان أن يحبس موسى وقال فرعون لأخيه هرون لأى شىء لم تعلمنى عند مجىء موسى فقال أيها الملك خفت أن أشوش عليك بخبره والآن هو فى حبسك فاحضره بين يديك واسأله فيم جاء ﴿مخاطبة موسى لفرعون﴾ قال فزين فرعون قصره وكشف عن جواهر سريره واستدعى كبراء قومه وأوقف هرون عن يمينه وهامان عن شماله على العادة وأحضر موسى فكانت تقول بنو اسرائيل لاشك فى أن يقتل فرعون موسى فلما حضر موسى قال له فرعون تجاهلا من أنت قال موسى أنا عبد الله ورسوله وكليمه قال فرعون ياموسى انك عبد فرعون وابن عبده وابن أمته قال موسى ان الله أعز من أن يكون له ندلا إله إلا هو قال فرعون الى من أرسلك ربك قال موسى اليك والى أهل مصر قال فرعون فيم أرسلت قال ليقولوا لا إله إلا الله وحده لا شريك له وانى موسى عبده ورسوله وهذا أخى هرون معى رسولا اليكم انزل ياأخى و بلغ رسالة ربك فنزل هرون عن كرسيه وقال يافرعون انا رسولا ربك اليك لتؤمنوا بالله وحده ولا تشركوا به شيئا فبهت فرعون وتحير لما قال هرون ذلك لأنه كان عنده بمنزلة عظيمة فعند ذلك غضب وقال لوزيره انزع ما كان على هرون من لباسه فجردوه من أثوابه فبقى عريانا ولم يبق عليه شىء غير لباس عورته فنزع موسى مدرعته وألبسها لأخيه هرون فقال فرعون لوزيره هامان خذهما اليك واذكرلهما نعمتى وتربيتى وماصنعته معهما من الجميل فجاء بهما الى منزله وأكرمهما فصار يعظمهما هامان و يتلطف بهما ليدخلهما فى طاعة فرعون وهما يعظانه ليدخلاه فى طاعة الله فلم يقدر أحد من الفريقين على إطاعة صاحبه * قال فاحضرهما فرعون بعد ذلك وقال لموسى «ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين» الآية الى قوله تعالى «وجعلنى من المرسلين»

اليك وقال موسى يافرعون جعلت بنى اسرائيل عبيدا لك تذبح أبناءهم وتستحيي نساءهم فجلس فرعون وكان متكئا فغضب وقال فأت بآية ان كنت من الصادقين فاضطربت العصا فى كف موسى «فألقاها فاذا هى ثعبان مبين» فلما رآها فرعون ومن حوله فروا هاربين فكان لهم ضجة عظيمة فكان أول من هرب فرعون وتبعه القوم فقال ان هذا لساحر عليم فأرسل فرعون فأحضر السحرة ووعدهم بمال جزيل ان كانوا هم الغالبين فجمعوا حبالا وعصيا فجعلوا بين كل حبلين عصا وبين كل عصوين حبلا واجتمع الناس من المدينة والمدائن اللاتى حولها فكانوا خلقا عظيما وكان ذلك اليوم يوم الزينة فأحضروا موسى وهرون فكانت الحبال والعصى يمشى بعضها فى بعض وجاءوا بسحر عظيم فامتلأ الوادى من الحيات فصارت يركب بعضها بعضا «فأوجس فى نفسه خيفة موسى» فأوحى الله اليه «لاتخف انك أنت الأعلى وألق مافى يمينك تلقف ماصنعوا» فألقى موسى عصاه فصارت حية لها سبعة رءوس فابتلعت جميع تلك الحبال والعصى وجميع زينة القوم فوقف فرعون ووزراؤه على تل عال لينظروا آخر ماتفعل الحية فأخذت الحية نحو القوم فولوا هاربين فقال كبير السحرة وكان مكفوف البصر هل تجدون العصا منفوخة أم لا فقالوا على حالها لم تتغير فقال لو كان فيها سحر لا تنفخت ولكنه صادق بأنه رسول الله فآمنوا وقالوا انا آمنا برب موسى وهارون ثم خروا سجدا لله رب العالمين فأمر فرعون بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وأمر بصلبهم أجمعين فقالوا يافرعون نرضى بعذاب الدنيا فانه ينقضى ولا نرضى بعذاب الآخرة فانه لا ينقضى وكانوا سبعين رجلا

﴿ ذكر الآيات التسع ﴾

قال الله تعالى «فأرسلنا عليهم الطوفان» فدام عليهم ثمانية أيام بلياليها فكانوا لايرون فيها شمسا ولا قمرا حتى امتلأت الدور والأسواق ماء فأخذت الارض فى الخراب فجاء القوم الى فرعون فقال لهم انصرفوا أنا أكشفها عنكم فدعا فرعون بموسى وسأله أن يدعو برفع الطوفان فدعا موسى الله تعالى فرفع الله الطوفان وكان موسى دعا الله برفعه رجاء أن يؤمن فرعون فلما لم يؤمن أرسل الله عليهم الجراد فأكل أشجارهم وزروعهم ودام عليهم ثمانية أيام ففزعوا الى فرعون فوعدهم بصرفه عنهم فدعا فرعون بموسى وقال ان صرفت الجراد نؤمن بك فدعا موسى ربه رجاء فى ايمانهم فأرسل الله على الجراد ريحا باردة فهلك الجراد عن آخره فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم القمل فأكل جميع مافى بيوتهم وجميع ما على الأرض ووقع فى ثيابهم فقرضها وقرض أبدانهم وشعورهم فضجوا الى فرعون فصرفهم ثم دعا بموسى ووعده بالايمان فدعا موسى ربه فصرفه عنهم فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم الضفادع فكانت أشد بلاء لانها كانت تقع فى طعامهم وقدورهم و بين

ثيابهم وفرشهم وكان لها رائحة كريهة فبقى ذلك ثمانية أيام فرجعوا الى فرعون وفرعون رجع الى موسى فدعا موسى ربه فى كشف ذلك فصرفه الله عنهم وأرسل اليها مطرا يجرها الى البحر فلم يؤمنوا فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك النيل فضرب به موسى بعصاه فصار دما عبيطا فاشتد بهم العطش حتى أشرفوا على الهلاك فكان يمضى الفرعونى والاسرائيلى الى النيل من موضع واحد فيغرف الفرعونى منه فيكون دما ويغرف الاسرائيلى ماء فلم يؤمنوا فضمن فرعون لموسى ايمانهم فدعا الله فكشفه عنهم فلم يؤمنوا فكان ذلك أربعين يوما بين كل آيتين ثمانية أيام ثم ان موسى قال «يارب انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا» الآية فكان الدعاء من موسى والتأمين من هرون فأوحى الله اليهما انى قد استجبت دعوتكما فاستقيما على رسالتى فطمس الله على كثير منهم فأصبح بعض من الرجال والنساء والصبيان حجارة وكذلك أسواقهم وما كان فيها فذلك قوله تعالى «ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات» قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى التفسير كان أول الآيات العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والبحر حين صار يبسا ثم أخرج عمر خريطة فيها دنانير ودراهم وجواهر وحنطة وشعير وأرز وحمص وعدس وماش ولوبيا وقد مسخ جميعه وقت الطمس

﴿حديث قتل الماشطة وقتل آسية رحمة الله عليهما ورضوانه﴾ قال وكانت لبنت فرعون ماشطة فكان يوضع تحتها كرسى من الذهب والمشط من الذهب فبينما هى تمشطها اذ وقع المشط من يدها يوما فقالت تعس من كفر بالله فغضبت البنت وأخبرت فرعون فغضب وأحضر الماشطة فاستخبرها فقالت وحق الحق أنا مؤمنة باله موسى فعند ذلك أمر بالقاء الماشطة الى الأرض وبتسمير يديها ورجليها بمسامير فى الارض وأتى باولاد الماشطة فقال فرعون ان آمنت بى أطلقتك والا ذبحت أولادك على صدرك فأبت فذبح أولادها على صدرها وهى تقول الحمد لله ثم بعد ذلك وضعها فى صندوق من حديد محمى بنار فماتت فى ذلك الصندوق وكان معدا لمن آمن بالله فيحميه ويضع فيه من آمن بالله الى أن يموت فرأت آسية الملائكة تنزل من السماء وتتباشر بقدوم الماشطة على ربها وبأيديهم الكرامات لها فقامت آسية من وقتها وساعتها وقالت «رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله» وكان فرعون مغموما على قتل الماشطة فلم يشعر الا وآسية عنده حاسرة عن وجهها وهى كالوالهة فقالت له يا ملعون الى كم أصبر وأنت تقتل أولياء الله حتى وصلت الى الماشطة ولم ترع حقها يا ملعون الى كم تأكل رزق الله وتكفر به ولا تشكره والى كم ترى من الآيات ولم تعتبر فصاح فرعون فاجتمع

عليه وزراؤه وحجابه فقال انظروا الى فعل موسى وهرون كيف فعل بنا و بقومنا و بأهلنا وأفسدهم علينا بسحره ولم أبال بسحره ولكن صعب على حال آسية لكرامتها عندى ولا أدرى كيف وصل اليها سحر موسى فسألها فرعون أن ترجع الى أمها لينذهب مابها من الجنون فأبت فجعلوا يتلطفون بها فجاءت أمها ونصحتها فأبت وهى توحد الله وتشهد أن موسى رسوله فقالت الوزراء لفرعون ان لم تقتلها أفسدت عليك جميع قومك فأمر فرعون فصنع بها مثل ماصنع بالماشطة فنزل فى الحال جبرائيل فبشرها بالجنة وناولها كأسا فشربت منه و بشرها بأنها تكون زوجة محمد ﷺ فى الجنة فماتت من غير ألم رضى الله عنها وأرضاها

﴿حديث غرق فرعون فى البحر﴾

روى أن الله تعالى أهبط جبرائيل على صورة آدمى حسن اللباس فدخل على فرعون فقال له فرعون من أنت فقال عبد من عبيد الملك جئتك مستفتيا على عبد من عبيدى ملكته من نعمتى وأحسنت اليه كثيرا فاستكبر على و بغى وجحد حقى وتسمى باسمى وادعى فى جميع ما أنعمت عليه أنه له وأنى لست المنعم عليه قال فرعون بئس ذلك العبد من عبد قال له جبرائيل فما جزاؤه عندك قال جزاؤه أن يغرق فى هذا البحر قال له جبرائيل أسألك أن تكتب لى بخطك ذلك فكتبه فأخذه جبرائيل وخرج الى موسى فأخبره بذلك وقال ياموسى ان الله يأمرك أن ترحل من موضعك فنادى موسى فى بنى اسرائيل وأمرهم بالرحيل فارتحلوا وهم يومئذ ستمائة ألف فلما سمع فرعون بارتحال موسى وقومه نادى فى جنوده فاجتمعوا وكانوا لايحصون لكثرتهم ولحقوا موسى لأنهم اعتقدوا أنه هارب فلحقوه فأدركوه فقال بنو اسرائيل ياموسى أدركنا فرعون بجنوده فقال موسى كلا ان معى ربى سيهدين فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فكان كل فرق كالطود العظيم وصار فيه اثناعشر طريقا للاسباط الاثنى عشر وجعلوا يسيرون ويرى بعضهم بعضا وموسى بين أيديهم وهرون من ورائهم حتى دخلوا البحر جميعهم فأقبل فرعون وهامان عن يمينه ووزراؤه وجنوده خلفه فنظروا الى البحر والى تلك الطرق فوجدوها يابسة قد تفسح عنها الماء فحدثته نفسه فى الدخول وعزمه وهم بالدخول فأبت فرسه من الدخول واذا بجبرائيل عليه السلام راكب رمكة فدخل فى أثره فرس فرعون طمعا فى الرمكة قال فدخلوا أجمعون فرعون وقومه حتى لم يبق منهم أحد على الساحل فانطبق عليهم الماء واذا بجبرائيل عليه السلام ومعه الصحيفة التى كتبها فرعون فأعطاها له فلما قرأها علم أنه هالك وأخذت الطرقات ينضم بعضها الى بعض حتى انطبق عليهم فهلكوا كلهم ولم ينج

منهم أحد * قال لما استيقن فرعون بالهلاك قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو اسرائيل فقال له جبرائيل «آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين» وقوله تعالى «فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية» يعنى أنجى الله جثته وأخرجها الى البر لأن بنى اسرائيل كانوا فى شك من غرقه فعلمت بنو اسرائيل أنه غرق وغرق قومه أجمعون وأورثهم الله أرضهم وديارهم ثم ان الله تعالى أوحى الى موسى أن يسير الى الأرض المقدسة فان فيها قوما يعبدون الاصنام وهى أرض فيها مقابر الأنبياء فأمر موسى قومه بالمسير معه اليها فقالوا ياموسى ان الله بعثك وأخرجك الينا لتنجينا من فرعون والآن تحملنا ماهو أشق علينا من فرعون ومعنا النساء والصبيان والزمنى والمشايخ وتلك البلاد مفاوز وليس معنا زاد وبها الحر الشديد فأوحى الله الى موسى انى مظلهم بالغمام ومنزل عليهم المن والسلوى وجعلت نعالهم لاتبلى وثيابهم كذلك وأمرت الحجارة أن تنفجر لهم بالماء فعند ذلك طابت نفوسهم وساروا مع موسى فوجدوا جميع ذلك بقدرة الله تعالى فاختار موسى اثنى عشر رجلا فقال أريد أن تتوجهوا الى أريحاء مدينة الجبارين لتأتونى بخبرها وخبر أهلها واذا جئتم فاكتموا خبرها عن بنى اسرائيل فخرجوا ومعهم يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وساروا حتى أشرفوا عليهم فرآهم رجل من الجبارين فساقهم حتى أدخلهم الى أريحاء فاجتمع عليهم أهلها فوجدوهم عظيمى الجثث طوالا وكان بنو اسرائيل بالنسبة اليهم صغار الجثث ضعفاء فهموا بقتلهم فقال بعضهم لاتقتلوهم واجعلوهم لنا عبيدا فلما جاء الليل هربوا فوصلوا الى واد يقال له وادى العنقود فأخذوا منه رمانة حملها اثنان وعنقودا من العنب حمله اثنان فلما وصلوا الى بنى اسرائيل أشاعوا ما صدر لهم وأروهم الرمانة والعنقود فوقع الخوف فى قلوب بنى اسرائيل فقالوا ياموسى ان مملكة فرعون كانت علينا أخف مما نحن فيه من دخول مدينة الجبابرة «وانا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون» فقال موسى ياقوم لاترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين فأبوا عن المسير معه الى أريحاء الا القليل منهم فقال موسى «رب انى لاأملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين» فأوحى الله اليه لم سميتهم فاسقين «فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلاتأس على القوم الفاسقين» قال فكان كلما خرج واحد من الفاسقين عن أصحابه يتيه فى الأرض فلايهتدى أن يلقى أصحابه فيهلك فمازالوا كذلك حتى انقرضوا عن آخرهم فى أربعين سنة فسار موسى بمن معه من المؤمنين حتى وصلوا الى أريحاء فغلب موسى على المدينة وأهلها فهرب من كان بها الى بلاد أخرى وتفرقوا وأهلكهم الله تعالى

﴿ حديث قارون وبغيه ﴾

وكان قارون ابن عم موسى وكان رجلا فقيرا عابدا صالحا فجاء الى أخت موسى وقال لها من أين لموسى الذى ينفقه من الذهب فقالت ان الله علمنا صنعة الكيمياء فعلمتها لقارون فأخذ قارون يفعل الكيمياء فاخذ فى اللباس الفاخر والخيل المسومة والبناء الرفيع وجمع مالا عظيما قال الله تعالى « وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة » معناه أن مفاتيح كنوزه كانت تحمل على أربعين بغلا فعند ذلك ترك العبادة واشتغل بها عن ربه حتى كانت الناس تقول ياليت لنا مثل ما أوتى قارون فيقول نفر من المؤمنين ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وكان موسى ينصح قارون فيقول قارون كل هذا من الحسد حتى ان قارون قال لامرأة جميلة فى الحسن فقيرة جائعة ان أنت اتهمت موسى وقلت انه دعانى الى أن يفعل بى القبيح فلم أطاوعه أعطيتك مالا كثيرا وتزوجت بك فانصرفت المرأة فى تلك الليلة وقد ألقى الله فى قلبها التوبة فلما أصبحت أتت الى جمع بنى اسرائيل وفيهم قارون فقالت يا بنى اسرائيل هذا مالقى الاخيار من الاشرار فى الاسرار اعلموا أن قارون دعانى الى نفسه بالأمس وقال لى كذا وكذا وأمرنى أن أكذب على موسى بما هو كذا وكذا وأن موسى كان ينهانى عن فساد كنت فيه وأنا الآن تائبة الى الله تعالى فلما سمع بنو اسرائيل ما قالت المرأة قاموا من جانبه وبخوه ولاموه وتركوه فبلغ ذلك موسى فغضب وقال يارب عليك به فأوحى الله الى موسى انى قد أمرت الارض بالطاعة لك وسلطتك عليه فقبل موسى ودخل على قارون وقال له ياعدو الله تريد أن تفضحنى ياأرض خذيه فغاصت داره فى الارض ذراعا فسقط قارون عن كرسيه فغاصت قوائمه فى الارض الى ركبتيه فاستغاث بموسى فقال موسى ياعدو الله تبنى مثل هذه الدور والقصور وتأكل فى أوانى الذهب والفضة وأنا أنهاك فلم تنته ياأرض خذيه فأخذته شيئا وهو يستغيث بموسى فقال موسى ألم تتعظ بهلاك فرعون وغيره من الأمم الماضية ياأرض خذيه فأخذته الارض هو وداره قال الله عز وجل « فخسفنا به وبداره الارض » فكان عبرة لمن اعتبر

﴿ قصة موسى والخضر عليهما السلام ﴾

قال كعب الاحبار أعطى الله عز وجل التوراة لموسى وآتاه من العلم كثيرا فقال يارب هل آتيت أحدا من عبادك مثل ما آتيتنى فأوحى الله اليه ان لى عبدا آتيته من العلم مالم يأتك فقال يارب أسألك أن تجمعنى به فاخذ موسى فتاه يوشع بن نون وقد حمل معه خبزا من شعير وحوتا مشويا ثم سارا على الساحل أياما فلم يرياه فقال يارب أرشدنى اليه فأوحى الله اليه ياموسى اذا رأيت الحوت الذى معك قد صار حيا فذلك موضعه فسار موسى

[illegible] واذا بقبة عظيمة وفيهاقوم يركعون و يسجدون فسلم موسى عليهم فردوا [illegible] تسكونون وعن الخضر فقالوانحن ملائكة نعبد الله فى هذه القبة [illegible] البحر فسر فان الله يرشدك فسار موسى حتى وصل الى صخرة وعين ماء [illegible] موسى عندها فنام وكان الحوت فى زنبيل واذا بالحوت قدسقط فى تلك العين و يوشع ينظر اليه فانتبه موسى ونسى يوشع أن يخبره بقضية الحوت فجعلا يمشيان حتى بلغا نهرا ينصب فى البحر فقعد بجانبه موسى وقال ليوشع «آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا» فأخرج يوشع [illegible] وأخبره بذهاب الحوت عند الصخرة فقال موسى «ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا» حتى أتيا الى الصخرة فنظر بمنقو يسرة فاذاهو بالخضر يصلى فى جزيرة من جزائر البحر فقال موسى لفتاه ارجع أنت لبنى اسرائيل وكن مع هرون حتى أرجع ومشى موسى حتى وصل الى الخضر فوقف ينتظر فراغه من الصلاة فأحس به الخضر فالتفت من صلاته وقال السلام عليك ياموسى بن عمران فقال موسى وعليك السلام أيها العبد الصالح من أين عرفتنى فقال الخضر عرفنى بك من عرفك بى فقال له الخضر ياموسى سل عما بدا لك فقال موسى «هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا» لأنى أعمل على الباطن وأنت تعمل على الظاهر «قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا» فسارا على جانب البحر واذا بطائر قد أقبل فغمس منقاره فى البحر ثم أخرجه فمسحه على جناحه وطار نحو المشرق حتى غاب ثم طار نحو المغرب حتى غاب ثم رجع فصاح فقال الخضر لموسى أتدرى ما قال هذا الطائر قال لا قال انه يقول ما أوتوا من العلم الا بمقدار ما أخذت بمنقارى من هذا البحر فتعجب موسى من علمه ثم خرجا على الساحل يمشيان فبلغا الى مقبرة فجعلا ينظران الى جماجم الموتى وعظامهم فقال الخضر ياموسى هذه جمجمة فلان المملوك وهذه جمجمة أخيه وعد لموسى سبع جماجم اخوة فنطقوا كلهم عن أسمائهم وأفعالهم فتعجب موسى وخرجا من القرية ومشيا على الساحل فاذاهم بسفينة قد رفع أهلها شراعها وهم يسيرون فى وسط البحر فلوح الخضر اليهم فأقبلوا اليه وقالوا ما حاجتك قال أريد موضع كذا وكذا وأحب أن تحملونا الى هناك فقربوا السفينة ودخلا عندهم فساروا حتى صاروا فى لجة البحر فعمد الخضر الى لوح من ألواح السفينة فكسره وسد موضعه بخرقة كانت معه قال له موسى «أخرقتها لتغرق أهلها» ليس هذا جزاء أهلها فانهم حملونا بلا أجرة قال الخضر «ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا» فسكت موسى و «قال لا تؤاخذنى بما نسيت» الآية . ثم ساروا قليلا فاستقبلتهم سفينة ملكهم فقالوا ان الملك يريد سفينتكم ان لم يكن فيها عيب فدخلوها فوجدوها معيبة وهو الموضع الذى

كسره الخضر فتركوها فخرج الخضر وموسى من السفينة وجعلا يمشيان فلقيا غلمانا يلعبون وفيهم غلام أحسن ما يكون فأخرجه الخضر من بينهم وعمد الى صخرة فضرب بها رأس ذلك الغلام فقتله فعظم ذلك على موسى فقال أيها الصالح «أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا» قال الخضر يا ابن عمران «ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا» ثم سارا «حتى أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه» الخضر وجمع الطين والحجارة وسواه فضجر موسى فقال أيها العبد الصالح استطعمت أهل هذه القرية فلم يطعموك قال يا ابن عمران هذا فراق بيني وبينك واني منبئك أما السفينة فكانت لعشرة أنفس خمسة ضعاف مرضى وخمسة صحاح وكان الأصحاء يعملون للمرضى وكان ذلك الملك يأخذ السفن السالمة غصبا فعبتها لئلا يأخذها الملك وأما الغلام فكان يقطع الطريق وكان أبواه ينفران منه ويدعوان عليه فقتلته لاني لو تركته لكان فعله يوجب لأبويه الكفر ولم يرد الله ذلك لهما وأن يرزقهما خيرا منه «وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما» ولو سقط الحائط لتبين الكنز وذهب المال فأراد الله أن يبقيه لهما ببركة والدهما فذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا انتهى . ولما توفي موسى ﷺ أرسل الله اليه ملك الموت فجاء وهو يقرأ في التوراة بين أهله فقال السلام عليك ياموسى فقال وعليك السلام من أنت قال أنا ملك الموت جئت لقبض روحك ولكني أراك تكلمني كلام من شرب المسكر فاختلط عقل موسى عند ذلك وقال ماشربت مسكرا قال فادن مني حتى أشم رائحتك فدنا منه فقال تنفس فتنفس فقبضها ومضى ملك الموت عليه السلام

﴿ ذكر قصة نبي الله يوشع عليه السلام ﴾

ثم ان يوشع أخذ بعد موسى في الجهاد ففتح الله على يديه نحو ثلاثين مدينة من مدن الشام ثم جمع بني اسرائيل وقال لهم اعلموا رحمكم الله أن مدينة أريحاء فتحها موسى ﷺ ونفى الجبارين منها والآن قد عادوا اليها وأنا سائر اليهم فخذوا أهبتكم فان الله ينصركم عليهم فسار يوشع بأصحابه حتى نزل بساحة أريحاء وتقابلوا مع الجبارين فقتل من الطائفتين خلق كثير وانهزمت الجبابرة عند العصر من يوم الجمعة وكان في عهد موسى أن يوم السبت للعبادة فقال يوشع ان فترنا عنهم هذه الساعة يكن يوم السبت عليهم فيقوى عدونا في هذا اليوم فدعا الله وقال اللهم أطل علينا بقية هذا اليوم انك على كل شيء قدير اللهم انك تعلم ضعف بني اسرائيل فانصرنا ياخير الناصرين فأرسل الله ملكا الى يوشع اني حبست لكم الشمس ونصرتكم فما زال يوشع يجاهد ويجالد والشمس محبوسة بقدرة الله حتى دخل يوشع مدينة

أريحاء وأبادهم وغنم أموالهم ثم سار من أريحاء الى بلاد كنعان فقتل من ملوكها نحو ثلاثين ملكا وفتح ثلاثين حصنا

﴿ حديث الياس عليه السلام ﴾

قال كعب الأحبار لما ولد الياس طلع منه نور ساطع أضاء منه المشرق والمغرب فقالت بنو اسرائيل سلوا عن امتداد هذا النور فتبعوه فوجدوا مولودا ولد من ولد هرون عليه السلام فقالت بنو اسرائيل هذا الذى بشر ونا به وأن الله يهلك الجبابرة على يديه ولما بلغ الياس من العمر سبع سنين حفظ التوراة وقال يوما من الأيام يا بنى اسرائيل أريكم من نفسى عجبا فصاح صيحة عظيمة فارتعبت قلوبهم فلما سكن الرعب عنهم أرادوا قتله فهرب منهم الى الجبال فكان يدور مع السباع والوحوش حتى استكمل عمره أربعين سنة فهبط جبرائيل عليه السلام على الياس فقال له من أنت قال أنا جبرائيل قال بماذا جئت قال مبشرك بالنبوة وان الله جعلك رسولا الى ملوك الجبابرة الذين يعبدون الأصنام فقال الياس كيف أصنع وأنا وحيد وهم عندهم الجوع والسلاح فقال جبرائيل ان النصرة لك والقوة لله وان الله أمر الوحوش والنار بالطاعتك وأعطاك قوة ثلاثين نبيا فامض الى قومك قال وكان قومه فى سبعين قرية كل قرية أكبر من مدينة وفى كل قرية جبار يسوسهم فنزل الياس الى قرية فجاء الى جانب قصر جبارها وأخذ يتلو التوراة بصوت حسن فسمعه الجبار وزوجته فجاءت زوجة الجبار اليه فقالت من أنت وما تريد فقال انى رسول الله اليكم فقالت وما حاجتك فقال وما تريدون قال ادع هذه النار لتأتيك فدعا النار فأتته فأخبرت المرأة زوجها فآمنا به ثم مضى عنهما وجاء الى أهل القرية فبلغهم رسالة ربه فضربوه وأهانوه وأوثقوه وأخذوه الى ملكهم الأكبر فحمى له القدور وقال له ان لم تنته والا أحرقتك فصاح الياس صيحته المعروفة فارتعبت منها القلوب وخمدت النار فتحير الناس وقالوا يا الياس قد عرفنا حالك فاصبر الى غد فلما أصبح جاء الياس اليهم ووعظهم وحذرهم عذاب الله وبلغ رسالة ربه فقالوا يا الياس هلا بعث معك ربك جنودا فقال ويلكم ومن يقدر على أمر الله ومخالفته ثم خرج من بينهم الى الملك جاب الذى آمن به وأخبره ثم ان الملك عاميل جمع أكابر مملكته وعلماء قومه وقال ما تقولون فى أمر الياس فقالوا الأمان فقال قولوا ولكم الأمان فقالوا انا رأينا فى التوراة صفة هذا الرجل وانه يبعث نبيا وتسخر له النار والاسود وانه لا يسمع صوته أحد الا ذل وقال بعض علمائهم كذبوا بل هو ساحر كذاب فقال الملك عاميل مهلا حتى ننظر ثم انصرفوا ثم ان الياس عليه السلام عاد الى الملك جاب فأخبره بذلك فقال له الملك جاب يا الياس انى معك فى غرور فان الذين أطاعوك فى ذل واهانة والذين لم يطيعوك فى عز ونعمة فانصرف عنى فلا حاجة لى بك فقالت

زوجته ياجاب ان كنت قد ارتددت عن دينك فلا أرتد أنا عن ديني ولحقت بالياس فكانت تعبد الله معه فى عريش عند بيت الملك عاميل ثم أسلمت بنت الملك عاميل ولحقت بالياس أيضا فأراد الملك عاميل قتلها فاشتغل عنها بموت ولده وكان يحبه حبا شديدا لجاء الياس اليه وقال له ياعاميل ان كان الذى تعبده له قدرة فقل له يرد روح ابنك اليه فمضى الملك عاميل الى صنمه وسجد له وتضرع وسأله أن يرد روحه فلم يجبه فدعا بالياس وقال ان كان ربك يرد روح ابنى آمنت بك وبربك فدعا الياس ربه فقام الولد باذن الله حيا سالما فعند ذلك قال الملك عاميل أشهد أن لا اله الا الله وأن الياس رسول الله ثم خلع نفسه من الملك ولبس المسوح وتبع الياس فى دينه فلم يزل الياس يبلغ رسالة ربه فلم يؤمنوا ومات الملك عاميل وولده وابنته وزوجته جاب فعند ذلك دعا الياس على قومه بالقحط فقحطوا انحازوا وايقنتا تون بما عندهم من القوت حتى أكلوا دوابهم والعظام ثم الكلاب والفيران حتى من مات منهم فعند ذلك ضجت الملائكة الى ربها فى حال عباده المؤمنين والطيور والوحوش فأتوا الى الياس وقالوا يانبى الله ان الله تعالى قد جعل أرزاق عباده اليك أفلا ترحمهم قال فانهم عصونى وغضبى عليهم لله فان آمنوا والا هلكوا فأوحى الله اليه ياالياس احلم ففزع الياس من ذلك وقال إلهى مالى علم انى عصيتك وأنت أرحم الراحمين فأوحى الله اليه أن سر اليهم فان آمنوا كان فرجهم على يديك وان كفروا كنت أرأف بهم منك فانطلق الياس حتى دخل الى قرية فرأى عجوزا فقال هل تقدرين على طعام فقالت ماذقت خبزا من مدة طويلة ولى ولد قد أشرف على الموت وانه على دين الياس فقال وما اسمه قالت اليسع لجاء اليه الياس فوجده ميتا من الجوع فأحياه الله بدعوة الياس فقام وقال أشهد أن لا اله الا الله وأن الياس رسول الله وقد جعلنى الله وزيرا لك فخرج الياس فاجتمعت اليه الناس وطلبوا أن يدعو ربه حتى يفرج عنهم فدعا الله ففرج عنهم فلم يؤمنوا فدعا عليهم فأوحى الله اليه ياالياس قد بلغت رسالة ربك وفعلت ما أمرت به فاستخلف الآن اليسع وارجع عن ديار قومك وأنت عندى لمن المقربين فأقبل الياس على اليسع وقال أنت خليفتى فأوحى الله الى اليسع انك نبى وأرسلتك الى بنى اسرائيل وقويتك وأيدتك ثم ان الياس لما خرج عن قومه فاذا هو بفرس تلتهب نورا فقالت أنا هدية الله اليك فاركب فاستوى على ظهرها وجاء جبرائيل عليه السلام فقال ياالياس طر مع الملائكة فى الأرض حيث شئت فقد كساك الله الريش وقطع عنك لذة المطعم والمشرب وجعلك آدميا سماويا أرضيا

﴿ ذكر قصة اليسع عليه السلام ﴾

قال وهب بن منبه هو اليسع بن خطوب بعثه الله الى بنى اسرائيل بعد الياس قال السدى هو

ابن عم الياس فلما رفع الله الياس استخلف بعده اليسع * قال الواقدى ان فى أيام اليسع بنيت مدينة طرسوس وملطية واستمر اليسع يقضى بين الناس بالحق حتى توفى ودفن بفلسطين فلما مات اليسع استمر بنو اسرائيل عشر سنين بغير نبى فعند ذلك أقام فيهم كاهن يقال له عالى ابن أسباط بن هرون وكان رجلا صالحا فدبر أمور بنى اسرائيل بأحسن ما يكون واستمر على ذلك نحو أربعين سنة وفى أيامه ولد شمعون من أنبياء بنى اسرائيل وولد أيضا داود أبو سليمان عليهما السلام وكان بين وفاة عالى الكاهن و وفاة موسى عليه السلام أربعمائة وسبعة وثمانون سنة انتهى والله أعلم

﴿ ذكر قصة شمعون عليه السلام ﴾

قال الله تعالى « ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى » الآية المراد من قوله بعد موسى هو شمعون وكان من ذرية هرون عليه السلام وكان أنبياء بنى اسرائيل بمنزلة القضاة يحكمون بين الناس بالحق فلما مات الأسباط ولم يبق منهم سوى أم شمعون كان بنو اسرائيل يدعون الله تعالى أن يبعث فيهم نبيا من الأسباط فلما حملت به وكانت عجوزا عقيما من ذرية الأسباط تعجب بنو اسرائيل من شأنها وقالوا لم تحمل هذه العجوز الا بنبى من نسل الأسباط فحبسوها فى بيت حتى تضع مافى بطنها وكانت هى أيضا تدعو الله تعالى أن يكون حملها ولدا ذكرا فولدت شمعون وكان اسمه أولا شمويل فلما كبر تعلم التوراة فكفله على الصغر عالى الكاهن المتقدم ذكره فلما بلغ أشده وجاوز أربعين سنة أتى اليه جبرائيل ففزع منه وقال لعالى الكاهن سمعت فى البيت صوتا وليس فيه غيرنا فقال له عالى ياشمعون قم وتوضأ فهذا جبريل عليه السلام فقام شمعون وتوضأ وجلس فظهر له جبرائيل فقال له اذهب الى بنى اسرائيل و بلغهم رسالة ربك فان الله تعالى قد بعثك اليهم نبيا فلبث فيهم نحو أربعين سنة يقضى بين بنى اسرائيل بالحق وكان يعرف بابن العجوز ثم ان بنى اسرائيل قالوا ياشمعون ادع الله بأن يقيم علينا ملكا حتى يكون لنا قوة و يستخلص لنا تابوت السكينة من أيدى العمالقة فلما دعا الله بعث الله الى بنى اسرائيل طالوت وهو قوله تعالى « وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا » الآية انتهى.

﴿ ذكر قصة الخضر عليه السلام ﴾

قال السدى اختلف جماعة من العلماء فى أمر الخضر عليه السلام * قال ابن عباس انه من ولد شالخ بن أرخشد بن سام بن نوح عليهم السلام وقال ابن اسحق انه من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام وقال النقاش انه ابن فرعون صاحب موسى ولم يصحح الطبرى ذلك وأبطله وقال آخر هو اليسع صاحب الياس ولم يصحح ذلك وقال آخر هو أرمياء ولم يصحح ذلك وقال الاستاذ الحافظ أبو القاسم عبد الله بن الحسن

الخثعمى فى كتاب التعريف ان الخضر عليه السلام ابن ملك يقال له عاميل وهو من ولد العيص ابن اسحق وأمه بنت ملك يقال له فارس وكان اسمها ألمى وانها ولدته فى مغارة وكان بها شاة فصارت ترضعه كل يوم فأخذه الراعى ورباه حتى كبر وشب وصار ماهرا جيد الخط قارئا للصحف التى أنزلت على ابراهيم عليه السلام وقال ابن اسحق ان أبا الخضر عاميل طلب كاتبا جيد الخط ليكتب له الصحف التى أنزلت على ابراهيم وشيث فقدم عليه جماعة من الكتاب وابنه الخضر وهو لا يعرفه فلما عرضوا خطوطهم على الملك استحسن خط ولده الخضر فوقع فى قلبه محبته واستحسن شكله وعبارته فى الكلام ثم انه بحث عن حقيقة نسبه فتبين أنه ابنه فقام اليه واعتنقه وضمه الى صدره ثم انه نزل له عن الملك وولاه على رعيته عوضا عن نفسه واستمر على ملك أبيه وهو يقضى بين الناس بالحق الا أنه فر من الملك لأسباب يطول شرحها واستمر سائحا فى الارض الى أن وجد عين الحياة فشرب منها كما سيجىء الكلام على ذلك فهو حى الى أن يخرج الدجال ويقتله ثم يحييه الله تعالى بحضرة الدجال بعد ما يقطعه قطعا قال جماعة من العلماء انه لم يدرك زمن النبى ﷺ وهذا لم يصح وقال البخارى وطائفة من أهل الحديث منهم الشيخ أبو بكر بن العربى ان الخضر قد مات قبل انقضاء المائة من عمره لقوله عليه السلام الى رأس مائة عام لا يبقى على الارض ممن هو عليها أحد يعنى ممن كان حيا حين قال هذه المقالة والصواب ما رواه أبو بكر بن أبى الدنيا فى كتاب الهواتف بسند رفعه الى على بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما مات النبى ﷺ سمع هاتف يقول السلام عليكم يا أهل البيت ان فى الله خلفا من كل هالك وعوضا من كل فائت وعزاء من كل مصيبة فعليكم بالصبر فاصبروا فكانوا يسمعون صوته ولا يرون شخصه فقال أصحاب رسول الله ﷺ هو الخضر عليه السلام فهو دليل على حياته . وأما سبب تسميته بالخضر ففى ذلك عدة أقاويل قال وهب بن منبه كان اسم الخضر بليا وكنيته أبو العباس وانما سمى بالخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء وقيل ان الفروة هى الارض وقال الخطابى انما سمى الخضر خضر الاشراق وجهه قال مجاهد كان اذا صلى اخضر مكان سجوده وقال آخر كان اسمه خضرون والله أعلم . وأما أمر نبوته فالجمهور من العلماء أجمعوا على أنه كان نبيا وقال بعضهم كان نبيا ورسولا يوحى اليه وقال جماعة من العلماء انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا وهو قوله تعالى « فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما » وأما قول الخضر لموسى وما فعلته عن أمرى فهذا يدل على أنه كان رسولا يوحى اليه والصحيح أنه نبى لا رسول كما رجحه العلماء وقد مرت قصته فى ذلك عند قصة موسى عليه السلام وأما قول من قال انه باق

الى اليوم فقال عمرو بن دينار ان الخضر والياس فى قيد الحياة ما دام القرآن موجودا فى الارض فاذا رفع القرآن يموتان أى الخضر والياس وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان الخضر والياس يجتمعان كل سنة على جبل عرفات مع الحجاج وفى مسجد الخيف فى منى وذكر أن كل واحد منهما يحلق رأس صاحبه هناك ويأخذ كل واحد منهما شعر صاحبه ويمضيان ويقولان عند تفرقهما الدعاء المشهور . وروى عن بعض الصالحين أنه رأى الخضر عليه السلام وذكر صفته أنه أشهل العينين ضخم الجسد طويل القامة أبيض اللحية أحمر الوجه زاهى المنظر فصيح اللسان يتكلم باللغة العربية انتهى ما أوردناه من أخبار الخضر على سبيل الاختصار

﴿ ذكر حرب طالوت مع جالوت ﴾

قال وهب بن منبه ان الله تعالى أنزل على شمعون عصا من الجنة وقال له ان الملك الذى أبعثه الى بنى اسرائيل يكون طوله على طول هذه العصا قال عكرمة ان الملك طالوت كان أصله سقاء يسقى الماء من بحر النيل على حمار له فضاع ذلك الحمار منه فخرج فى طلبه فمر على باب شمعون النبى فدخل عليه وقال له يا نبى الله ادع لى بأن يرد الله على حمارى فقال شمعون نعم ثم رأى أمارات تدل على ما أوحى الله به اليه من أمر الملك الذى يرسله الى بنى اسرائيل فأخرج تلك العصا المتقدم ذكرها فقاسها على السقاء فجاءت طوله سواء وكان طالوت طويلا جدا ولذلك سمى طالوت فقال له شمعون ان الله تعالى قد أمرنى أن أجعل ملكا على بنى اسرائيل وقد ملكتك عليهم فلما خرج الى بنى اسرائيل قال لهم قد ملكت عليكم هذا الرجل فأطيعوه فغضب بنو اسرائيل وقالوا له كيف تولى علينا مثل هذا وفينا من هو أحق بالملك منه لان النبوة كانت فى سبط لاوى بن يعقوب والملك فى سبط يهوذا وطالوت كان من سبط بنيامين فقال لهم شمعون ان الله قد اصطفاه عليكم فقال رجل من بنى اسرائيل وكان من سبط بنيامين بن يعقوب عليه السلام هذا رجل فقير لا مال له وهو سقاء يحمل الماء الى بيوت بنى اسرائيل فقال لهم شمعون ﴿ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت﴾ على يده كما أخبرنى الله به وكان طالوت أحفظ الناس للتوراة ثم ان بنى اسرائيل ملكوا عليهم طالوت ثم انه خرج الى قتال العمالقة وكانوا يسكنون بقرى حول فلسطين فلما خرج اليهم حاربهم على تابوت السكينة لان العمالقة كانوا سلبوه من بنى اسرائيل قبل ذلك واستمر عندهم مدة طويلة حتى رده الله تعالى عليهم على يد طالوت . قال السدى ان تابوت السكينة كان طوله ثلاثة أذرع فى عرض ذراعين وهو من خشب الشمشاد ويقال ان فيه نعلى موسى وقطعة من عصاه وعمامة هارون وقطعة من المن الذى كان ينزل على بنى اسرائيل وهم فى التيه وكان هذا التابوت اذا

قدموه أمامهم وقت الحرب ينتصرون على عدوهم فلما سلبه العمالقة منهم أقام عندهم نحواً من عشرين سنة فكان كل من دنا اليه يحترق فقال لهم رجل صالح مادام عندكم التابوت لم تفلحوا أبداً فأخرجوه من بينكم فقالوا له كيف العمل فى اخراجه وكل من دنا منه يحترق فعمدوا الى عجلة ووضعوا التابوت عليها ثم علقوا ذلك التابوت على ثورين وساقوهما من غير أحد معهما من الناس حتى أخرجوه من أرضهم فسار الثوران الى أرض بنى اسرائيل ووقفا هناك ومضى من كان معهما من العمالقة فلم يشعر بنو اسرائيل الا وتابوت السكينة عندهم فكبروا تكبيراً عظيماً. قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الملائكة أخذوا ذلك التابوت من على العجلة ورفعوه بين السماء والأرض والناس ينظرون اليه حتى وضعوه فى دار طالوت وهو قوله تعالى «تحمله الملائكة» فلما عاين بنو اسرائيل ذلك علموا أن الله تعالى قد اختار طالوت أن يكون ملكاً عليهم قال السدى ان تابوت السكينة مدفون فى بحيرة طبرية الى أن يخرج عيسى ابن مريم عليه السلام فيخرجه انتهى ذلك

﴿ ذكر قصة النهر وتابوت السكينة ﴾

قال قتادة لما أوحى الله تعالى الى نبيه شمعون المتقدم ذكره بأن يأمر طالوت بالمسير الى قتال جالوت ملك العمالقة وكان جالوت فى بيت المقدس فجمع طالوت الجنود من بنى اسرائيل فكان عدتهم نحواً من ثمانين ألف مقاتل فخرج طالوت بالجنود حتى قارب النهر وكان وقت القائلة فشكوا من شدة الحر وقلة الماء فقال لهم نبيهم «ان الله مبتليكم بنهر» قال ابن كثير النهر هو الشريعة ثم قال فمن شرب منه فليس منى أى ليس من أهل دينى ولا طاعتى ثم استثنى بقوله «الا من اغترف غرفة بيده» ملء كفه وقال البراء بن عازب ان أصحاب طالوت هم الذين جاوزوا معه النهر وكانوا نحو ثلثمائة انسان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوم وقعة بدر أنتم على عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر . قال السدى فلما جاوز أصحاب طالوت النهر شربوا منه وسقوا دوابهم ولم يغترفوا منه كما أمرهم الله تعالى فقوى عليهم العطش واسودت شفاههم فقال الذين شربوا من النهر وخالفوا أمر الله تعالى «لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده» وانصرفوا عن طالوت وتجنبوا عن أمر القتال فلم يبق مع طالوت الا القليل من الجنود وكان معه رجل يقال له ايشا وهو أبو داود نبى الله وكان له ثلاثة عشر ولداً وكان داود أصغرهم فقال يوماً لأبيه ايشا ياأبت انى لم أرم قط بقدحى شيئاً الا صرعته فى الحال فقال أبوه أبشر يابنى فان الله تعالى جعل رزقك فى قدحك ثم قال لأبيه مرة أخرى ياأبتاه انى دخلت بين الجبال فرأيت أسداً عظيماً فخضع لى حتى ركبته ثم قبضت بيدى على منكبيه فتركته هناك ميتاً فقال له أبوه أبشر ياولدى فان سعدك أقبل ثم قال

لأبيه مرة أخرى يا أبتاه إنى اذا سبحت فى الليل سمعت الجبال تسبح معى فقال له أبوه أبشر يا بنى فهذا دليل نبوتك فلما تلاقى طالوت مع جالوت أرسل جالوت يقول لطالوت ان أبرز لى من يقاتلنى فان قتلنى فله ملكى وان أنا قتلته فلى ملكه فشق ذلك على طالوت ونادى فى جنوده من برز الى جالوت وقتله أعطيته نصف ملكى وزوجته بابنتى فلم يجبه أحد من أجناده وكان فى صحبته شمعون النبى فقال له طالوت ياشمعون ادع الله تعالى أن يأتينا بمن يبرز لجالوت و يقتله فدعا شمعون الله تعالى أن يأتيه بمن يقتل جالوت فقال شمعون لايشا انى أريد أن تعرض على أولادك فلما عرضهم عليه وكانوا اثنى عشر ولدا وهم أمثال الاسود فقال له شمعون هل بقى منهم أحد فقال ايشا بقى لى ولد صغير يرعى الغنم واسمه داود وهو فى الوادى عند الغنم فمضى اليه شمعون فلما رآه قال هذا هو المطلوب ورأى فيه من العلامة مايدل على ما أوحى الله به اليه من أنه هو الذى يقتل جالوت فقال له شمعون ان الله قد أمرنى أن أبعثك الى جالوت و يكون قتله على يدك فقال داود السمع والطاعة ثم مضى مع شمعون فبينما هو يمشى فى أثناء الطريق اذ مر بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها أن يحمله وقال له انك تقتل جالوت بى فحملها فى مخلاته ثم لما وصل الى طالوت بعثه مع الجنود الى جالوت وأركبه فرسا أدهم وألبسه درعا من الحديد وقلده سيفا وسار بصحبته الجنود الى جالوت فوقف مقابله وكان جالوت أشد الناس بأسا وقوة وكان يهزم الجيوش الكثيرة وحده وكان له خوذة من فولاذ وزنها نحو ثلثمائة رطل بالمصرى وكان له فرس أبلق عظيم الخلقة فلما برز اليه داود وكان صغير السن ألقى الله تعالى الرعب فى قلب جالوت من داود فقال له جالوت ياهذا الصبى أنت مع صغر سنك تبارزنى فقال داود نعم أبارزك ثم أخرج من المخلاة الاحجار ووضعها فى المقلاع فقال له جالوت تبارزنى بالحجر كما يبارز الكلب فقال داود نعم لانك أشر من الكلب فقال جالوت لأقسمن لحمك بين الكلاب ثم قال بسم الله إله ابراهيم واسحق وموسى و يعقوب فلما وضع الاحجار فى المقلاع ورمى بها جالوت وصلت مثل النار الى دماغ جالوت ففلقته وما كان عليه من الحديد حتى خرجت من قفاه فقتل جالوت فحينئذ مالت جنود طالوت على جنود جالوت بالضرب ونصرهم الله تعالى عليهم وكسروهم باذن الله تعالى ثم انه نزع خاتم جالوت من يده وجاء به الى طالوت ووضعه بين يديه ففرح طالوت بذلك وفرح بنو اسرائيل بهذه النصرة ومضوا الى أرضهم وهم سالمون وكان جالوت يسكن بيت المقدس وهو من العمالقة الاقدمين وكان داود لما بارز جالوت كان عمره نحو عشرين سنة وكانت وقعة جالوت مع داود بالقرب من المرج الاصفر بأرض الشام انتهى على سبيل الاختصار

﴿ قصة وفاة طالوت وماجرى بينه و بين داود عليه السلام ﴾

قال السدى لما قتل جالوت ومضى أمره جاء داود الى طالوت وقال له أنجز لى وعدك من زواجى ابنتك فقال له طالوت أزوجك ولكن بصداق فقال داود أنت شرطت صداقها قتل جالوت ومعها نصف مملكتك فقال طالوت أصدقها نصيبك من الملك فقال له بنو اسرائيل أنجزه ماوعدته به فلما رأى طالوت ميل بنى اسرائيل اليه فقال ياداود انى معطيك ماتريد ولكن بقى لنا أعداء من المشركين فانطلق اليهم وقاتلهم فاذا قتلت منهم مائة انسان أزوجك ابنتى من غير صداق فمضى اليهم داود وتقاتل معهم فصار كلما قتل منهم رجلا نظم قلفته بخيط فأكمل من قلفهم نحو مائتى قلفة فأتى بها الى طالوت وألقاها بين يديه فقال له هذا ماشرطت فقال بنو اسرائيل أنجز له شرطه وماوعدته به فلما رأى طالوت قوة داود وميل الناس اليه خشى من سطوته فأراد قتل داود وكان من عادة الملوك يتوكؤون على عصا فى طرفها زج من حديد فرأى داود جالسا فى بيت فرماه طالوت بتلك العصا فخلا داود عنها فلم تصبه فأصابت الحائط فدخلت فيه فقال له داود عمدت الى قتلى فقال طالوت لا ولكن اختبرت ثباتك للطعان فعند ذلك قام داود وأخذ العصا وهزها نحو طالوت فقال طالوت بالحرمة التى بينى و بينك أن تكف عنى فقال له داود ان الله كتب فى التوراة ان جزاء السيئة بمثلها والبادى أظلم فقال طالوت أفلا تقول قول هابيل لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ماأنا بباسط يدى اليك لأقتلك فقال داود انى عفوت عنك ثم ان طالوت زوجه بنته ومازال يفكر كيف يقتل داود فعزم على أن يصنع لداود وليمة فى داره و يغافله و يقتله فكانت ابنة طالوت علمت بما يحتال أبوها به على قتل داود فأرسلت الى داود وأعلمته بأن أباها عزم على قتله فأخذ داود حذره منه ثم ان طالوت صنع الوليمة ولم يبق شئ من أمر الوليمة فأرسل الى داود ليحضر فلما حضر داود بين يدى طالوت قام له وأكرمه وكان داود بشاشا لطيفا عارفا بصنوف الالحان (قال) الثعلبى ان داود كان قبل بلوغ النبوة يوقع بالعود لطالوت لما تغلظ عليه الاخلاط الرديئة فكان داود يعطى لكل خلط نغمة لمعرفته بذلك فلما أقبل الليل وانتهى أمر الوليمة وانصرفت الناس نحو أربعة آلاف انسان قال طالوت لداود اصعد على السرير ونم عليه وانصرف طالوت الى نسائه فعمد داود الى زق خمر ووضعه على السرير مكانه وغطاه بأكسية النوم وذهب داود واختبأ فى مكان لينظر مايصنع طالوت فلما انتصف الليل دخل طالوت خفية يتسلل الى أن جاء الى السرير وظن أن داود عليه فرفع سيفه وضربه ضربة محكمة فقطع الكساء والزق وسال الخمر فقال طالوت ماأكثر ما كان يشرب داود من الخمر فلما أصبح طالوت وعلم أنه لم

يقتل داود أكثر من الحراس والحجاب وصار يحتجب عن الناس خوفا من داود ثم ان داود دخل على طالوت ليلا وقد أعمى الله بصر الحراس فلما دخل داود وجد طالوت ملقى على سريره وهو نائم فوضع داود سهما من سهامه عند رأس طالوت وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن يساره ثم خرج داود وتركه فلما استيقظ طالوت من منامه رأى السهام حوله فعرف أن ذلك من فعل داود ورأى عفوه بعد الظفر فقال داود أحلم مني ثم ان طالوت خرج يوما الى الفضاء وحده واذا بداود قابله من غير ميعاد فأخذا يمشيان وكان طالوت فارسا وداود راجلا فخاف داود على نفسه فدخل غارا وتستر فيه فلما أدرك طالوت الغار أعماه الله عن المكان الذي اختفى فيه داود ورجع طالوت فقتل جماعة من المؤمنين من أصحاب داود وممن كانوا يحبونه ثم ندم طالوت على قتلهم وتاب وأراد أن يعلم هل قبلت توبته أم لا فجاء الى قبر شمعون ونادى يا نبي الله شمعون فأجابه من القبر باذن الله تعالى فقال طالوت اني فعلت كذا وكذا في المؤمنين فهل من توبة فقال شمعون ياطالوت سر أنت وأولادك وكانوا عشرة وقاتل في سبيل الله حتى تقتلوا فيتوب الله عليكم وتكونوا من الصالحين فأخذ طالوت في البكاء وتجهز هو وأولاده ومضى الى الجهاد وقاتل هو وأولاده فكان يرى مصارع أولاده واحدا بعد واحد حتى قتلوا كلهم ثم نزل هو للجهاد فقتل ثم أتى رجل الى داود وقال له ان طالوت قد قتل هو وأولاده فاستخلف على بني اسرائيل كما سيأتي الكلام عليه في موضعه ان شاء الله تعالى انتهى على سبيل الاختصار

﴿ذكر قصة داود عليه السلام﴾

قال الله تعالى ﴿ياداود انا جعلناك خليفة في الأرض﴾ الآية (قال وهب بن منبه) هو داود بن ايشا ابن عوفد من ذرية ابراهيم الخليل عليه السلام (قال ابن كثير) لما قتل طالوت استخلف بعده داود وقد جمع الله له بين الملك والنبوة وكان قد مضى لداود من العمر نحو أربعين سنة وقد قال الله تعالى ﴿وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ فلما تم أمره في الملك رحل الى بيت المقدس وكان عامة الفتوحات في أيامه ففتح الشام وأرض فلسطين ومدينة عمان وحلب ونصيبين وحماة وعنتاب والاردن وكانت هذه بأيدي الجبارين (قال السدي) ان الله تعالى خص داود عليه السلام بالفضائل والكرامات والنبوة وأنزل عليه الزبور وخصه بالصوت الحسن وكان يقرأ الزبور بسبعين نغمة من الانغام فكان اذا سمعه المحموم يعرق والعليل يشفى وكان اذا قرأ في الفضاء تجتمع اليه الانس والجن والوحوش والطير لسماع صوته وكان الريح يسكن عند صوته ويركد الماء الجاري أيضا عند صوته فحسده ابليس على ذلك فصنع آلات

الالحان والطرب مثل العود ونحوه فاشتغل الناس بذلك عن صوت داود عليه السلام قال أفلاطون من حزن فليسمع الالحان يزل حزنه فان الحزن خمود النفس واذا سمعت ما يطرب شعشعت وأثارت (قال الرواة) ان الفيل اذا اصطادوه يموت قهر المفارقة موطنه الا اذا أطربوه بالملاهي فانه يعيش ومن فضائل داود أنه كان اذا سبح يسبح الطير معه والوحوش والجبال والشجر والحجر وكان يفهم تسبيحهم قال ابن عباس رضى الله عنهما ومما خص الله تعالى به داود السلسلة التى كان يعرف بها الحق والباطل (قال السدى) كانت هذه السلسلة موصولة بالمجرة وكانت معلقة بمحراب داود يتحاكم الناس عندها وكانت من عجائب الدنيا لها قوة كقوة الحديد ولونها كلون النار مرصعة بالجواهر واليواقيت والزمرد فكان اذا حدث فى الدنيا حادث تصلصل فيعلم بذلك الحادث وكان لا يمسها ذو علة الا برئ لوقته واذا مسها مشرك ذهب منه غل الشرك وكان المنكر لحق صاحبه اذا مد يده اليها لا يصل اليها واذا كان صادقا مد يده اليها فيصل ويمسكها وكانت ترفع عند الباطل وتتدلى عند الحق واذا قصد أحد أخذ شئ منها ترتفع قال الثعلبى ان رجلا أودع جوهرة عند رجل آخر فلما جاء ليطلبها منه أنكرها فقال له صاحب الجوهرة نمضى أنا وأنت الى السلسلة وكان الذى استودع الجوهرة وضعها فى عكازه وكان لا يفارقه من يده قال فمضى الرجلان الى السلسلة فوصلا اليها فقال صاحب العكاز لصاحب الجوهرة خذ اليك هذا العكاز لاحلف لك فأخذه فتقدم وقال اللهم انك تعلم أن هذه الجوهرة قد أعطيتها لصاحبها هذا ومد يده الى السلسلة فتناولها ثم أخذ عكازه من صاحب الجوهرة فتعجب صاحب الجوهرة فلما أصبح الصباح وجدوا السلسلة قد ارتفعت وغيبها الله عن الناس الى الآن قال ابن عباس كان داود أشد ملوك الأرض سلطانا فكان يحرس محرابه فى كل ليلة ثلاثون ألف انسان من شجعان بنى اسرائيل * ومن معجزات داود عليه السلام أن الله تعالى ألان له الحديد حتى كان يفتله بيده مثل العجين فكان يصنع منه دروع الزرد وهو أول من اصطنع دروع الزرد وكانوا من قبله يستعملون دروع الصفائح فكان داود يصنع كل يوم اذا شاء درعا ويبيعه بستة آلاف درهم وينفق من ثمنه على عياله ويتصدق بالباقى ولا يدخر منه شيئا قال السدى كان داود يتنكر ويمشى فى الاسواق . ويسأل الناس عن سيرة نفسه حتى لقيه جبرائيل فسأله عن سيرة نفسه فقال له جبرائيل ان داود نعم العبد الا أنه يأكل من بيت المال فقال داود عند ذلك اللهم علمنى صنعة أنفق على نفسى منها فعلمه الله صنعة الزرود وألان له الحديد فكان يأكل من ذلك قال الله تعالى «وألنا له الحديد» وقال تعالى «وعلمناه صنعة لبوس لكم» الآية

﴿ ذكر وقوع داود فى الخطيئة ﴾

قال وهب بن منبه بينما داود يقرأ فى محرابه اذ دخل عليه طائر فى محرابه من الكوة وكان ذلك الطائر على صفة الحمامة ريشها من الذهب وجناحها مكلل بأنواع الجواهر الملونة ومنقارها من الزمرذ الاخضر ورجلاها من الياقوت الاحمر فلما رآها داود شغلته عن القراءة فتأملها فظن أنها من الجنة فمد يده اليها ففرت من بين يديه الى جانبه فقام اليها ففرت الى الكوة * وقيل كان سبب ذلك أن داود قال يارب ان جميع الأنبياء ابتليتهم لتعظم لهم الأجور فهلا ابتليتنى لتعظم أجرى فأوحى الله اليه ياداود استعد للبلاء فى يوم كذا وكذا فلما كان الميعاد أتى اليه ابليس اللعين فى صفة الطائر المذكور قال فتقدم داود الى الطائر ففر من الكوة الى بستان تحت قصر داود فنظر داود الى البستان لاجل الطائر واذا فى البستان امرأة جميلة ذات حسن فائق على أهل زمانها وهى تغتسل فلما نظر داود اليها خجلت وأسبلت شعرها فغطى سائر جسدها فوقع حبها فى قلبه وشغف بها وفى المعنى يقول القائل

نضت عنها القميص لصب ماء * فورد وجهها فرط الحياء
فقابلت الهواء وقد تردت * بمعتدل أرق من الهواء
ومدت معصما كالماء منها * الى ماء معد فى إناء
رأت عين الرقيب على تدان * فأسبلت الظلام على الضياء
وغاب الصبح منها تحت ليل * وظل الماء يقطر فوق ماء

قال فلما افتتن بها وسأل عن أمرها فقيل انها متزوجة برجل من الجند وهو مسافر وله ستة أشهر فى الغزو فعند ذلك كتب الى أمير الجيش يقول قدم أوريا بن حنا أمام الجيش وأعطه الراية بيده وكان أوريا زوج المرأة وكان المتقدم بالراية قليلا مايسلم فلما وصل الكتاب فعل أمير الجيش ما أمره داود فسلم الراية الى أوريا وتقدم فقتل فكتب أمير الجيش يخبره بموت أوريا فعند ذلك خطب داود امرأته فتزوج بها فحملت منه بولده سليمان عليهما السلام وكان اسم المرأة تشايع بنت صورى فأقام معها أياما وكان لداود اذ ذاك تسع وتسعون امرأة وقد كمل بأم سليمان المائة وهى تشايع فعند ذلك أرسل الله له ملكين بصفة رجلين فدخلا عليه من غير اذن ففزع منهما داود فقالا له «لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط» وهو قوله تعالى «وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب» الآية فقال داود قصا على قصتكما قال «ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب» قال له داود «لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه» فضحك المدعى عليه فقال

له داود تظلم ونضحك فارتفعا وهما يقولان قضى داود على نفسه فعلم داود أنه وقع فى الخطيئة فخر ساجدا أربعين ليلة وهو يبكى ولا يرفع رأسه حياء من الله تعالى حتى غرقت الأرض من دموعه وأكلت الأرض من جبهته فرفع رأسه وقام فلبس المسوح وافترش الرماد تحت وجهه وعاد الى ما كان عليه فانقطع عنه الوحى وكان يقول فى سجوده سبحان خالق النور رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه والاصار حديثا فى الخلق الى يوم القيامة ولم يزل ساجدا وهو يبكى ويتضرع الى الله تعالى حتى انشعب رأسه فجاء اليه جبرائيل وقال يا داود ان الله غفر خطيئتك فاذهب الى قبر أوريا بن حنا واسأله بأن يحالك فانطلق الى قبر أوريا وقال يا أوريا فقال من قبره لبيك يا داود فقال داود اجعلنى فى حل مما كان منى اليك فقال أوريا وما كان منك فقال عرضتك للقتل بسبب الزوجة فقال قد حاللتك من ذلك فأوحى الله اليه يا داود هلا قلت له عرضتك للقتل حتى قتلت فتزوجت بزوجتك من بعدك فعاد اليه وقال له داود يا أوريا فلباه من القبر ثانيا فقال داود يا أوريا عرضتك للقتل حتى تزوجت بزوجتك من بعدك فلما سمع أوريا بذلك سكت فناداه مرارا فلم يجبه أوريا فبكى داود وحثا التراب على رأسه فأوحى الله تعالى اليه يا داود اذا كان يوم القيامة أعطى أوريا الثواب الجزيل حتى أرضيه وأستوهبك منه فقال داود إلهى الآن طاب قلبى بمغفرتك وكرمك وذلك قوله تعالى « وان له عندنا لزلفى وحسن مآب » فكان داود لا يرفع رأسه الى السماء حياء من الله تعالى وكان لا يأكل خبز الشعير الا وهو ممزوج بدموع عينيه ويذر عليه الملح وكان لا يأكله حتى يضنيه الجوع ويقول هذا أكل الخاطئين قال عطاء الخراسانى ان داود عليه السلام نقش خطيئته فى كفه لئلا ينساها فكان كلما نظرها بكى * قال وهب بن منبه لما وقع داود فى الخطيئة اشتغل بالبكاء والندم عن النظر فى أحوال الرعية من بنى اسرائيل فعند ذلك اجتمعوا وجاءوا الى ابنه سليمان عليه السلام وقالوا له ان أباك كبر سنه واشتغل بخطيئته عن النظر فى أحوال الرعية والحق أن تكون أنت متوليا على بنى اسرائيل ودخلوا على داود وتكلموا معه فى ذلك ومازالوا به حتى خلع نفسه من الملك وولى ابنه سليمان ثم ان داود خرج من بنى اسرائيل ولحق بالجبل فاجتمع أعيان بنى اسرائيل وجاءوا الى سليمان وأشاروا عليه بقتل أبيه فلما بلغ داود أرسل يقول لابنه سليمان هل سمعت قط بابن قتل أباه قبلك ولكن ان جعل الله قتلى على يد بنى اسرائيل فلا تحضر أنت قتلى فانه يصير ذلك سنة من بعدك فلما بلغ سليمان ذلك لم يوافق بنى اسرائيل على قتل أبيه * قال السدى لما تاب الله على داود وأراد أن يرجع الى ملكه ركب وحارب ابنه سليمان حتى هزمه عن المدينة وقتل فى هذه الوقعة نحو العشرين ألفا من بنى اسرائيل وهرب سليمان

فلحقه قائد من قواد أبيه فلما ظفر بسليمان ترك المجاهدة والغزوات هكذا نقله ابن كثير

﴿ ذكر قصة داود وسليمان في الحرث ﴾

قال الله تعالى «وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث» الآية * قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الحرث زرعا وذلك أنه دخل على داود رجلان واحد صاحب زرع والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا الرجل انفلتت غنمه ليلا فوقعت في حرثي فأكلته ولم يبق منه شيء فقال داود عليه السلام لخصمه أعطه الغنم التي أكلت الزرع في نظير زرعه وكان ابنه سليمان حاضرا فلما سمع ذلك قال لأبيه انك لم تأت بشيء فيما قضيت به فقال له داود وكيف تقضي أنت بينهما فقال سليمان آمر صاحب الغنم بأن يدفع الغنم الى صاحب الزرع سنة كاملة فيكون له نسلها ولبنها وأصوافها فاذا كان العام القابل وصار الزرع كهيئته يوم أكل سلمت الزرع الى صاحبه والأغنام الى صاحبها فقال داود القضاء على ما قضيته أنت وحكم داود بما قاله ابنه سليمان ثم ان داود استخلف ابنه سليمان على بني اسرائيل وكان لسليمان يومئذ ثلاث عشرة سنة فشق ذلك على بني اسرائيل وقالوا كيف يستخلف علينا غلاما صغير السن وفينا من هو أعلم منه فلما بلغ داود ذلك جمع أعيان بني اسرائيل من أسباط أولاد يعقوب عليه السلام فلما اجتمعوا قال لهم كيف تقولون في أمر سليمان فليجيء كل منكم بعصا ويكتب اسمه عليها ويجيء سليمان بعصا ويكتب اسمه عليها ثم أدخلوا العصي كلها في بيت وأقفلوا بابه فمن أورقت عصاه فهو أحق بالخلافة فقالوا كلهم رضينا ذلك فأدخلوا عصيهم كلها ووضعوها في بيت وقفلوه كما أراد فلما أصبحوا وجدوا العصي كلها على حالها الا عصا سليمان فانها صارت مورقة فلما رأت بنو اسرائيل ذلك علموا أن سليمان هو الخليفة عليهم من أبيه داود واستمر على عبادة الله تعالى معتكفا حتى مات قال ابن كثير لما مات داود مشى في جنازته أربعون ألف راهب وعليهم البرانس السود ودفن في خارج بيت المقدس عند بيت لحم وقيل دفن في عنتاب وقبره مشهور يزار عليه السلام انتهى على سبيل الاختصار

﴿ ذكر قصة نبي الله سليمان عليه السلام ﴾

قال الله تعالى «وورث سليمان داود» قال الثعلبي كان لداود عليه السلام تسعة عشر ولدا وكان سليمان أصغر أولاده * قال السدي كان سليمان أفقه من أبيه وأقضى منه في الحكم ولكن كان داود أشد تعبدا قال السدي والثعلبي لم يملك الدنيا كلها سوى أربعة مؤمنين وكافرين فأما المؤمنان فهما سليمان بن داود وذو القرنين وأما الكافران فهما النمرود وبن كنعان وشداد بن عاد قال الله تعالى حكاية عن سليمان «قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي

لأحد من بعدى » فأجاب الله دعاءه وأعطاه * سؤال لطيف قال بعض العلماء كيف طلب سليمان ملكا لا ينبغى لأحد من بعده والأنبياء من شأنهم الزهد فى الدنيا * الجواب اعلم أن سليمان عليه السلام علم بذلك فقال أولا رب اغفر لى ثم طلب الملك بعد طلب المغفرة فقال وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى * قال السدى سبب طلب سليمان الدنيا أن جبرائيل عليه السلام جاء الى سليمان وقال ان الله تعالى يأمرك أن تمضى الى مكان كذا وكذا فان هناك امرأة أرملة ولها عند الله منزلة فامض اليها وارفع عنها حوائج الدنيا وجميع ما تحتاج اليه من أكل وكسوة وغير ذلك فقال سليمان لجبرائيل ان الله تعالى يعلم أنى عبد فقير لا أملك من الدنيا شيئا وكان سليمان يصنع القفف بيده و يبيعها و يأكل من ثمنها هو وعياله ولا يقرب بيت مال المسلمين فأوحى الله الى سليمان أن اطلب منى ما تريد فلما رأى الاذن من الله فى الطلب طلب وما قصر فطلب المغفرة والملك فاستجاب الله دعاءه وأعطاه الدنيا من مشرقها الى مغربها * قال وهب بن منبه ان سليمان لم يطلب الدنيا لنفسه وانما طلب أن يكون أمورها اليه حتى يعدل بين الناس و ينصف المظلوم من الظالم و يجود على الفقراء والمساكين فان الدنيا مع العبد الصالح فى يده لا فى قلبه فان كان بالعكس فلهوى النفس وقول سليمان لا ينبغى لأحد من بعدى لأن الله ألهمه العدل فى الرعية فعلم أن غيره لا يقدر على مثل عمله وكان سليمان متواضعا يجالس الفقراء والمساكين و يأكل معهم و يحدثهم كأنه منهم وكان لا يشبع بطنه من خبز الشعير ولا يلبس الا الصوف مع سعة ملكه ولا ينفق الا من عمل يديه * قال وهب بن منبه ان الله تعالى سخر لسليمان الانس والجن والوحوش والطيور والريح فكانت الريح تحمل بساطه الى مسيرة شهر فى غدوة من النهار وهو قوله تعالى « غدوها شهر ورواحها شهر » * قال السدى كان طول بساط سليمان فرسخا وعرضه فرسخا وهو مركب على أخشاب * قال مقاتل ان الجان نسجت له البساط من حرير ملون وهو مرقوم بالذهب وكان يحمل عليه جنوده ودوابه وخيوله وسائر الانس والجن والوحش والطير وكان جيش سليمان ألف ألف انسان و يتبعهم ألف ألف من الجان وغيرهم وكان هذا البساط يسير بين السماء والأرض مثل السحاب ودونه الى الأرض فان أراد أن يسيره بسرعة أمر الريح العاصف بحمل ذلك البساط فيسير كالبرق الى حيث شاء وكان البساط اذا سار لم يحرك انسانا ولا دابة ولا شجرة واذا مر على الزرع فى الأرض لم يتحرك منه ورقة وكانت ريح الصبا واقفة بين يديه فاذا تكلم أحد من المشرق أو المغرب تحمل الريح ذلك وتلقيه فى أذن سليمان * قال الزمخشرى كان لسليمان كرسى من الذهب والفضة برسم الأمراء والأعيان وحول ذلك الكرسى

ثلاثة آلاف كرسي من الذهب والفضة * قال السدى كان لسليمان ألف قصر مبنية من قوارير وفيها ثلثمائة امرأة وألف سرية * قال كعب الأحبار كان جيش سليمان اذا نزل فى الفضاء بملأ مائة فرسخ فكان منها خمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان الطير يظله من حر الشمس وقت القائلة * قال الثعلبي كان مرتب مطبخ سليمان فى كل يوم مائة ألف شاة وأربعين ألف بقرة خارجا عن الفواكه والحلاوات وغير ذلك ومع هذا كله لم يرجع عن أكل خبز الشعير بالملح الجريش وكان الجن يغوصون له البحار ويستخرجون له منها الدر الكبار ويجعلونها بين يديه وذلك قوله تعالى « ومن الشياطين من يغوصون له » الآية * قال الثعلبي ان سليمان كان اذا جلس فى موكبه تقف الغلمان الحسان على رأسه بأطباق من الذهب وهي مملوأة من المسك السحيق وفيها صحاف من الياقوت الأحمر وفيها شيء من ماء الورد وفوقها طيور صغار مثل العصافير ترفرف بأجنحتها وتنزل فى ماء الورد وتتمرغ فى ذلك المسك وتطير وتنتفض على الكبير والصغير من جيشه * قال السدى لم يقع لأحد من ملوك الأرض مثل ماوقع لسليمان وذلك أن الريح مركبه والبحار خزائنه والجن خدمه والملائكة حفظته والطير من الشمس تظله والوحش تحرسه وآصف بن برخيا وزيره والاسم الأعظم مكتوب على خاتمه * وقيل ان سليمان تأمل ذلك وأعجب بنفسه فمال البساط من تحته فى قوة سيره فهلك من جيشه نحو اثنى عشر ألف انسان فى ساعة واحدة فلما رأى سليمان ذلك ضرب البساط بقضيب كان فى يده وقال اعتدل أيها البساط فأجابه البساط من تحته وقال له اعتدل أنت ياسليمان حتى أعتدل أنا فعلم أن البساط مأمور فخر سليمان ساجدا لله * قال وهب بن منبه فلما اتسعت الدنيا عليه نسى الأرملة التى تقدم ذكرها فلما تذكرها اضطرب وتوجه اليها وهو ماش على قدميه فوقف على بابها فأذنت له بالدخول فدخل فوجد المرأة عمياء وحولها ثلاث بنات فقالت ياسليمان يوصيك الله بى وتغفل عنى هذه المدة الطويلة فاعتذر لها سليمان من ذلك وقال لها منذ كم وأنت عزبة فقالت له منذ عشر سنين ومعى ثلاث بنات ولم يكن لى مايكفيهم من القوت فلما سمع سليمان ذلك حمل اليها مائة رحل ما بين قماش ومال وغير ذلك وقال لها متى فرغ من عندك شيء فأرسلى أعلميني حتى أرسل اليك عوضه فان الله أمرنى أن أكفيك هم الدنيا وأمر المعيشة * قال أبو عمران الجونى بينما سليمان سائر على بساطه بين السماء والأرض اذ مر برجل راع فلما رأى الراعى البساط وسليمان وجنوده مركوبا عليه قال لقد آتاك الله يا ابن داود ملكا عظيما لم ينله أحد

قبلك فالقت الريح كلام الراعى الى سليمان فاحضر سليمان الراعى وقال له ان تسبيحة من مؤمن أفضل مما أوتى سليمان من هـذا الملك كله * ومن النـكت الغريبة مانقله الشيخ عبدالرحمن بن سلام المقرى فى كتاب العقائق ان سليمان لما رأى أن الله تعالى أوسع له الدنيا وصارت بيده قال إلهى لو أذنت لى أن أطعم جميع المخلوقات سنة كاملة فأوحى الله اليه انك لن تقدر على ذلك فقال إلهى أسبوعا فقال الله تعالى لن تقدر فقال إلهى يوما واحدا فقال تعالى لن تقدر فقال إلهى مقصودى ولو يوما واحدا فأذن الله تعالى له فى ذلك فأمر سليمان الجن والانس بأن يأتوا بجميع مافى الأرض من أبقار وأغنام ومن جميع مايؤكل من أجناس الحيوانات من طير وغير ذلك فلما جمعوا ذلك اصطنعوا له القدور الراسيات ثم ذبح ذلك وطبخه وأمر الريح أن تهب على الطعام لئلا يفسد ثم مد ذلك الطعام فى البرية فكان طول ذلك السماط مسيرة شهرين وعرضه مثل ذلك ثم أوحى الله اليه ياسليمان بمن تبتدئ من المخلوقات فقال سليمان أبتدئ بدواب البحر فأمر الله حوتا من البحر المحيط أن يأكل من ضيافة سليمان فرفع ذلك الحوت رأسه وقال ياسليمان سمعت أنك فتحت بابا للضيافة وقد جعلت عليك ضيافتى فى هذا اليوم فقال سليمان دونك والطعام فتقدم ذلك الحوت وأكل من أول السماط فلم يزل يأكل حتى أتى على آخره فى لحظه ثم نادى أطعمنى ياسليمان وأشبعنى فقال له سليمان أكلت الجيع وماشبعت فقال الحوت أهكذا يكون جواب أصحاب الضيافة للضيف اعلم ياسليمان أن لى فى كل يوم مثل ماصنعت ثلاث مرات وأنت كنت السبب فى منع راتبى فى هذا اليوم وقد قصرت فى حقى فعند ذلك خر سليمان ساجدا لله تعالى وقال سبحان المتكفل بأرزاق الخلائق من حيث لايعلمون وقد قيل فى المعنى

رزقى يأتى وخالقى يكفله * فلا أقصد غيره ولا أسئله
ان كنت أظن أنه من بشر * لاقدره الله ولا يسره

ومن النـكت اللطيفة ماذكره ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء أن الهدهد قال يوما لسليمان أريد أن تكون فى ضيافتى يوم كذا وكذا فقال له سليمان أنا وحدى قال لا بل أنت وجنودك فلما جاء يوم الميعاد توجه سليمان هو وجنوده الى ضيافة الهدهد ونزل بجزيرة الهدهد فطار الهدهد الى الجو وغاب ساعة ثم أتى وفى فمه جرادة فخنقها ورمى بها فى البحر وقال له يانبى الله تقدم وكل أنت وجنودك ومن فاته اللحم فعليه بالمرقة فضحك عليه سليمان فصار كلما تذكر تلك الضيافة سليمان يضحك. ومن النـكت فى مثل ذلك القبرة أضافت سليمان وأتته ببعض جرادة فقيل فى معناها

أتت سليمان يوم العرض قبرة * تهدى اليه جرادا كان فى فيها

وأنشدت بلسان الحال قائلة * ان الهدايا على مقدار مهديها
لوكان يهدى الى الانسان قيمته * لكان قيمتك الدنيا وما فيها

﴿ ذكر قصة تزويج سليمان ببلقيس ﴾

قال وهب بن منبه بينما سليمان عليه الصلاة والسلام جالس على سرير مملكته اذ وقع عليه ضوء الشمس وكان الطير يظله من حرارة الشمس فكان ذلك المكان الذى وقع منه البعض من نور الشمس مكان الهدهد لأنه تفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد ودعا بالعقاب وكان عريف الطير فقال له أين الهدهد فارتفع العقاب ونظر يمينا ويسارا فلم يره فعاد وقال انه غائب وفى المعنى أنشد بعضهم

ومن عادة السادات أن يتفقدوا * أصاغرهم والمكرمات عوائد
سليمان ذو ملك تفقد طائرا * وكانت أقل الطائرات الهداهد

فعند ذلك قال سليمان قاصدا الهدهد «لأعذبنه عذابا شديدا» الآية قال بعض العلماء فى المعنى عذابه الشديد ماهو فقيل بأن ينتف ريشه ويسلمه الى النمل فى القيلولة أو يضعه مع غير جنسه أو يذبحه فلما أقبل الهدهد تلقاه العقاب وأخبره بما قاله سليمان فلما وصل اليه وقف بين يديه وخفض جناح الذل فلما رأى سليمان ذلك منه رق له ولم يعجل عليه وسأله عن سبب غيابه فقال الهدهد أحطت بما لم تحط به علما فقال سليمان وما هذه الدعوى العريضة قال انى وجدت امرأة بأرض اليمن لم يكن فى قصرك مثلها ولم تقع العيون على أحسن منها واسمها بلقيس ولها عرش عظيم أى أكبر من عرشك وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله تعالى قال الطبرى ان اسم بلقيس بلقمة وهى بنت هداد بن شرحبيل فلما بلغ سليمان سيرة بلقيس وأنها تسجد للشمس من دون الله أخذ سليمان يدعوها للاسلام فقال للهدهد «سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون» وكان مضمون كتاب سليمان «انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا على وائتونى مسلمين» فأخذ الهدهد كتاب سليمان ومضى به الى أرض سبأ وهو قوله «وجئتك من سبأ» أى من نواحى اليمن فسار الهدهد والطيور حوله وألبسه سليمان التاج على رأسه فحمل الكتاب فى منقاره وصار يدعى من بومئذ رسول سليمان فلما وصل الى قصر بلقيس وكان وقت القائلة وجدها على سريرها نائمة وكان فى قصرها ثلاثمائة وستون كوة تشرق الشمس كل يوم من كوة فلا تعود اليها الا فى سنة أخرى فى مثل ذلك اليوم وكان لذلك القصر سبعة أبواب فلما أتى الهدهد بالكتاب دخل به من الكوة التى تقابل وجه بلقيس وألقى الكتاب على صدرها ثم رجع الى تلك الكوة التى دخل منها لينظر ماذا تصنع فلما انتبهت من

منامها وجدت الكتاب على صدرها فلما قرأته قبلته ووضعته على رأسها قال السدى لما ألقى الهدهد الكتاب على صدر بلقيس طار الشرك من قلبها ومالت الى الاسلام ثم انها أمرت باحضار قومها و « قالت يا أيها الملأ إنى ألقى الى كتاب كريم » قيل كرامته ختمه فأعلمتهم بما فى الكتاب فلما سمعوا ذلك « قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين » وكانت بلقيس تحكم على اثنى عشر قبيلة من قبائل اليمن فلما قال قومها نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد « قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون » وكانت بلقيس من ذوى العقول قد دبرت ملك اليمن وساست الرعية أحسن سياسة قال قتادة ان بلقيس أرسلت الى سليمان هدية حافلة أرسلت خمسمائة لبنة من الذهب ومثلها من الفضة وزن كل لبنة مائة رطل وخمسة أسياف من الصواعق وتاجين من الذهب فيهما من الجواهر النفيسة واليواقيت والزبرجد وأرسلت اليه حقة فيها درة مثمنة وخرزة من الجزع وهى معوجة الثقب وأرسلت خمسمائة جارية وخمسمائة غلام مردا وألبست الغلمان لبس الجوارى والجوارى لبس الغلمان ثم أمرت الغلمان أن يتكلموا بكلام لين والجوارى يتكلمن بكلام غليظ وأرسلت مع تلك الهدية رجلا من عقلاء قومها يقال له المنذر بن عمرو وكتبت له كتابا بشرح الهدية وقالت ان كنت نبيا فميز لنا بين الجوارى والغلمان وأخبر بما فى الحقة قبل أن تفتحها واثقب الخرزة ثقبا مستويا من غير علاج إنس ولا جان وانظم الخرزة كذلك ثم قالت للرسول انظر اليه فان كان نظره اليك بغير غضب فهو نبي والا فهو ملك فلا يهولنك أمره وافهم قوله ورد على الجواب كما تسمعه منه فلما توجه الى سليمان سبقه الهدهد وأخبر سليمان بالهدية وبما قالته بلقيس جميعه فلما سمع سليمان بذلك رضى على الهدهد وصارت له فضيلة على سائر الطيور وصار يرى الماء تحت الأرض فكان دليل سليمان على الماء فى سفره وصار من الطيور المباركة * ثم ان سليمان أمر الجن أن يعملوا لبنا من ذهب وفضة ويفرشوها على طريق جماعة بلقيس فلما فرشوها كانت مقدار سبعة فراسخ ثم أمرهم أن يجعلوا بين اللبنات موضعا خاليا على قدر اللبنات التى مع رسول بلقيس قدرا وعددا وجلس سليمان على كرسيه فأمر الجن أن يأتوه بأحسن دواب البر والبحر فيجعلوها عن يمين الديوان وعن شماله وجعل من حوله الانس والجن والطيور عاكفة فوق رأسه والوحوش حول ذلك كله فلما وصل رسول بلقيس ومر على تلك اللبنات الذهب والفضة ورأى المحل الخالى بين اللبنات خاف أن يتهم فوضع الخمسمائة لبنة فى ذلك المحل الخالى الذى جعله سليمان قصدا ومازال بعد ذلك سائرا حتى دخل الرسول على

سليمان فنظر اليه نظرة البشاشة وقال له أين الحقة التى معك فأتاه بها فقال قبل أن يفتحها سليمان للرسول ان فيها درة مثمنة من غير ثقب وفيها خرزة من جزع وهى معوجة الثقب فقال الرسول صدقت يا نبى الله ثم ان سليمان أمر الأرضة وهى دويبة صغيرة فأخذت شعرة فى فمها ودخلت فى تلك الخرزة وخرجت من الجانب الآخر وأمر دودة بيضاء أن تثقب تلك الدرة فثقبتها ثقبا مستويا ثم نظمهما وأعطاهما للرسول ثم أمر الجوارى والغلمان بأن يغسلوا وجوههم بين يديه بأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها الواحدة ثم تجعله فى الأخرى فتضرب به وجهها والغلام يأخذ الماء من الاناء دفعة واحدة و يضعه على وجهه * قال الثعلبى كانت الجارية تصب الماء على باطن كفها والغلام يصب الماء على ظاهر كفه فعند ذلك ميز بين الجوارى والغلمان ثم رد جميع الهدية الى الرسول فلما رجع الرسول الى بلقيس أخبرها بجميع ما رأى وما سمع و بما شاهد من عظيم ملكه فقالت بلقيس هو نبى وليس لنا بحربه طاقة ثم انها أرسلت تقول لسليمان انى قادمة اليك أنا وقومى لأنظر ماذا تدعوننا اليه من دينك وعزمت على التوجه اليه وجعلت عرشها فى قصرها وأغلقت عليه الأبواب وجعلت عليه حراسا وأوصتهم بحفظه ثم انها توجهت الى سليمان فى اثنى عشر ألفا من قومها فلما نزلت على مقدار فرسخين من مدينة سليمان بلغه ذلك فأراد أخذ عرش بلقيس قبل أن تصل اليه ليريها قدرة الله تعالى وما أعطاه من المعجزات فجمع أهل المعارف من قومه وقال «أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين» أى قبل أن يؤمنوا بالله فيحرم علينا أخذ أموالهم ثم انه أحضر الجن وقال لهم ذلك وكان فيهم عفريت من الجن يقال له صخر الجنى قال له أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك هذا أى من مجلسك الذى تقضى فيه بين الناس وهو من أول النهار الى نصفه وهو وقت الزوال وقال العفريت وانى عليه لقوى أمين أى أمين على الجواهر التى هو مرصع بها فقال سليمان أريد أسرع من ذلك فقال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك قال مقاتل هو جبرائيل عليه السلام وقال السدى هو أبو العباس الخضر عليه السلام وقال مجاهد هو آصف بن برخيا وكان يحفظ الاسم الأعظم فقال انظر يا نبى الله الى جهة اليمين فنظر فارجع نظره الا والعرش قد ظهر قدام كرسى سليمان وكان مجيئه مسيرة شهرين فلما رآه مستقرا عنده فى أيسر مدة قال هذا من فضل ربى فلما وصلت بلقيس ودخلت على سليمان قال «أهكذا عرشك قالت كأنه هو» فعلم سليمان أنها امرأة عاقلة حيث لم تثبت أنه هو ولم تنفه لاشتباهه عليها فشبهت عليه كما شبه هو عليها ثم قال لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة أى ماء وكشفت عن ساقيها فرأى سليمان على ساقيها

شعرا مثل شعر المعز فصرف وجهه عنها وقال انه صرح ممرد من قوارير رأى زجاج مستو روليس ماء ثم انه دعا بلقيس الى الاسلام فأسلمت على يده فأراد سليمان أن يتزوج بها ولكن كره منها ذلك الشعر فشكا ذلك الى بعض الجن فصنع لها النورة فزال ذلك الشعر من بدنها جميعه فهى أول من استعمل النورة ثم ان سليمان تزوج بها وأحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها باليمن وأمر الجن أن يبنوا لها ثلاثة قصور فى بلاد اليمن أحسن من قصورها وكان سليمان يزورها فى الشهر مرة وأقامت معه الى أن ماتت بعده بمدة يسيرة وكان لسليمان من الزوجات نحو ثلاثمائة ومن السرارى نحو سبعمائة فقام فى ذهنه يوما أن يطوف على نسائه كلهن فتحمل كل واحدة بغلام فيجاهدون كلهم فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فى تلك الليلة فلم تحمل منهن امرأة سوى واحدة قد حملت بولد بنصف جسد (قال النبى ﷺ والذى نفسى بيده لو قال أخى سليمان ان شاء الله لجاءت له فرسان يجاهدون فى سبيل الله كما طلب. قال العزيزى بينما سليمان سائر فى بعض الغزوات اذ مر بوادى النمل فرأى نملة قدر الذئب العظيم وهى عرجاء ولها جناحان فدنا منها سليمان فسمعها تقول لبقية النمل «ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها» ثم قال ائتونى بها فقال لها أيتها النملة لم حذرت النمل منى ومن جنودى أما علمت أنى نبى لا أظلم فعفا عنها ولم يدخل الوادى الذى فيه النمل قال بينما سليمان جالس فى وقت القائلة واذا بخيل أسرع من الهواء وردت الماء وشربت منه ثم أدبرت مسرعة كالريح فجمع سليمان الجن وقال أريد أن تحضروا الى هذه الخيل فقال بعضهم لا طاقة لنا بها ، وقال بعض الجن تتحايل فى قبضها فوضعوا خمرا فى ذلك المكان بعد أن صرفوا الماء فلما جاءت الخيل لتشرب نفرت من رائحة الخمر ثم جاءت ثانيا فشمت رائحة الخمر فما زالت تأتى وتنفر حتى ضرها العطش فشربت من ذلك الخمر فسكرت فأتتها الجن ومسكوها ووضعوا اللجم فى أفواهها وركبوها فلما أفاقت من السكر أرادت أن تنفر فلم تقدر أن تنفر من اللجم فعرضوها على سليمان فاشتغل بها ففاتته صلاة العصر فلما رأى أن العصر قد فاته بكى وجعل يستغفر الله فرجعت الشمس له حتى صلى العصر حاضرا فلما فرغ من صلاته قال ردوها على وطفق يقطع رؤسها وسوقها أى قوائمها لأنها كانت سبب المعصية وفى شريعته يلزم زوال ذلك السبب الذى حصلت به المعصية فقتل نحو سبعمائة فرس وهرب البعض وبقى البعض وقد استمرت تلك الخيول تتناسل من ذلك اليوم فكان من نسلها الخيول الجياد السوابق الى الآن المعروفات بالأصايل

﴿ ذكر قصة خاتم سليمان بن داود عليهما السلام ﴾

قال وهب بن منبه كان سليمان لا يزال الخاتم معه فى أصبعه دائما لا يفارقه ليلا ولا نهارا وكان اذا دخل الخلاء نزعه من أصبعه ووكل به أحدا ممن يثق به وكان على ذلك الخاتم مكتوب الاسم الأعظم ففى مرة دخل الخلاء وكان قد نزعه وأعطاه لجارية فجاء بعض الشياطين الى تلك الجارية على صورة سليمان ولم تشك فيه الجارية فأخذ الخاتم منها ووضعه فى أصبعه وخرج الى الديوان وجلس على الكرسى فجاءت الجنود من الانس والجن والطيور ووقفت بين يديه على عادتها وهم يظنون أنه سليمان فلما خرج سليمان من الخلاء طلب الخاتم من الجارية فنظرت اليه فرأت هيئته تغيرت فقالت له ومن أنت فقال لها أنا سليمان بن داود فقالت له سليمان أخذ خاتمه وذهب وجلس على كرسيه فعلم سليمان أن شيطانا احتال عليها فأخذ منها الخاتم ففر سليمان الى البرارى والقفار وقد زاد به الجوع والعطش فكان بعض الأحيان يسأل الناس ليطعموه ويقول أنا سليمان بن داود ولم يصدقه الناس فأقام على هذه الحالة أربعين يوما جائعا بأثواب خلقة مكشوف الرأس ثم انه أتى الى ساحل البحر فرأى جماعة من الصيادين فاصطحب بهم وعمل صيادا معهم ثم ان آصف بن برخيا قال يا معشر بنى اسرائيل ان خاتم سليمان قد احتالت الشياطين عليه فسرقوه وان سليمان خرج هاربا على وجهه فلما سمع الشيطان الذى على الكرسى ذلك الكلام خرج هاربا الى البحر وألقى فيه الخاتم فالتقمه حوت من حيتان البحر ثم ان سليمان اصطاد ذلك الحوت بأمر الله تعالى فشق بطنه واذا هو بالخاتم فوضعه فى أصبعه وسجد لله شكرا ثم انه قام من وقته ورجع الى كرسيه وجلس عليه وذلك قوله تعالى « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا » الآية (قال وهب بن منبه) وكان سبب أخذ الخاتم وعوده اليه أن سليمان خرج فى بعض الغزوات فظفر بملك من ملوك اليونان فقتله واحتوى على ملكه وأمواله وأسر أولاده وكان فى أولاده جارية حسناء لم تر العيون أحسن منها فأحبها سليمان حبا شديدا فكان لا يصبر عنها ساعة وكان يؤثرها بالمحبة على سائر نسائه فدخل عليها يوما فرآها مهمومة فقال لها ما بالك قالت قد تذكرت أبى وما كان عليه من الملك وأريد منك أن تأمر بعض الشياطين بأن يصور لى صورة أبى وهيئته حتى يذهب عنى الحزن كلما نظرت اليها فأمر سليمان عفريتا من الجن يقال له صخر المارد بأن يصور لها هيئة أبيها فصنع لها صخر صنما كهيئة أبيها يكاد أن ينطق فزينته وألبسته التاج والحلل وصارت اذا خرج سليمان الى جنوده تسجد لذلك الصنم هى وجميع من عندها من الجوارى فدامت تلك الجارية على ذلك أربعين يوما وسليمان لا يعلم بالسجود لذلك الصنم فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان

صديقا لسليمان فجلس على كرسي سليمان وجعل يعظ الناس فأثنى على من مضى من الأنبياء عليهم السلام جميعهم الا سليمان فلم يذكره بشيء فتغير سليمان بسبب ذلك فلما فرغ آصف من المجلس وقام وتفرقت بنو اسرائيل قال سليمان لآصف لم لم تذكرني مع جملة من ذكرت فقال آصف وكيف أذكرك وقد عبد في دارك صنم من منذ أربعين يوما لأجل امرأة * ثم ان سليمان أمر بكسر ذلك الصنم وعاقب تلك الجارية ودخل الى معبده وصار يبكي ويتضرع الى الله تعالى فابتلاه بذهاب الخاتم ونزع الملك منه مقدار ما عبد الصنم في داره (قال أبو بكر الحافظ) كان قد وقع قحط في بني اسرائيل زمن سليمان عليه السلام فخرجوا يستسقون فمر سليمان بنملة ملقاة على قفاها رافعة يديها نحو السماء وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك ضعاف لا قوة لنا فلا تهلكنا ولا تؤاخذنا بذنوب غيرنا فلما سمعها سليمان قال ارجعوا فقد سقيتم بدعاء غيركم

﴿ ذكر وفاة سليمان عليه السلام ﴾

قال العزيزي ان ملك الموت أتى الى سليمان وكان صديقا له كثيرا ما يزوره فقال له سليمان متى موتي فقال له عزرائيل عليه السلام وقت موتك اذا نبت من موضع سجودك شجرة الخروب فاذا رأيتها فهو وقت وفاتك وكان سليمان اذا صلى ببيت المقدس ينبت في مكان سجوده شجرة فيسأل الشجرة عن اسمها فتقول اسمي كذا ومن منافعي كذا ومن مضاري كذا فيكتب ذلك ويأمر بغرسها في بستان فبينما هو يصلي ذات يوم اذ رأى شجرة نبتت بين يديه فقال لها ما اسمك فقالت له اسمي الخروب وقد جئتك بالاشارة لموتك وخراب هذا المسجد يعني بيت المقدس فلما سمع سليمان كلامها أمر بغرسها في حائط البستان وكتب منافعها ومضارها ثم لبس أكفانه ودخل الى محرابه واتكأ على عصاه وقال اللهم اكتم موتي عن الجن حتى يعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب فأتاه ملك الموت وقبض روحه وهو متكئ على عصاه ولم يزل كذلك سنة كاملة ولم يشعر أحد من الانس والجن بموته وقد سلط الله تعالى الأرضة على العصا فأكلتها شيئا فشيئا فخر ملقى على الأرض لما سقطت به العصا فعلموا أنه قد مات من سنة مضت وهو قوله تعالى «ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر» تبين للانس أن الجن «لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين» من بناء بيت المقدس وغيره * قال وهب بن منبه لما تولى الملك سليمان من أبيه داود كان عمره يومئذ ثلاثا وعشرين سنة وتوفي سليمان وله من العمر مائة وثمانون سنة واختلفوا في مكان قبره فقيل دفن في طبرية وقيل ببيت لحم وقيل عند أبيه داود ببيت المقدس في المسجد وقبره هناك مشهور يزار والله أعلم انتهى على سبيل الاختصار

﴿ ذكر خبر بلوقيا وبناء بيت المقدس ﴾

قيل ان بلوقيا الاسرائيلي طاف في الارض فمر بالبحر الثاني فرأى جبلا فيه كهف فدخل في ذلك الكهف فرأى سريرا من الذهب وعليه رجل ملقى على قفاه ويده على صدره والأخرى على بطنه وهو كالنائم وفي أصبعه خاتم عليه أربعة أسطر ورأى عند رأسه تنينين عظيمين فأراد بلوقيا أن يأخذ الخاتم من أصبعه فقام اليه التنينان وصعدت من أفواههما النار وسمع قائلا يقول ويلك يا بلوقيا أتجسر على نبي الله سليمان وتنزع خاتمه من أصبعه فخرج بلوقيا مرعوبا (قال الثعلبي) أوحى الله الى داود عليه السلام أن يتخذ في بيت المقدس مسجدا فشرع في بنائه ومات قبل أن يستكمله فلما توفي داود أوصى ابنه أن يتمه فجمع سليمان الانس والجن وقسم عليهما الأعمال في البناء والسقوف والرخام ثم انه جعل فيه اثني عشر رباطا وأنزل كل سبط في رباط وأمر الجن أن يأتوه بمعادن الذهب والفضة والرخام الملون ومعادن الحديد والنحاس والخشب وغير ذلك ثم جعل في وسط المسجد قبة وجعل فيها عمودا أحمر من الذهب يتلألأ كالشمس فتستضيء به المسافرون في الليل وجعل تحت القبة اصطبلا للدواب ووضع فيه المعالف لخيوله وهي باقية الى الآن تزار وجعل طول ذلك المسجد سبعمائة ذراع بذراع العمل وجعل عرضه أربعمائة وخمسين ذراعا ثم سقفه بخشب الساج وصفحه بالذهب والفضة ووضع فيه الجواهر واليواقيت من سائر المعادن وجعل فوق ذلك السقف ألواحا من الرصاص لأجل حفظه من الأمطار وفرش أرض المسجد بالرخام الملون فلم يكن يومئذ أحسن منه بناء فلما فرغ من بنائه صنع لجنوده وليمة حافلة * قال السدي وكان بهذا المسجد من العجائب لوح من الرخام الأبيض اذا نظر فيه انسان وكان ولد زنا اسود وجهه فيفتضح بين الناس وكان به عصا من الآبنوس اذا مسها أحد وكان من أولاد الأنبياء لم تضره واذا مسها أحد وكان من نسل غير الأنبياء احترقت يده وكان كلب من الخشب اذا مر به من كان عنده شيء من علم السحر نبح عليه فيعلم الناس أنه ساحر ويسلب منه علم السحر وكان في المسجد باب اذا دخل منه ظالم ضاق عليه ذلك الباب حتى يتوب وكان بهذا المسجد السلسلة المتقدم ذكرها وكان به عجائب كثيرة لا يسمع بمثلها * قال العزيزي أقام سليمان في بناء هذا المسجد أربعين سنة وكان فيه من البنائين سبعون ألف بناء ومن الحجارين ثمانون ألفا وكان له في كل ليلة ألف رطل دمشقي من الزيت برسم القناديل * قال كعب الأحبار كان يجيء لهذا المسجد من البلاد كل سنة ستمائة قنطار من الذهب والفضة لاسيما من بلاد الروم (وروي) في بعض الأخبار أن صخرة بيت المقدس يخرج من تحتها ماء عذب من سائر البحار العذبة ثم تتفرق في الأرض وفيه

دفن كثير من الانبياء ولم يزل هذا المسجد عامرا حتى ظهر بختنصر وخرب البلاد فخربه في جملة ما خربه . قال الثوري لما خرب بختنصر المسجد حمل منه ألف عجل من الذهب والفضة والجواهر انتهى

﴿ ذكر بختنصر البابلي ﴾

وقيل اسمه بخت فارسي وذكر ما وقع له مع أرمياء عليه السلام . قال وهب بن منبه كان أرمياء من سبط أولاد يعقوب عليه السلام (قال) السدي أرمياء استخلف على بني اسرائيل فأوحى الله اليه ان هلاك بني اسرائيل على يد رجل يقال له بختنصر وهو من ملوك بابل وكان بختنصر المذكور من ولد يافث بن نوح عليه السلام وكان قد عمر دهرا طويلا قيل انه عاش ألفا وخمسمائة سنة فلما سمع أرمياء ما أوحى الله تعالى اليه بكى وصاح وأتى الى ملك بني اسرائيل وكان رجلا مؤمنا صالحا فأخبره بما أوحى الله اليه فلما سمع ذلك جمع أعيان بني اسرائيل وأخبرهم بما أوحى الله تعالى الى أرمياء وحذرهم من نزول هذه النقمة بهم وكان يحذرهم من أمور فمكثوا بعد ذلك ثلاث سنين وهم لا يزدادون الا طغيانا وفسقا ومعاصي فلما حلت بهم نقمة الله خرج بختنصر عليهم وأتى من نحو بابل وكان صحبته ستمائة ألف أمير من أمرائه وافقون بالرايات عند الجند والعشائر فلما زحفوا على البلاد ووصلوا الى بيت المقدس قال أرمياء اللهم ان كان بنو اسرائيل على طاعتك فابقهم وان كانوا عاصين فاهلكهم بشيء من قدرتك فحين دعا أرسل الله صاعقة من السماء على بيت المقدس فأهلكت من بني اسرائيل جانبا عظيما وأحرقت مكان القربان ثم دخل بختنصر الى بيت المقدس بمن معه من الجنود فهدم مسجد سليمان بن داود وأمر رجاله أن يرموا فيه ترابا فملأوه بالتراب ثم بالجيف وذبحوا فيه الخنازير وأحرقوا التوراة التي كانت به ثم شرعوا في القبض على بني اسرائيل من كبير وصغير وصاروا يقتلونهم واستمر بختنصر ينهب ويقتل ويخرب في البلاد والجوامع ويقتل الناس من الفرات الى العريش وهو على ما ذكرناه من القتل والنهب والخراب ولم يرحم كبيرا لكبره ولا صغيرا لصغره (قال) الثعلبي ولم يبق من بني اسرائيل رجل الا وقتله وأما الاطفال ففرقها على جنوده فأصاب كل رجل أربعة أولاد (قال) وكان في هذه الأطفال جماعة من الاسباط من أولاد يعقوب ويوسف عليهما السلام وكان فيهم جماعة من أهل بيت داود وكان فيهم دانيال عليه السلام وكان يومئذ صغيرا لم يبلغ الحلم وهو قوله «فجاسوا خلال الديار» ثم ان بختنصر جعل الأسارى على ثلاث فرق فالشيوخ والعجائز والزمنى تركهم وجعل النساء الشابات في الأسواق للبيع والشراء وفرق الاطفال وقتل الشبان والشجعان وحمل الأموال

والتحف ورحل ورجع الى الشام ثم توجه الى مصر ففتك فى القبط بالسيف وخرب ما كان بها من العمارات العجيبة والطلسمات وأخذ الأموال والتحف ورحل عنها وتركها خرابا بلقعا و بقيت مصر خرابا مدة أربعين سنة لا ساكن بها فكان النيل ينفرش على الارض ويذهب ولا يزرع أحد عليه ثم ان بختنصر توجه الى بلاد الغرب وفعل كذلك ثم توجه الى بلاد السودان وفعل كذلك وهو أول من أحدث الكمين من العساكر فى الحرب فكان بختنصر نقمة فى الارض وجعله الله كالطاعون فى الارض وقد ورد فى الاخبار عن الله عزوجل أنه قال من عصانى ممن يعرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى ثم رجع بعد ذلك بختنصر الى بابل قال الله تعالى «وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة» الآية فمن يومئذ تفرقت بنو اسرائيل فى البلاد خوفا من بختنصر فنزلت طائفة بيثرب وطائفة بابلة وغير ذلك من الأماكن واستمر بيت المقدس خرابا مدة سبعين سنة حتى عمره شخص من ملوك الفرس يقال له كيرش (قال) فمن يومئذ فقدت التوراة ونسى أمرها وصار بنو اسرائيل لا يعرفون منها حرفا واحدا حتى ردها الله تعالى على لسان العزير عليه الصلاة والسلام (قال) السدى ان بختنصر خرب بهذه الحركة نصف الدنيا انتهى ما أوردناه على سبيل الاختصار

﴿ ذكر قصة العزير عليه السلام ﴾

قال الله تعالى «أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه» أى لم يتغير (قال) قتادة طعامه من التين الأخضر (قال) الطبرى كان طعامه من العنب الأسود وقد أتى عليهما مائة عام ولم يتغير قال الله تعالى «وانظر الى حمارك» وكان حماره قد أماته الله بعد ما أحيا الله أولا رأس العزير فصار ينظر الى العظام وكيف يكسوها الله لحما وأحيا له الحمار «فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير» (قال) السدى جاء بعد بختنصر ملك من الجبابرة يقال له بردادس وكان بمدينة اذربيجان وكان على دين المجوس فأباح للناس نكاح الأمهات والاخوات وعبادة النيران ولم يزل هذا الحال معمولا به عند الفرس الى زمن كسرى أنوشروان فأبطله فى أيامه انتهى

﴿ ذكر قصة دانيال عليه السلام ﴾

قال الثعلبى لما أسر بختنصر الأطفال كما تقدم وأسر من جملتهم دانيال وأخذه معه الى أرض بابل فسجن دانيال وسجن معه جماعة من الاسباط ثم ان بختنصر رأى فى منامه رؤيا أفزعته فسأل الكهان عنها فلم يجيبوه بشىء فجاء السجان وقال لبختنصر ان عندنا فى السجن شابا يدعى أنه يفسر ما رأيت فقال ائتونى به فلما حضر بين

يديه لم يسجد له فقال لأى شئ لم تسجد لى فقال دانيال لا ينبغى السجود لغير الله فتعجب منه وقص عليه ما قد رآه قال دانيال هذا أمر سهل وكانت الرؤيا أنه رأى صنما رأسه من نحاس وبدنه من حديد وساقه من فخار ورأى حجرا نزل من السماء على ذلك الصنم فكسره ثم انتشر ذلك الحجر حتى ملأ المشرق والمغرب ورأى شجرة أصلها فى الأرض وفروعها فى السماء ورأى عليها رجلا و بيده فأس يقطع بها فروع تلك الشجرة ثم ترك أصلها قائما على حاله فلما سمع دانيال ذلك فسره له على أحسن وجه ثم ان بختنصر أكرم دانيال وقربه وصار لا يتصرف فى شئ الا برأيه فلما رأى المجوس ذلك نهوا بختنصر عنه وحرسوه منه فأمر بقتله فحفر له أخدودا فى الأرض وألقاه فيها وألقى معه سبعين ضاريين فلما بات تلك الليلة وأصبح وجده بختنصر لم تضره السباع فقربه الملك بختنصر فحسده المجوس واتهموه فقالوا لبختنصر ان دانيال يقول انك تبول فى الفرش كما تمت وكان ذلك عارا عند الملوك فأمر بختنصر بوليمة وأحضر دانيال اليها فلما جاء الليل أمر بختنصر دانيال أن ينام عنده تلك الليلة على فراشه وقال بختنصر للبوابين اذا خرج عليكم من يريد أن يبول فاقطعوا رأسه ولو كنت أنا فلما نام دانيال هو و بختنصر على فرش واحد حبس البول عن دانيال وانطلق على بختنصر فكان هو أول من قام يريد الخلاء فمضى وهو يسحب أذياله ولا يستطيع أن يرفع قامته من البول فرآه الحجاب فقاموا اليه بالسيوف فقال أنا بختنصر فقالوا كذبت انه أمرنا أن نقتل من خرج يريد البول فقتلوه بما اختاره وأهلكه الله لدانيال وأنجى الله دانيال ﴿ ذكر ﴾ بعض المؤرخين أن بختنصر مسخه الله وأقام نحو خاسبع سنين على صورة ثور فكان ذلك تأويل رؤياه فلما مات تولى بعده ابنه بلسطاس فأقام بعد أبيه أربعين سنة ثم ان دانيال توجه الى جهة الاسكندرية وأقام بها الى أن مات ودفن هناك وقبره مشهور يزار عليه السلام وهو أول من فرق بين الشهود عند الشهادة ● قال العزيزى لما فتحت مدينة الاسكندرية فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه على يد عمرو بن العاص ودخلها المسلمون رأوا مخبأة مقفولة باقفال من الحديد ففتحوها فوجدوا فيها حوضا من الرخام الأخضر مغطى برخامة خضراء فكشفوها فاذا فيها رجل عليه أكفان منسوجة بالذهب عظيم الخلقة فقاسوا انفه فزاد على شبر بن فارسلوا ليعلموا عمر بن الخطاب فاحضر عليا رضى الله عنهما وأخبره بذلك فقال على رضى الله عنه هذا نبى الله دانيال فارسل عمر رضى الله عنه بان يجددوا له أكفانا فوق ما عليه من الاكفان وأن يحصن قبره حتى لا يقدر أحد على حفره فحفروا له قبرا فى مدينة الاسكندرية

﴿ ذكر قصة لقمان الحكيم عليه السلام ﴾

قال وهب بن منبه كان لقمان عبدا صالحا ولم يكن نبيا وقال عكرمة كان نبيا من أنبياء بني اسرائيل وكان أصله عبدا حبشيا وقيل نوبيا وكان اسمه لقمان بن سرون وكان لرجل قصار من بني اسرائيل من أهل مدينة أيلة فاشتراه بثلاثين دينارا فأقام عنده مدة ثم أعتقه وكان ينطق بالحكمة وكان مقيما بمدينة الرملة قريبا من بيت المقدس فكان بنو اسرائيل يأتون اليه ليسمعوا منه الحكمة والموعظة فلما اشتهر بالحكمة جاء اليه رجل من عظماء بني اسرائيل فقال يا لقمان ألم تكن عندنا بالأمس عبد الفلان قال نعم فقال من أين لك هذه الحكمة قال بصدق الكلام و بترك ما لا يعني وكان نبي الله داود عليه السلام يأتي اليه ليسمع منه الحكمة ولم يزل لقمان بمدينة الرملة حتى مات بها ودفن بين المسجد الذي بها و بين السوق قال السدي دفن حول قبر لقمان سبعون نبيا ماتوا كلهم في يوم واحد بالجوع والعطش وكان قد حاصرهم ملك من بني اسرائيل حتى ماتوا وقد ذكر الله لقمان في القرآن العظيم حيث قال «ولقد آتينا لقمان الحكمة» الآية (قال) وهب بن منبه كان من الأنبياء ثلاثة سود الألوان لقمان وذو القرنين ونبي الله صاحب الأخدود

﴿ ذكر قصة صاحب الأخدود ﴾

قال وهب بن منبه كان ملك من ملوك الفرس جبارا عنيدا اسكر ذات ليلة فنكح أخته فلما أفاق من سكره جمع العلماء الذين في زمانه وقال لهم كيف الخلاص مما وقعت فيه فلم يجيزوا له ذلك فقالت أخت الملك ان من الرأي أن تخرج الى أهل مملكتك وتخبرهم بان الله قد أحل نكاح الأخوات ففعل فانكر عليه نبي ذلك الزمان الذي بعثه الله اليهم فلما بلغ الملك انكار النبي عليه أحضره بين يديه وقال له أخبر الناس بان الله قد أحل نكاح الأخوات فامتنع من ذلك وقال ان هذا لا يجوز ولا يحل ولا نكذب على الله فأمر الملك بان يقتل فحفر له أخدودا في الأرض وجعل فيها نارا موقدة وقذفه في تلك النار وقذف معه اثني عشر ألف انسان من العلماء من بني اسرائيل ممن خالف أمره انتهى

﴿ ذكر قصة بلوقيا ﴾

قال الثعلبي كان في زمن بني اسرائيل رجل يقال له ايشا وكان من علماء بني اسرائيل وكان يقرأ في الكتب القديمة فمر فيها على نعت محمد النبي ﷺ فجمع ذلك كله في صحيفة وخبأها عنده في صندوق وقفل عليها قفلا وخبأ مفتاحه في مكان غني عنه وكان له ولد صغير يقال له بلوقيا فلما مات أبو بلوقيا أوصى ابنه بان يقضي في بني اسرائيل من بعده فلما كان في بعض الاوقات اذ رأى بلوقيا الصندوق فوجده مقفولا فسأل أمه فقالت لا أدري ما فيه ولا أعلم

ابن مفتاحه ثم ان بلوقيا كسر القفل وفتح الصندوق فرأى الصحيفة المكتوب فيها نعت رسول الله ﷺ وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين وأن الجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها هو وأمته فلما قرأ الصحيفة أخرجها لعلماء بني اسرائيل فلما سمعوا بنعت محمد ﷺ قالوا لبلوقيا كيف كان أبوك يعلم ذلك ولم تخبرنا فوالله لولاك لأحرقنا قبره لأجل أنه كتم علينا خبر سيد المرسلين ﷺ ثم ان بلوقيا ودع أمه وقال يا أماه انى قد وجدت أنه سيبعث نبي آخر الزمان وانى مسافر ولا أرجع حتى أقف على أخباره فقالت أمه بلغك الله مناك وسار من مصر فى طلب محمد ﷺ وطاف البلاد من المشرق الى المغرب حتى وصل الى البحر السابع ورأى العجائب الكثيرة التى لم يرها غيره من الناس فمن جملة ما رأى فى جزائر البحر جزيرة فيها حيات كأمثال البخاتى الكبار وهن يقلن لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال لهم بلوقيا السلام عليكم فقالت له الحيات ما سمعنا قط بمثل هذا فقال هذه سنة آدم فقالوا ممن أنت فقال من بنى اسرائيل فقالوا لا نعرف آدم ولا بنى اسرائيل فقال لهم بلوقيا وكيف عرفتم محمدا فقالوا نحن منذ خلقنا الله تعالى على هذه الصفة أمرنا بذلك ونحن من حيات جهنم فقال لهم بلوقيا وكيف أخبار جهنم فقالوا سوداء منتنة تتنفس فى كل سنة مرتين مرة فى الصيف فذلك الحر من نفسها ومرة فى الشتاء فذلك البرد من نفسها ثم ان بلوقيا دخل الى جزيرة أخرى فرأى فيها حيات أعظم مما رأى أولا كأمثال جذوع النخل ورأى بينهن حية صفراء ان مشت مشى حولها الحيات فلما رأين بلوقيا قلن له من أنت فقال أنا بلوقيا من بنى اسرائيل فقلن ما سمعنا بهذا الكلام من قبل وأنا موكلة بجميع الحيات التى فى الدنيا ولولاى لشردت على بنى اسرائيل وقتلتهم فى يوم واحد فمضى بلوقيا الى أن وصل الى البحر السابع فرأى من العجائب ما يطول شرحه فمن جملة ما رأى جزيرة فيها نخيل من ذهب اذا طلعت عليه الشمس يصير لها لمعان كالبرق فلا تستطيع الأبصار رؤيته من شدة بريقه وفى هذه الجزيرة أشجار عظيم حملها فمد يده الى حمل بعض الاشجار فنادته اليك عنى يا خاطىء فتأخر وجلس واذا هو بجماعة نزلوا من السماء و بأيديهم سيوف مسلولة فلما رأوا بلوقيا قالوا له كيف وصلت الى هذا المكان فقال لهم أنا من بنى اسرائيل واسمى بلوقيا ومن تكونون أنتم قالوا نحن قوم من الجن المؤمنين كنا فى السماء فأنزلنا الله الى الأرض وأمرنا أن نقاتل كفار الجن فى الأرض فنحن نقاتلهم فتركهم بلوقيا ومضى فاذا هو بملك عظيم الخلقة واقف ويده اليمنى فى المشرق والأخرى فى المغرب وهو يقول لا إله الا الله محمد رسول الله فتقدم اليه وسلم عليه فقال له من أنت قال بلوقيا أنا رجل من بنى اسرائيل خرجت فى طلب خاتم

النبيين فقال له بلوقيا ومن أنت قال أنا الملك الموكل بظلمة الليل وضوء النهار فقال له بلوقيا ماهذان السطران اللذان في جبينك قال مكتوب فيهما زيادة الليل والنهار وقصرهما فما أمسك الليل الا بقدر معلوم وتقدم بلوقيا واذا بملك عظيم الخلقة وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه فرد عليه السلام فسأله بلوقيا عما هو فيه فقال أنا ملك موكل بالريح وبالبحر فلا أخرج الريح الا باذن من الله وانى ماسكه بيمينى وماسك البحر بشمالى ولولا ذلك لهلك جميع من في الأرض فتركه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى جبل قاف واذا هو من ياقوتة خضراء وقد أحاط بالدنيا جميعها فمن شعاع ذلك ترى سماء الدنيا زرقاء وقد وكل الله تعالى بهذا الجبل ملكا فاذا أراد الله أن يزلزل جانبا من الأرض أمر ذلك الملك أن يحرك العرق الذى يتصل بذلك الجانب الى جبل قاف فتصير الزلزلة واذا أراد الله خسف قرية أذن الله لذلك الملك أن يقطع عرقها من الأرض فتخسف فقال بلوقيا لذلك الملك وماوراء هذا الجبل قال أربعون ألف مدينة غير مدائن الدنيا وهى من ذهب وفضة وليس يغشاها ليل ولا نهار وسكان تلك المدائن ملائكة يسبحون الله لا يفترون قال بلوقيا وماوراء تلك المدن قال سبعون ألف حجاب كل حجاب قدر الدنيا ولا يعلم ماوراء تلك الحجب الا الله تعالى فتركه ومضى حتى انتهى الى جبل فوجد فيه ملائكة على هيئة الغزلان فسلم عليهم فردوا عليه السلام فقال لهم من أنتم قالوا نحن ملائكة من ملائكة الله نعبد الله ههنا منذ خلقنا فسألهم عن جبل يقابلهم عظيم وهو يلمع كالشمس فقالوا هذا جبل الدنيا من ذهب وجميع معادن الذهب التى فى الأرض ممتدة منه ثم تركهم ومضى حتى انتهى الى بحر عظيم وفيه حوتان عظيمان فسلم عليهما فردا عليه السلام وقالا له من أنت ياخلق الله قال أنا بلوقيا من بنى اسرائيل جئت فى طلب محمد خاتم النبيين هل عندكم ماتطعمونى فأخرجوا له من غيب الله رغيفا فأكله فلم يجع بعد ذلك ثم انتهى الى جزيرة فرأى فيها طيرا عظيم الخلقة حسن الهيئة وفيه مايدهش العقول من حسن تركيبه وهو على شجرة وتحت الشجرة مائدة موضوعة وعليها سمكة مشوية فدنا من الطائر وسلم عليه وقال له من أنت قال أنا ملك من ملائكة الجنة أرسلنى الله بهذه المائدة الى آدم وحواء حين اجتمعا على جبل عرفات فأكلا منها ثم أمرنى الله أن أضعها هنا وأقف عندها الى يوم القيامة وأمرنى أن أطعم منها كل من جاء هنا فأكل منها بلوقيا ولم ينقص منها شئ وهى على حالها فسأله عن حالها فقال الطائر ان طعام الدنيا ينقص ويتغير بالمكث وأما طعام الجنة فلا ينقص ولا يتغير فقال له بلوقيا هل يأكل من هذه أحد فقال نعم ان الخضر أبا العباس يأتى أحيانا فيأكل ثم يذهب فلما سمع ذلك بلوقيا قام ليظفر بالخضر

ويجتمع معه ويسأله فبينما هو ذات يوم جالس وإذا بالخضر عليه السلام قد أقبل عليه ثياب بيض فقام إليه بلوقيا وسلم عليه فرد عليه السلام فقال بلوقيا يا أبا العباس خرجت في طلب نبي آخر الزمان حتى انتهيت إلى هذا المكان فكنت لقدومك لتخبرني فقال له يا بلوقيا إن نبي آخر الزمان لم يظهر في هذا الأوان ولم تدركه الآن يا بلوقيا أتدري كم بينك وبين أمك قال لا أعلم قال مسيرة خمسين عاما أتحب أن أضعك عند أمك فقلت نعم قال غمض عينيك فغمضتهما فلم أشعر إلا وأمي بجانبي ففتحت عيني وسلمت على أمي وقلت لها من جاء بي إليك يا أمي فقالت رأيت طائرا أبيض قد وضعك وذهب سريعا فقص على أمه قصته وخرج إلى بني إسرائيل وسلم عليهم وسلموا عليه وسألوه عن حاله في غيبته فأخبرهم فجعلوا يكتبون عنه جميع ما رأى من العجائب مدة أربعين سنة فلم يحصوا ما عنده مما رأى قيل إنه عاش نحوا من ألف سنة والله أعلم

﴿ ذكر قصة اسكندر ذي القرنين ﴾

قال الله تعالى « ويسألونك عن ذي القرنين » الآية قيل هو من أولاد الضحاك وكان أصله من حمير وكان أسمر اللون وكانت أمه من بنات الروم وقيل إنه اسكندر بن دارب ملك اصطخر وبابل والمدائن بالمشرق وقد كفله جده أبو أمه واسمه فيلسوف وكان ملك الروم وقال علي رضي الله عنه وعكرمة كان اسكندر ذو القرنين من ولد يونان بن يافث بن نوح عليه السلام قال بعضهم كان طول أنفه ثلاثة أشبار وقس على ذلك عظم رأسه وجثته ويقال إنه هو الذي بنى المنارة بالاسكندرية وقيل عاش نحو ألف سنة وزيادة واختلف في نبوته فقال وهب بن منبه كان عبدا صالحا وقال عكرمة كان نبيا مرسلا إلى أهل بابل وكان قبل ظهور عيسى بن مريم عليه السلام بثلاثمائة سنة وقال الحسن البصري كان ملكا وغزا النمر وذبن كنعان وكان مسلما على ملة ابراهيم الخليل عليه السلام وكان في زمن ابراهيم حاكما وهو الذي قضى لابراهيم في وادي السبع لما رحل عن قومه ومرت هذه القصة عند قصة ابراهيم الخليل وكان اسكندر إذا مر بمكان ابراهيم نزل عن فرسه حتى يفوت ويركب وهو الذي ملك البلاد وقهر العتاة من العباد وفتح المدائن والحصون والقلاع من المشرق والمغرب قال الامام علي رضي الله عنه كان الاسكندر يسير والله مساعده فتطوى له الأرض ويسهل الله له الأمور ببركة صلاحه وحسن سيرته (وقيل في سبب تسميته ذا القرنين) قال الامام علي لما غزا ودعا إلى عبادة الله ضرب به قومه على جانب رأسه فأثرت تلك الضربة فغاب عنهم ثم جاءهم فضربوه على الجانب الآخر فأثرت فسمي ذا القرنين * قال ابن عباس لما سار إلى مغرب الشمس وإلى مشرقها سمي ذا القرنين وقيل إنه رأى في منامه أنه ماسك بقرون الشمس فسماه قومه ذا القرنين لما قص رؤياه عليهم وقيل إنه

ملك الروم وفارس فسماه قومه ذا القرنين وقيل كان له ذوابتان من الشعر فى رأسه فسمى بذى القرنين وقيل انه كريم الجدين فسمى بذى القرنين وقيل كان فى رأسه عظمان ناتئان مثل قرنى الكبش و يلبس عليهما عمامة فيسترهما وهو أول من لف العمامة وأول من صافح بكفه وقيل انه سلك مكان الظلمة والنور فهذه عشرة أقوال فى ذلك * قال وهب بن منبه ان اسكندر كان يخفى القرنين عن الناس ولم يظهرهما على أحد الا انه ذهب يوما الى الحمام فنزع عمامته عن رأسه فرآهما كاتبه فقال لكاتبه ان ظهر أمرى يكن منك فكان الكاتب يأخذه الهيمان ليظهر الكتمان فلم يستطع الاظهار غير أنه يخرج الى الفضاء و ينادى و يقول اسكندر له قرنان فيذهب حال الكتم و يأتى وكان هناك قصبتان تسمعان صوته فلما كبرت القصبتان أنطقهما الله فقالتا الاسكندر له قرنان فشاع ذلك فقال عند ذلك اسكندر هذا أمر أراد الله اظهاره * قال وهب بن منبه أوحى الله الى ذى القرنين فى منامه انى باعثك فى الأرض الى سبع أمم مختلفة الألسن والصفات أمتان يقال لهما هاويل وهى فى قطر الأرض الأيمن وتاويل وهى فى قطر الأرض الأيسر وأمتان أمة فى طول الأرض عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والأخرى عند مشرق الشمس يقال لها منسك وثلاث أمم فى وسط الأرض يقال لهم يأجوج ومأجوج قال ذو القرنين يارب وهل أقدر على محاربة هذه الامم العظيمة فأوحى الله اليه انى ألبسك الهيبة وأسخر لك النور والظلمة حتى أجعلهما لك جندا (قال الحسن البصرى) كان ذو القرنين اذا ركب ركب معه فى خدمته من الجيوش ألف ألف وأربعمائة ألف انسان وكان الخضر عليه السلام وزيره ومدبر ملكه فسار ذو القرنين بهذه الجيوش العظيمة حتى بلغ مغرب الشمس وهو قوله تعالى «حتى اذا بلغ مغرب الشمس» الآية قال السهيلى هم قوم ناسك وكانوا من نسل قوم ثمود فلما نزل عليهم وأحاط بهم من كل جانب بمن معه من الجيوش استدعاهم اليه وأوقفهم بين يديه ودعاهم الى توحيد الله فنهم من آمن ومنهم من بقى على كفره فسلط الله على الذين داموا على كفرهم ظلمة شديدة بغبار عاصف ودخلت تلك الظلمة والغبار فى أفواههم وآذانهم فأيقنوا بالهلاك فأجابوا الى توحيد الله فتركهم ومضى الى أهل هاويل ففعل بهم مثل ما فعل بالاولى فآمنوا ثم سار حتى أتى الى القطر الأيمن فدخل على أهل منسك وهم عند مشرق الشمس ففعل بهم كما فعل بالاولى ثم تركهم ومضى الى قطر الارض الأيسر فدخل على أهل تاويل وفعل بهم كما فعل بالاولى وقد قال الله تعالى «حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا» * قال السدى هم أهل منسك الذين هم عند مطلع الشمس * قال الامام السهيلى لما بلغ ذو القرنين مطلع الشمس

رأى هناك مدينة عظيمة يقال لها جابلقا ورأى لها عشرة آلاف باب بين كل باب و باب فرسخ
و وجد أهل تلك المدينة بشيعى المنظر عراة الأجساد وليس لهم من دون الشمس ستر فاذا
دخلت الشمس عليهم دخلوا فى أسربة تحت الأرض من حر الشمس ليس لهم طعام الا ما
تحرقه الشمس بحرها اذا طلعت فاذا مشت الشمس الى وسط الفلك طلعوا من الاسربة الى
معاشهم فيتغذون مما أحرقته الشمس من طير و وحش وغير ذلك * قال مجاهد ان هؤلاء
القوم سود الألوان عراة الأجساد حفاة الأقدام وهم من جنس الزنج الأعلى وهم أمم لا يحصون
قال السدى ان الشمس تشرق من عين ماء هناك فاذا طلعت على تلك العين تصير كهيئة الزيت
فى اللون من حر الشمس فتنفر من تلك العين الأسماك على وجه الأرض فيخرج القوم من
الأسربة فيلتقطونها و يأكلونها * قال السدى لما بلغ الاسكندر مغرب الشمس رأى هناك
العين الحمئة التى ذكرها الله تعالى فى القرآن واذا غربت الشمس فى تلك العين يسمع لها
دكدكة مثل الرعد القاصف وتفور تلك العين وتغلى كغليان القدر فيفيض ماؤها على
الأرض مسيرة ثلاثة أيام فلا يمر ماؤها على طير أو وحش الا و يموت فتأ كله أهل تلك
المدينة * قال الثعلبى مر ذو القرنين على وادى النمل فرأى كل نملة كالجمل البختى فنفرت
منها خيول الأجناد فجاء حتى مر بقوم آخرين فشكوا اليه وقالوا له يا ذا القرنين ان بين
هذين الجبلين أقواما من خلق الله لا نعرف أهم من الانس أم من الجن يقال لهم يأجوج وماجوج
مفسدون فى الارض يفترسون الدواب والوحوش و يأكلونها وهو قوله تعالى « ثم أتبع سببا
حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا » الآية قال بعض
المفسرين ان افساد يأجوج ومأجوج اللواط بمن يظفرون به كبيرا وصغيرا فقال لهم
ذو القرنين ما مكنى فيه ربى خير أى الذى أعطانيه ربى من المال خير فأعينونى بقوة أجعل
بينكم و بينهم ردما آتونى زبر الحديد * قال السدى وجد الاسكندر معدن الحديد فاتخذ منه
لبنات من الحديد و بنى بها السد * قال الثعلبى ان ذا القرنين لما بنى السد قاس ما بين
الجبلين ثم بنى ردما بلبن الحديد وجعل ارتفاعه من الأرض نحو ستمائة ذراع وجعل عرضه
ثلاثمائة ذراع فكان يضع اللبنتين من الحديد و يذوب النحاس و يجعله بينهما * قال الثعلبى
كان مقدار ما بين الجبلين مائة فرسخ فحفر أساس ذلك الردم حتى نبع الماء منه ثم ردمه بالحديد
حتى ارتفع بناء السد وساوى ذلك الجبلين فصار قطعة واحدة من حديد قال الله تعالى « فما
اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا » فعند ذلك قال ذو القرنين هذا رحمة من ربى
الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما ان رجلا جاء الى النبى ﷺ وقال يارسول الله

انى رأيت سد يأجوج ومأجوج فقال رسول الله ﷺ صفه لى فقال له الرجل انه ردم
أسود وعليه صفائح من نحاس أحمر قال رسول الله ﷺ هو هو * قال الثعلبى بين بناء
السد والهجرة النبوية ألف وخمسمائة وثلاثون سنة وفى بعض الأخبار أن هذا السد يفتح
فى آخر الزمان عند اقتراب الساعة ويخرج منه يأجوج ومأجوج فيسيرون فى الأرض
و يشربون نهر سيحون وجيحون و بركة طبرية فى يوم واحد ويأكلون الأشجار
والنباتات جميعها فى يوم واحد فاذا كثر منهم الفساد فى الأرض وحصل منهم الضرر العام أرسل
الله عليهم ريحا أسود مثل الريح الذى أرسله الله على قوم عاد فيدخل فى أفواههم و يخرج من
أبدانهم فيموتون أجمعون فى ساعة واحدة فتجيف منهم الأرض لكثرتهم فيرسل الله تعالى
اليهم طيورا سودا لها أعناق كالبخاتى فيلتقطونهم من الأرض و يلقونهم فى البحر * ومن
الحكايات الغريبة ماحكاه أبو الحسين بن النادى البغدادى قال بلغنى أن أمير المؤمنين
الواثق بالله هارون بن المعتصم رأى فى منامه شخصا فقال له ان السد الذى بناه ذو القرنين قد
انفتح وخرج منه يأجوج ومأجوج فانتبه من النوم مرعوبا فأحضر سلاما الترجمان وأمره
أن يسافر الى مكان السد الذى بناه الاسكندر ويكشف عن أخباره ثم ان الواثق دفع اليه خمسة
آلاف دينار وقال له هذه ديتك أدفعها الى أولادك ثم عين معه خمسين فارسا ثم كتب معه مراسيم
الى من يمر عليه من النواب فى البلاد ثم ان سلاما الترجمان خرج من بغداد وسار معه الفرسان
المذكورة الى أن وصل الى ارمينية فكتب له صاحب أرمينية الى ملك اللان ثم كتب له
صاحب اللان الى ملك الخزر فلما وصل الى ملك الخزر أرسل معه جماعة من جنوده يدلونه
على الطريق فلما سار من عنده مشى خمسة وعشرين يوما ودخل الى أرض سوداء وخمة فسار
فيها عشرة أيام فرأى بها مدائن خربة فسأل عن خراب تلك المدائن فقالوا هذه المدائن التى
كان يفسدها يأجوج ومأجوج حتى خربت وهى الى الآن خراب ثم سار من تلك المدائن
الخراب حتى أشرف على مدينة فيها قوم يتكلمون بالعربية والفارسية و يقرؤن القرآن
وعندهم المساجد والجوامع و يصلون الجمعة والجماعة فقال لهم صاحبهم من أين أقبلتم قال لهم
سلام الترجمان نحن رسل أمير المؤمنين الواثق بالله هارون فلما سمعوا تعجبوا من قوله أمير
المؤمنين وهم يقولون ما سمعنا قط بهذا اللفظ الا فى هذا اليوم منكم فتركهم ومضى حتى
أشرف على جبل أملس وقدامه جبل منقطع و بينهما واد عرضه مائة وخمسون ذراعا * قال
السدى ان يأجوج ومأجوج ليس لهم مخرج الا من بين هذين الجبلين ومن ورائهم البحر
المحيط ولولا ذلك ما كان يفيد السد شيئا ثم ان سلاما رأى عضادتين مما يلى هذا الجبل من جانبى

الوادى عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا وكل ذلك مبنى بلبن الحديد ورأى دراوندا من حديد طرفه على تلك العضادتين مائة وعشرون ذراعا وفوق ذلك الدراوند بناء السد الى رأس ذلك الجبل الأملس وارتفاعه مقدار مد البصر اليه وفوق ذلك البناء شرفات من الحديد فى كل شرفة قرنان ينثنى كل واحد منهما على صاحبه وفى وسط ذلك البناء باب له درفتان عرض كل درفة منهما خمسون ذراعا فى مثلها ارتفاعها وعلى ذلك الباب قفل طوله سبعة أذرع فى غلظ ذراع ونصف وله مفتاح معلق طوله ذراع ونصف وله اثناعشر سنا فى كل سن قدر يد الهون وهو معلق فى سلسلة طولها ثمانية أذرع فى استدارة أربعة أشبار ولذلك الباب عتبة عرضها عشرة أذرع وطولها مائة ذراع وقد جعل لذلك السد حارس يركب كل يوم ومعه جماعة من قومه نحو عشرين فارسا وبأيديهم المرزبات من الحديد فيضربون على ذلك القفل ثلاث ضربات ثم يصغون بآذانهم الى ماوراء الباب فيسمعون دويا كدوى النحل فيعلم يأجوج ومأجوج أن هناك حرسة وحفظة خلف الباب قال سلام الترجمان ورأيت بالقرب من السد عين ماء تجرى وحول تلك العين آلة البناء وهى قدور من حديد ومغارف وبقية من لبن الحديد طول كل لبنة ذراع ونصف فى سمك شبرين وقد مرت عليها الدهور وصدئت والتصق بعضها على بعض قال سلام فسألت أهل تلك الحصون هل رأيتم أحدا من يأجوج ومأجوج فقالوا نعم رأيناهم مرارا عديدة فوق شرفات السدور بما يقع منهم أحد على الارض من الريح الشديد فكتب سلام ذلك جميعه مما رأى وسمع من السد وأخبار يأجوج ومأجوج فصار المكتوب درجا وعزم على الرجوع الى بغداد فسار فى برارى وقفار حتى خرج الى أرض سمرقند الى بغداد فكان مدة غيبته ثمانية وعشرين شهرا فلما دخل الى بغداد صار يحدث الناس بعجائب ما رأى وماسمع انتهى أورد ذلك ابن الجوزى فى كتابه تنوير الغبس

﴿ ذكر أخبار يأجوج ومأجوج ﴾

قال الحسن البصرى ان يأجوج ومأجوج أصلهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج من الترك قال وهب بن منبه انما سمى الترك تركا لان ذا القرنين لما بنى السد على يأجوج ومأجوج كان منهم جماعة غائبون لم يعلموا ببناء السد فتركوا خارج السد فسموا تركا وقال بعضهم ان يأجوج ومأجوج خلقوا من نطفة آدم حين فاض منيه لما أهبط الى الارض فاختلطت تلك النطفة بالتراب فخلق الله تعالى منها يأجوج ومأجوج وليس هم من حواء فأنكر بعض العلماء هذا القول وقال انه ليس بصحيح . قال ابن عباس رضى الله عنهما ان يأجوج ومأجوج

تسعة أجزاء والعالم جميعه جزء واحد ﴿ ذكر صفاتهم ﴾ قال السدى انهم على ثلاثة أصناف صنف كالنخل الطويل حتى قيل ان فيهم من طوله مائة وعشرون ذراعا وصنف منهم طوله وعرضه سواء يفترش احدى أذنيه و يلتحف بالأخرى فهذا الجنس لايترك وحشا ولاذا روح الا و يأكله ومن مات منهم أكلوه وصنف منهم فى غاية القصر فمنهم من طوله شبر وشبران لايموت أحدهم حتى يرى له ألف ولد وهم لايحصون لكثرتهم . وقيل فى الاخبار ان يأجوج ومأجوج يلحسون السد بألسنتهم حتى يروا منه شعاع الشمس اذا غربت و يقولون غدا نفتحه فيأتون اليه فى اليوم الثانى فيجدونه كما كان أولا فى الشدة والسمك وهذا دأبهم الى قيام الساعة فيلحسونه فى آخر الزمان اذا جاء الوعد و يقولون غدا نفتحه و يقولون ان شاء الله فلما يعودون فى اليوم الثانى يجدونه مفتوحا فيخرجون على الناس و يسيحون فى الأرض و يأكلون الأشجار و يشربون الأنهار و يرمون الناس بسهامهم و يفسدون على الناس معيشتهم و يأكلون زروعهم و يرسل الله عليهم الريح التى أهلك الله بها قوم عاد فيموتون فى ساعة واحدة وتنتن الارض من جيفتهم فيرسل الله تعالى طيورا فتلتقطهم وتلقيهم فى البحر كما تقدم قال الثعلبى ان الناس يلتقطون أسلحتهم من الارض ولايزالون يلتقطون ذلك سبع سنين

﴿ قصة دخول ذى القرنين الى الظلمات ﴾

روى الثعلبى عن الامام علىّ رضى الله عنه أنه قال لما سار ذوالقرنين فى الارض أراد أن ينتهى الى جانب الارض وكان الله تعالى قد وكل بذى القرنين ملكا من الملائكة يقال له رفائيل فكان يسير معه أينما سار فبينما هو يتحدث مع ذلك الملك فقال له ذوالقرنين يارفائيل حدثنى عن عبادة الملائكة فى السماء فقال ان فى السماء من هو قائم لايرفع رأسه أبدا ومن هو ساجد لايرفع رأسه أبدا ومن هو راكع لايرفع رأسه دائما أبدا فقال ذوالقرنين أحب أن أعيش دهرا طويلا وأنا فى عبادة ربى فقال له الملك ان الله خلق عين ماء فى الارض سماها عين الحياة فمن شرب منها شربة لم يمت الى يوم القيامة أوحتى يسأل ربه الموت فقال له ذوالقرنين هل تعلم أنت مكان هذه العين فقال الملك لا أعلم مكانها ولكن كنت أسمع عنها فى السماء انها فى الأرض المظلمة فلما سمع ذوالقرنين ذلك من الملك جمع علماء زمانه جميعهم وسألهم عن هذه العين فقالوا لا نعلم لها خبرا فقال عالم منهم انى قرأت فى وصية آدم عليه السلام قال ان الله وضع فى الارض ظلمة وفى تلك الظلمة عين الحياة فقال ذوالقرنين أين موضعها من الارض قال فى مطلع الشمس فاستعد ذوالقرنين فى المسير اليها وقال لاصحابه أى الدواب أبصر فى الظلمة قالوا الحجورة البكارة فجمع ذوالقرنين

ألف حجرة بكرا ثم انتخب من جيشه ستة آلاف انسان من أهل العقول وأهل الجلد وكان الخضر أبو العباس وزيره فسار الخضر أمام الجيش وجدوا فى السير نحو مطلع الشمس جهة القبلة فلا زالوا يجدون فى السير نحوا اثنتى عشرة سنة حتى بلغ طرف الظلمة فاذا هى ظلمة تفور مثل الدخان لا كظلمة الليل فنهاه عقلاء جيشه عن الدخول فيها وقالوا له أيها الملك ان الملوك السابقين لم يدخلوها لانها مهلكة فقال لابد من ذلك فلما رأوه عازما على الدخول تركوه فقال لهم أقيموا امكانكم هذا مدة اثنتى عشرة سنة فان جئتكم فبها ونعمت والا فامضوا الى بلادكم ثم قال ذو القرنين للملك رفائيل اذا سلكنا هذه الظلمة هل يرى بعضنا بعضا فقال لا ولكن أنا أدفع اليك خرزة اذا طرحتها على الارض تصيح بصوت عال فيرجع اليكم من يضل عنكم من رفقائكم ثم ان ذا القرنين دخل الى تلك الظلمة ومعه جماعة من جيشه فسار فيها ثمانية عشر يوما لا يرى شمسا ولا قمرا ولا ليلا ولا نهارا ولا طيرا ولا وحشا فسار هو والخضر فبينما هما يسيران فيها اذ أوحى الله الى الخضر ان العين فى أيمن الوادى ولم أخص بها غيرك من الناس فلما سمع الخضر ذلك قال لأصحابه قفوا مكانكم ولا تبرحوا حتى آتيكم فسار الخضر فى ذلك الوادى فظفر بالعين فنزل الخضر عن فرسه وتجرد من أثوابه ونزل فى تلك العين واغتسل منها وشرب فوجد ماءها أحلى من العسل فلما اغتسل وشرب طلع منها ولبس أثوابه ثم ركب ولحق بذى القرنين ولم يشعر بما وقع للخضر من رؤية العين والاغتسال . قال وهب بن منبه ان الخضر كان ابن خالة اسكندر ذى القرنين واستمر اسكندر دائرا فى تلك الظلمة أربعين يوما اذ لاح له ضوء مثل البرق فرأى الارض بذلك النور فوجدها رملة حمراء وسمع خشخشة تحت قوائم الخيل فسأل الملك عن تلك الخشخشة فقال له هذه خشخشة من أخذ منها ندم ومن لم يأخذ منها ندم فحمل منها الجيش شيئا قليلا فلما خرجوا من تلك الظلمة وجدوها من الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر فندم من أخذ حيث لم يكثر وندم الذى لم يأخذ وقال ليتنى أخذت ومن النكت ما يقال فى أمر الطمع نقل الشعبى أن رجلا من بنى اسرائيل فى أيام نبى الله سليمان رأى رجلا صاد قنبرة فأنطقها الله تعالى فقالت ما تفعل بى فقال أشويك وآكلك فقالت أنا ما أشبعك ولا أغنيك من جوع فان أطلقتنى علمتك ثلاث فوائد يحصل لك بهن خير فقال هاتها فقالت الفائدة الاولى أعلمك بها وأنا على كفك والأخرى أعلمك بها وأنا على الجبل والثالثة أعلمك بها وأنا على الشجرة فوضعها على كفه وقال هات ما عندك فقالت لا تندم على ما فات ثم طارت وقالت له الفائدة الثانية لا تفرح بما هو آت والفائدة الثالثة لا تصدق بما

لا يكون أن يكون ثم قالت أنا أعلمك عن شيء فاتك وهي أن في حوصلتي جوهرة لو ذبحتني حصلت عليها فندم على اطلاقها فقالت له أفدتك أولا وثانيا وثالثا فلم تستفد لندمك على اطلاقي وقد فات مافات مني فصدقت أن عندي جوهرة ومن أين لي بالجوهرة وهذا من دلائل الطمع . قال السدى فلما انتهى ذو القرنين الى الظلمة لاح له قصر من نحاس أصفر طوله فرسخ وعرضه فرسخ وله باب من حديد فنزل عن فرسه ودخل القصر فرأى طائرا أبيض قدر البختي فدنا منه وسلم عليه فأنطقه الله فرد عليه السلام وقال أما كفاك ما فعلت حتى جئت الى هذا المكان فقال له ذو القرنين انى سائلك عن أشياء فأخبرني عنها فقال سل مابدا لك فقال ماوراء هذه الظلمة قال جبل قاف فقال الطائر وانى سائلك عن أشياء فقال ذو القرنين قل مابدا لك فقال الطائر هل فشا فيكم الزنا وشرب الخمر قال نعم فانتفض ذلك الطائر وصار ملء القصر وصار له صوت كالرعد القاصف ثم قال هل فشا فيكم الربا وشهادة الزور قال نعم فانتفض الطائر وفعل كالاول ثم قال هل كثر فيكم البناء المزخرف قال نعم فانتفض وفعل مثل الاول حتى سد ما بين الخافقين ففزع منه ذو القرنين ثم قال الطائر هل ترك الناس شهادة أن لا إله الا الله قال لا فانضم قليلا ثم قال هل ترك الناس صلاة الفريضة قال لا فانضم قليلا ثم قال هل ترك الناس الغسل من الجنابة قال لا فانضم قليلا حتى عاد مثل ما كان عليه أولا ثم قال يا اسكندر اصعد على ظهر هذا القصر وانظر مافوقه فلما صعد واذا هو بشخص حسن المنظر قائم على أقدامه شاخص الى السماء وفي فمه بوق من نور فلما رأى ذا القرنين قال له من أنت قال أنا ذو القرنين قال أما كفاك ما فعلت فى الارض حتى وصلت الى هذا المكان فقال اسكندر من أنت أيها الشخص المبارك قال أنا اسرافيل صاحب الصور فقال مالى أراك شاخصا قال أنتظر أمر ربي متى يأذن لى في النفخ ثم ان اسرافيل أخذ حجرا من بين يديه ودفعه الى ذى القرنين وقال خذ هذا الحجر فان شبع هذا الحجر شبعت وان جاع جعت فأخذه ذو القرنين ورجع حتى وصل الى جنده الذين تركهم خارج الظلمة فأخذ يحدث جنوده عما رأى من العجائب ثم ان ذا القرنين جمع العلماء الذين كانوا فى عصره وأخرج لهم ذلك الحجر الذى أعطاه له صاحب الصور فوضعوه فى كفة ميزان ووضعوا حجرا قدره فى الكفة الاخرى ثم رفعوا الميزان فمال الحجر الذى أعطاه له صاحب الصور فمازالوا يضعون حجرا بعد حجر حتى وضعوا ألف حجر وذلك الحجر يميل فقالت العلماء قد انقطع علمنا دون هذا الحجر فأحضر ذو القرنين الخضر وسأله عن ذلك فأخذ الخضر كفا من تراب ووضعه مقابل الحجر فى الميزان ثم رفعه فاستوى التراب مع الحجر الذى أعطاه له صاحب الصور فقال العلماء هذا من العلم الذى

لم نبلغه نحن ولا أمثالنا فقال الخضر هذا مثل ضربه لك صاحب الصور فان الله قد ملكك البلاد وحكمك فى العباد وأعطاك ملكا كبيرا وأنت لا تقنع ولا تشبع دون أن تكون فى التراب فعند ذلك بكى ذو القرنين (ومن اللطائف) عند أهل الظرف والظرائف قال أبو الفرج الاصبهانى لما رجع ذو القرنين من المشرق والمغرب توجه الى بلاد الصين فحاصر مدينتها أشد محاصرة فلما أشرف على أخذها نزل اليه ملك الصين تحت الليل ولم يعرف أحد أنه ملك الصين ولكن قال أنا رسول ملك الصين فلما وصل الى الحجاب أخبرهم أنه رسول ملك الصين ويريد الدخول على الإسكندر فأعلموا الاسكندر به وأدخلوه عليه فلما دخل سلم ووقف بين يديه فقال له تكلم فقال انى مأمور أن لا أتكلم الا فى خلوة ففتشه الرسل خوفا من أن يكون معه سلاح أو مكيدة فوجدوه خاليا من ذلك فتقرب الى الملك الاسكندر وقال له سرا أيها الملك اعلم أنى ملك الصين بنفسى ولست برسوله وقد حضرت بين يديك لعلمى أنك رجل عاقل عارف صالح مأمون الغائلة فان كان قصدك قتلى فها أنا بين يديك وأغنيك عن القتال وان كان قصدك المال فاطلب ولا تعجز فانى مجيبك فيما تطلب فقال الاسكندر خاطرت بنفسك فقال أيها الملك أنا بين أمرين اما أن تقتلنى فيقيم أهل مملكتى غيرى ويحاربوك وان تركتنى فديت بلادى بما تريد وتنسب الى الجميل فلما سمع ذو القرنين ذلك أطرق مليا متفكرا وعلم أن ملك الصين من ذوى العقول ثم انه رفع رأسه وقال أريد منك خراج مملكتك ثلاث سنين كوامل معجلا ثم بعد ذلك تعطى فى كل سنة نصف الخراج فقال ملك الصين وهل تطلب غير ذلك شيئا قال لا فقال قد أجبتك الى ذلك فقال الاسكندر كيف يكون حال رعيتك بعد هذا المال المعجل فقال أعطيك من عندى ولم أكلف رعيتى الى التعجيل والله على ما نقول وكيل فخرج ملك الصين شاكرا فلما طلع النهار وأقبل ملك الصين بعشائره حتى سد ما بين المشرق والمغرب وأحاطوا بعساكر ذى القرنين حتى أيقنوا بالهلاك فظن الاسكندر وقومه أن ملك الصين خدعهم فبينما هم فى هذه الفكرة واذا بملك الصين جاء وعلى رأسه التاج فلما رآه ذو القرنين قال أغدرت فيما قلت قال لا ولكن أردت أن أريك أنى لم أخضع لك خوفا واعلم أن الذى هو غائب من جيوشى أكثر ممن حضر فقال له الاسكندر قد تركت لك جميع ما قررته عليك من أمر الخراج فلما رجع عن بلاد الصين أرسل له ملك الصين تحفا وأموالا كثيرة على سبيل الهدية * نكتة عجيبة قيل ان رجلا مجنونا كان اذا مر فى الاسواق والطرقات تبعه الأولاد ورموه بالحجارة فبينما هو

كذلك اذمر بذلك المجنون رجل وعلى رأسه عمامة مقرونة مفحشة فى أقرانها فتعلق به ذلك
المجنون وهو يقول ياذا القرنين خلصنى من يأجوج ومأجوج فصار الناس يتعجبون من
أمر المجنون وقوله ذلك قال وهب بن منبه كان الاسكندر يجمع أهل النجوم ويسألهم عن
موته فكانوا يقولون له انك تموت فى أرض من حديد وسماؤها من خشب فيتعجب حتى
مرض وكان مسافرا فى أرض حارة فاشتد به المرض فشكا من الحر فوضعوا تحته الدروع
وخيموا له بالرماح فنام فتأمل قول أرباب النجوم أرض من حديد وسماؤها من خشب وما
هو فيه هو ذلك فأيقن بالموت فجد بالسير حتى وصل الى مدينة بابل فمات بها ودفن هناك وكتب
على قبره هذين البيتين

لا تأسفن على الدنيا وزينتها * وأرح فؤادك من هم ومن حزن
وانظر الى من حوى الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن

(قال السدى) قال بعض المؤرخين ان الله يسر لذى القرنين حتى فتح جميع البلاد وهو الذى
بنى مدينة همدان والدبوسية وشبرك و برج الحجارة ببعلبك وسرنديب بالهند وغير ذلك
والله أعلم انتهى

﴿ ذكر قصة أهل الكهف رضى الله عنهم ﴾

قال الله تعالى ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾ (قال السدى) الكهف
غار فى الجبل والرقيم لوح من رصاص كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم وذلك اللوح موضوع
على باب الكهف والصحيح أن الرقيم غار التجأ فيه ثلاثة أنفار فوقع على باب ذلك الغار صخرة
سدت عليهم الباب فدعا كل واحد منهم بما فعله من الخير لوجه الله تعالى فزالت تلك الصخرة
عنهم وخرجوا والله أعلم قال وهب بن منبه ان أصحاب الكهف كانوا فتية من أبناء الروم وكانوا
فى زمن فترة بين المسيح ومحمد ﷺ وكانوا يسكنون بأرض رومية فى مدينة يقال لها أفسوس فلما
جاء الاسلام غيروا اسمها وسموها ترسوس وكان لهم ملك رجل صالح مؤمن فأقام عليهم مدة
ومات فلما مات تولى عليهم ملك جبار من ملوك فارس يقال انه دقيانوس وكان مشركا بالله
تعالى يعبد الاصنام وكان يسكن بمدينة غرناطة من أعمال المغرب ثم سار الى مدينة أفسوس
فملكها واتخذها دار مملكته و بنى بها قصرا من الرخام الملون طوله فرسخ وعرضه فرسخ
وعلق به ألف قنديل من الذهب والفضة يسرجها كل ليلة بدهن البان واتخذ فى ذلك القصر
سريرا مرصعا بالجواهر ومحلى بالذهب طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وجعل فيه
أنواعا من الجواهر الفاخرة ونصب عن يمينه ثمانين كرسيا من الفضة وعن شماله ثمانين من

الذهب ثم اتخذمن أبناء البطارقة خمسين غلاما حسانا كالأقمار وألبسهم الحلل الفاخرة والتيجان وبأيديهم قضبان الذهب يقفون على رأسه وقت الموكب ثم اتخذمن عقلاء مملكته ستة رجال وجعلهم وزراءه وكان من جملة هؤلاء الوزراء يمليخا وهوأكبرهم ثم ان الملك طغى وتجبر وادعى الربوبية وأطاعه قومه واستمر على ذلك مدة طويلة فبينما هو كذلك اذ دخل عليه بعض حجابه وقال له ان جيوش الفرس قد طرقت بلادك فاغتم دقيانوس لذلك غما شديدا حتى وقع التاج عن رأسه فلما رأى يمليخا ذلك تفكر فى نفسه وقال لو كان دقيانوس ربا كما يزعم لم يخف من أحد غيره ولا ممن يطرق أرضه فلما انصرفت الوزراء اجتمعوا عند يمليخا فى بيته فوجدوه مغتما لا يأكل ولا يشرب فقالوا يا يمليخا مالك متفكرا فقال قد وقع فى نفسى شئ منعنى عن الأكل والشرب قالوا وماهو فقال من دقيانوس فقالوا نحن وقع لنا مثل ماوقع لك فقال بعضهم وكيف الحيلة فى خلاصنا من يد دقيانوس فقال لهم يمليخا ما الناحيلة أحسن من الهرب من هذه المدينة والخروج من أرضه فقالوا كلهم نعم الرأى فهم يمليخا من وقته وساعته وباع شيئا من غلال أرضه وجعله معه واجتمع الفتية كلهم فى مكان واحد ثم تواروا ومضوا وقيل ان جبرائيل عليه السلام أخبرهم بأن يتخذوا كرة ويخرجوا بها على هيئة اللعب بها فركبوا على خيولهم وضربوا الكرة مرة بعد أخرى حتى خرجوا من المدينة ولم يك فيهم أحد فلما صاروا فى الصحراء نزلوا عن خيولهم ونزعوا ثيابهم الفاخرة ولبسوا غيرها ومشوا نحو سبعة فراسخ فبينماهم يمشون واذا براعى غنم تلقاهم فطلبوا منه اللبن فأسقاهم فقال انكم من أهل النعمة وان لكم شأنا فأخبرونى فان لكم عندى ماتريدونه وأظنكم قد هربتم قال فقصوا عليه قصتهم فقال وأنا قد وقع فى نفسى كما وقع فى نفوسكم ولكن قفوا عندكم ساعة حتى أعطى هذه الاغنام لأصحابها وعاد اليهم مسرعا ومضى معهم فتبعهم كلب الراعى فطردوه مرارا وهو يأبى الانصراف عنهم فأنطقه الله الذى أنطق كل شئ وقال بلسان فصيح أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له قال وكان الكلب اسمه قطمير وكان أبلق اللون ذا بياض وسواد (قال السدى) كان أحمر اللون ثم ان الكلب قال دعونى معكم أحرسكم فتركوه معهم ثم ان الراعى توجه بهم الى جبل فوجدوا به كهفا فدخلوا فيه وهو قوله تعالى «اذ أوى الفتية الى الكهف» الآية ولما جلسوا حتى جن عليهم الليل ناموا والكلب يحرسهم وهو قوله تعالى «وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد» الآية فلما ناموا أمر الله ملك الموت أن يقبض أرواحهم فقبضها ثم وكل الله تعالى بهم ملائكة يقلبونهم ذات اليمين وذات الشمال كما قال الله تعالى ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال (قال السدى) كانوا فى مغارة مظلمة وهم نائمون وأعينهم مفتحة وهم

يتنفسون ولا يتكلمون قال وكان لهم شعور مسبولة على أكتافهم وقد طالت أظفارهم وكان
عليهم هيبة عظيمة وكأنهم ينطقون قال الله تعالى «وتحسبهم أيقاظا وهم رقود» فلما رجع
دقيانوس من محاربة الفرس سال عن الفتية فقيل له انهم اتخذوا الها غيرك فلما سمع بذلك
ركب فى طلبهم ولا زال يقفو أثرهم حتى وصل الى ذلك الكهف فدخل عليهم ونظر اليهم
فوجدهم نائمين فقال لجيشه لو أردت أن أعاقبهم لما عاقبتهم بمثل ما هم عليه فأمر بسد باب الكهف
عليهم فسدوه بالحجارة واستمروا فى رقادهم ثلثمائة سنة وتسع سنين كما أخبر الله تعالى فى القرآن
العظيم فلما سد دقيانوس عليهم ظن أنهم يهلكون من العطش ثم ان راعيا أدركه المطر عند
ذلك المكان فقال فى نفسه لو فتحت باب الكهف وأدخلت فيه الاغنام لكان حسنا فعالج
حتى فتح الباب فدخل عليهم الراعى فرد الله عليهم أرواحهم وجلسوا فلما رآهم الراعى ولى
هاربا وأخذ غنمه معه فلما جلسوا صار بعضهم يسلم على بعض وقالوا لقد غفلنا فى هذه الليلة
عن عبادة ربنا فقوموا بنا الى الصلاة فجاءوا الى عين ماء عند شجرة بالقرب من الكهف
فوجدوا العين قد غارت والشجرة قد جفت فصاروا يتعجبون من ذلك وقال بعضهم لبعض
فى ليلة واحدة تغور هذه العين وتيبس هذه الشجرة ثم ان الله تعالى ألقى عليهم الجوع فقالوا
لبعضهم أيكم يذهب بهذا الورق أى الفضة التى باع بها يمليخا غلالا كما تقدم ذكر ذلك فيشترى
لنا بها طعاما وهو قوله تعالى «فابعثوا أحدكم بورقكم هذه» الآية (قال السدى) أما قولهم
فلينظر أيها أزكى طعاما قيل هو الطعام الذى لا يوضع بشىء من شحم الخنزير كما كان يعمل
لدقيانوس فقال يمليخا أنا آتيكم بهذا الطعام ثم قال للراعى الذى معهم ثم أعطنى ثيابك وخذ
أنت ثيابى فأعطاه الراعى ثيابه فلبسها يمليخا ثم سار حتى أتى الى باب المدينة فوجد على بابها
مكتوبا لا اله الا الله عيسى روح الله فجعل يمليخا يمر من باب الى باب فيجد على كل الأبواب
مكتوبا لا اله الا الله الخ فجعل يمسح عينيه ويحدد نظره فى تلك الأماكن فلما طال عليه ذلك
دخل المدينة فجعل يمر بأقوام لا يعرفهم حتى انتهى الى آخر السوق فاذا هو بخباز فوقف عليه
وقال له ما اسم هذه المدينة فقال له الخباز اسمها أفسوس فقال وما اسمك قال عبد الرحمن ثم ان
يمليخا دفع درهما الى ذلك الخباز وقال له أعطنى به خبزا فلما رأى الخباز الدرهم صار يتعجب
منه وقال ليمليخا يا هذا أنت ظفرت بكنز فقال يمليخا لا والله وانما هذه الدراهم من ثمن غلال لى
فقال الخباز ان كنت أصبت كنزا فأعطنى منه فقال له انى خرجت من هذه المدينة منذ ثلاثة أيام
وكان بها الملك دقيانوس فقال له الخباز تقول بعت بهذا غلالا وتقول بعد ذلك كنت منذ ثلاثة
أيام هنا وكان بها الملك دقيانوس ان أمرك عجيب فطال بينهما الجدال فأتى به الى الملك وكان

الملك من ذوى العقول فقال ليمليخا ماقصتك فقال يمليخا زعموا أنى أصبت كنزا فقال له الملك لا تخف ان أصبت كنزا فادفع لى منه الخمس وامض لشأنك سالما فقال يمليخا تثبت لأمرى فانى من أعيان هـذه المدينة فقال له الملك هل تعرف بها أحدا فقال يمليخا نعم وكان لى بها دار وكان لنا ملك يقال له دقيانوس فقال له الملك لا نعرف شيئا مما قلته ولكن أتعرف دارك التى كانت فى هذه المدينة قال نعم فبعث الملك معه جماعة من أعوانه حتى يريهم داره فمشى معهم يمليخا فلم يعرف داره لأن البناء قد تغير فشكا فى سره الى الله تعالى فأرسل الله اليـه جبرائيل عليه السلام فجعل يسوق به حتى أوقفه على باب داره فقال يمليخا هذه دارى فقرعوا باب تلك الدار فخرج اليهم رجل كبير يرتعش من الكبر فقال رجل من جماعة الملك ان هـذا الرجل يزعم أن هذه الدار داره فغضب ذلك الشيخ من هذا الكلام ثم ان يمليخا تقدم الى ذلك الشيخ وقال أيها الشيخ المبارك أنا اسمى يمليخا بن قسطين وكانت هذه دارى ولى فيها علامات فلما سمع الشيخ من يمليخا هذا الكلام جعل الشيخ يقبل يدى يمليخا فالتفت الشيخ الى أعوان الملك وقال لهم هذا جد جدى وهو أحد الفتية الذين هربوا من دقيانوس الجبار وقد كان عيسى ابن مريم يخبرنا بخبرهم وأنهم ينتبهون بعد ثلثمائة وتسع سنين ثم بلغوا الملك هذا الكلام فركب الى يمليخا وجاء نحوه وجعل يقبل يدى يمليخا فشاع أمره فى المدينة فاجتمع الناس اليه وجعلوا يتبركون به ويتعجبون من أمره ثم ان يمليخا قال للملك ان بقية قومى فى المغارة التى هى فى الجبل وهم فى انتظارى لأجل الطعام * قال وهب بن منبه كان يومئذ بالمدينة ملكان أحدهما مؤمن والآخر كافر فركبا وتوجها مع يمليخا الى الكهف فقال لهم قفوا مكانكم حتى أدخل اليهم وأعلمهم بما جرى لى معكم وأعلمهم أن الملك دقيانوس قد هلك حتى يطمئنوا على أنفسهم فانهم خائفون من الملك دقيانوس فوقفوا قريبا من الكهف فدخل عليهم صاحبهم يمليخا فقاموا اليـه واعتنقوه وقالوا الحمد لله على سلامتك وخلاصك من يد دقيانوس فقال لهم يمليخا دعونى من دقيانوس كم لبثتم فى هـذا الكهف قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فقال لهم يمليخا بل لبثتم ثلثمائة سنة وتسع سنين وقد هلك دقيانوس فى مدة منامكم وانقرض من بعـده قرنان وقد ظهر نبى الله عيسى ابن مريم عليه السلام ومضى ثم قال لهم ان ملك المدينة جاء هو وأهل المدينة ليسلموا عليكم و يتبركوا بكم وقد أوقفتهم لأخبركم فعند ذلك تفكر أصحاب الكهف ساعة ثم قالوا فما الرأى فقالوا أجمعون ان الرأى أن ترفعوا أكفكم الى الله تعـالى بالدعاء بأن يقبض أرواحكم فى هذه الساعة أجمعين فرفعوا أيديهم وقالوا إلهنا بحقك أن تقبضنا اليك ولا نريد

أن يطلع علينا أحد غيرك فأمر الله ملك الموت أن يقبض أرواحهم تلك الساعة فلما أبطأ على الملك وأهل المدينة الخبر من يمليخا أتى الملك الى الكهف ودخل فوجدهم موتى فأخذ يقبل أقدامهم و يتبرك بهم وأمر بأن يجعل كل واحد منهم فى تابوت محلى بالذهب فلما نام الملك تلك الليلة رأى فى منامه أصحاب الكهف فقالوا له أيها الملك انا خلقنا من تراب لا من ذهب ولا من فضة فاتركنا كما كنا فى التراب الى يوم البعث والحساب فأمر الملك أن يجعلوهم على التراب من غير توابيت كما أرادوا ثم ان الملك سد عليهم باب الكهف وأراد أن يبنى على باب الكهف مسجدا فاعترضه الملك الكافر فقال أنا أبنى على باب الكهف كنيسة فاقتتلا على ذلك قتالا عظيما فقتل المؤمن الكافر و بنى المسجد الذى هناك وهو قوله تعالى «قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا» الآية * قال السدى عدة الفتية ستة أنفس والراعى الذى تبعهم سابع وكلبهم ثامن كما أخبر الله تعالى فى القرآن العظيم «قل ربى أعلم بعدتهم مايعلمهم الا قليل» الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما وأنا من القليل أى الذى يعلمون عدتهم اهـ قال العزيزى ان الكهف الذى مات فيه الفتية هو مغارة فى الجبل الذى يقرب من مدينة ترسيس ومكانهم مشهور ومعلوم بها و يزارون و يتبرك بهم رضى الله تعالى عنهم * تمت قصة أصحاب الكهف على سبيل الاختصار والله تعالى أعلم

﴿ ذكر قصة نبى الله يونس بن متى عليه السلام ﴾

واسم أمه زاد قال الله تعالى «وان يونس لمن المرسلين» وقال رسول الله ﷺ لا ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى * قال كعب الأحبار رضى الله عنه كان فى بنى اسرائيل خمسمائة رجل زاهدون لباسهم من الشعر الأسود وطعامهم من خبز الشعير ولم يكن فى القوم يومئذ من يوحى اليه الا نبى الله زكريا عليه السلام فأوحى الله الى زكريا عليه السلام أن يختار من الخمسمائة المذكورين مائة رجل فاختار منهم مائة رجل ثم أوحى الله تعالى أن يختار من المائة خمسين ومن الخمسين عشرين ثم يختار من العشرين واحدا فاختار زكريا يونس بن متى عليه السلام ولم يكن فى القوم أزهد منه فأوحى الله تعالى الى زكريا أن يبشر يونس بالنبوة وقد جعله نبيا و رسولا فلما سمع يونس ذلك خر ساجدا لله تعالى ثم رفع رأسه وقال لزكريا الحمد لله الذى جعلنى نبيا * قال العزيزى ان متى أبا يونس كان رجلا صالحا وكان بأرض فلسطين ولم يكن له ولد ذكر وقد كبر سنه فأتى الى العين التى اغتسل منها أيوب فعافاه الله فاغتسل منها متى و زوجته وصليا ركعتين ودعوا الله تعالى أن يرزقهما ولدا ذكرا فاستجاب الله منهما و رزقهما يونس عليه السلام فلما كبر يونس خرج من بيت المقدس سائحا فى الأودية والجبال فبينما هو سائح اذ

هبط عليه جبرائيل عليه السلام على صفة آدمي حسن الصورة وقال له يايونس ان الله يأمرك أن تتوجه الى مدينة نينوى وهي قرية من قرى سوريا وكان بها ملك من الروم يعبد الأصنام من دون الله تعالى وكان هذا الملك يقتل من يدعوه الى الله تعالى فلما تحقق يونس أن الله تعالى يأمره أن يتوجه الى أهل نينوى حمل زوجته وأولاده على ناقة وأخذ معه جماعة من أعيان بني اسرائيل وكان عمره يومئذ أربعين سنة فلما دخل مدينة نينوى نزل في غار في جبل وبجانبه عين ماء وصار يأكل هو وعياله من نبات الأرض ويشربون من تلك العين ثم قال لزوجته اني ذاهب عنكم فانتظروني أربعين يوما فان زدت عليها فاعلموا أني قد قتلت كما قتل من كان قبلي من الأنبياء * ثم ان يونس لبس جبة صوف وأخذ بيده عصا وتوجه حافيا مكشوف الرأس فصعد على تل عال في نينوى وصاح وقال لا إله إلا الله وان يونس رسول الله فاجتمع القوم عليه وضربوه ضربا مؤلما حتى غشي عليه فأوحى الله الى طائر يقال له الورشان بأن يغمس جناحيه في الماء ورش بهما على وجه يونس عليه السلام فلما فعل ذلك أفاق يونس من غشيته ورجع الى القوم وقال لهم كما قال في الأول فحمل الريح كلام يونس وألقاه في أذن الملك فلما سمع ذلك الصوت فزع منه وتغير لونه فقال لمن حوله ماهذا الصوت فقالوا دخل في المدينة غلام فقير مجنون يقال له يونس يزعم أن في السماء إلها يعبد فلما سمع الملك ذلك غضب على يونس وأمر بسجنه فسجن في مكان مظلم ضيق فأمر الله جبرائيل بأن يأتيه بقنديل من الجنة ويعلقه في ذلك السجن ويأتيه بطعام وشراب من الجنة فأقام يونس في السجن نحو أربعين يوما ثم ان الملك تذكره فقال لوزيره امض الى السجن وائتني بالرجل حتى أقتله فدخل الوزير على يونس فوجده قائما يصلي وعنده قنديل يضيء ووجد السجن قد امتد مد البصر فتعجب الوزير ثم التفت الى يونس وقال من صنع معك هذا فقال يونس صنعه ربي فقال الوزير يايونس ان أنا آمنت بربك ماذا يصنع معي فقال يونس يغفر لك ماتقدم من ذنبك ويسكنك جنته فقال الوزير أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله وخرج الوزير وأتى الى الملك وقال دخلت على يونس في السجن الضيق فرأيته قد اتسع مد البصر ورأيته يصلي وفوق رأسه قنديل يضيء منه المكان ووجدت عنده مائدة عليها طعام طيب ليس مثل طعامنا فقلت يايونس من فعل معك هذا قال فعله معي ربي فعلمت أن له ربا يقدر على كل شيء فآمنت به فغضب الملك على الوزير ثم أمر باخراج يونس من السجن واحضاره بين يديه فلما حضر قال له يايونس اخرج من أرضنا فقد أفسدت رعيتي بسحرك فخرج يونس الى أهله فأوحى الله تعالى اليه يايونس ارجع الى نينوى وادعهم الى التوحيد ثانيا أربعين يوما

فان أجابوك والافانى منزل عليهم العذاب فقال يارب وما علامة العذاب فأوحى الله اليه تصفر
وجوههم وأبدانهم فى اليوم الأول وفى اليوم الرابع تحمر وجوههم وأبدانهم وفى اليوم السابع
تسود وجوههم وأبدانهم وفى اليوم العاشر أنزل عليهم العذاب فلما رجع يونس صعد على
التل العالى وقال ياقوم قولوا معى لا إله إلا الله وان يونس رسول الله فاجتمع حوله القوم
وصار وا يقذفونه بالحجارة ويسبونه فقال لهم يونس ان لم تجيبونى الى توحيد الله بعد أربعين
يوما والا ينزل ربى عليكم العذاب وعلامته فى اليوم الأول أن تصفر وجوهكم وأبدانكم ثم
بعد أربعة أيام تحمر ثم بعد سبعة أيام تسود ثم فى اليوم العاشر ينزل بكم العذاب فلم يزل يونس
يدعوهم الى الأربعين فلم يؤمن أحد منهم فأوحى الله تعالى الى يونس أن يخرج من بينهم
فخرج يونس ودخل القوم الى الملك وقالوا له أما ترى ماقد نزل بنا وهذا ماوعدنا به يونس من
البلاء وكانوا قد اصفرت وجوههم وأبدانهم والملك معهم كذلك فقال لهم امضوا الى أصنامكم
واسألوها كشف ذلك عنكم فعمد القوم الى أصنامهم وكانت أصنامهم من ذهب وفضة
وحديد وخشب وحجارة فسجدوا لها وذبحوا الذبائح لها وسألوها كشف هذه النازلة عنهم
فأوحى الله الى الملك الموكل بالسحاب أن ينشر عليهم سحابة سوداء مظلمة محشوة بالعذاب
والنيران والحجارة وأمر جبريل أن يدنيها من القوم فأدناها منهم فنزل منها الصواعق
وأظلمت الدنيا عليهم ظلمة شديدة فدخل القوم على الملك وقالوا له ان كنت إلها فادفع عنا
هذا العذاب فقال لهم أمهلونى قليلا ثم دخل الى داره ولبس السلاح وركب جواده وخرج الى
محل عال ولبث فيه مقدار ثلاث ساعات ثم رجع الى قومه فقال لهم لا تهولنكم السحابة فان
بها مطرا شديدا ورعدا مهولا (قال كعب الأحبار) فلما دنت منهم السحابة وصارت
فوق رءوسهم ضاقت أنفسهم من شدة حرها وزادبهم القلق حتى غلت جماجم رءوسهم فكان
الرجل اذا قرب من صاحبه يسمع غليان دماغه فعند ذلك دخلوا على الملك وقالوا هذا هو
العذاب الذى وعدنا به يونس فقال لهم الرأى عندى أن يعمد كل منكم فيكسر صنمه بيده.
فكسروا أصنامهم فقال لهم الملك الحق عندى والحق ما أقول اطلبوا يونس فانه كان ناصحا
لكم فطلب القوم يونس فلم يجدوه فقال رجل منهم وهو الوزير انى كنت أسمع يونس يقول
ان ربى حاضر لا يزول أيها الملك ان كان يونس قد مات فان ربه حاضر لا يغيب فلما سمع الملك
ذلك قام من وقته ولبس جبة من الصوف الاسود وغل يديه الى عنقه وقيد قدميه بقيد من
حديد وحمله بعض عبيده وخرج الى القوم فى هذه الحالة ففعل القوم كلهم كما فعل الملك وحملوا
أنفسهم وخرجوا الى الصحراء وصعدوا على تل عال ثم اصطفوا صفوفا فجعلوا الشيوخ أمامهم

والشبان من ورائهم ثم الاطفال والنساء و بسطوا أيديهم بالدعاء وقالوا يارب يونس اكشف عنا هذا العذاب فكانت الشيوخ تمرغ شيبها بالرماد والشبان يحثونه على رؤوسهم والنساء والأطفال يبكون ناشرين شعورهم وصاروا يعلنون بالبكاء والضجيج الى الله تعالى فكانوا يقولون اللهم انك وعدت على لسان نبيك يونس أن لا تخيب سائلا سألك ولا داعيا دعاك ونحن سألناك ودعوناك فلا تردنا خائبين انه لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك فاكشف عنا هذا العذاب برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم انا آمنا بك وصدقنا رسولك يونس بن متى لا اله الا أنت وأن يونس رسولك فلما اطلع الله على قلوبهم وجدها خالصة مخلصة بما يقولون فأوحى الله تعالى الى جبرائيل عليه السلام بأن يكشف عنهم العذاب فكشفه عنهم ورحمهم . وقد قيل في المعنى

ياطالبا ربه بصدق * بادر وان جلت الخطوب
واقصد كريما بلا توان * فسائل الله لا يخيب

(قال كعب الاحبار) لما صرف الله عنهم العذاب تقطع ذلك الغمام أربع قطع قطعة وقعت على جبال صنعاء فكان منها معادن الرصاص وقطعة وقعت على بعض الجبال فصارت لا تنبت شيئا الى أن تقوم الساعة وقطعة وقعت في البحار فهي تغلى وتفور الى يوم القيامة وقطعة وقعت في نينوى فكانت أشد بياضا من الكافور وأطيب رائحة من المسك فهم يتطيبون بها الى الآن. ثم ان الله تعالى رد على القوم ألوانهم وعافاهم وجعل يهنئ بعضهم بعضا . ثم ان ابليس اللعين تصور في صورة راع وجاء الى يونس عليه السلام وهو عند أهله على الجبل فقال له يونس من أين جئت يا راع قال من قرية نينوى فقال يونس كيف حال أهلها فقال انهم انتظروا العذاب الذى وعدهم به يونس فلم يأتهم فعزموا على قتل يونس لانه كذب عليهم فلما سمع يونس ذلك غضب غضبا شديدا (قال قتادة) ان غضب يونس كان على أهل نينوى لا على ربه لانه نظر الى أن القوم كذبوه ولما سمع كلام الراعى قال انهم يزيدون على ما هم عليه من تعذيبى وعداوتى قال الله تعالى « وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه » الآية (قال كعب الاحبار) فأتى الى زوجته وأولاده وحملهم على ناقته وأتى بهم الى شاطىء الدجلة فرأى هناك سفينة فأشار اليها فأتت اليه فنزل في تلك السفينة هو وزوجته وأولاده فلما صار في وسط الماء انخرقت بهم السفينة فتعلقت زوجته على لوح ووصلت الى البر فالتقطها بعض الناس فحملها الى داره وطلع يونس هو وأولاده على خشبة الى البر فصارت الأولاد يبكون على أمهم فأقام يونس على شاطىء الدجلة أياما ينتظر سفينة أخرى تحمله واذا بسفينة تلوح من

جعد فأشار اليها لجاءته فهم يونس أن ينزل فيها فبادر ابنه الكبير بالنزول فى السفينة فأخذته موجة فقال ابنه الصغير يا أبت أدرك أخى فأراد أن يدركه فنادته الموجة ارجع يا يونس فليس لك من الأمر شىء فبينما هو فى أمر ولده الكبير اذ نزل من الجبل ذئب فاحتمل ولده الصغير فنادى يونس أيها الذئب لا تفجعنى فيه فقال له الذئب يا يونس ليس لك من الامر شىء (قال كعب الاحبار) وكان على وسط يونس خريطة فيها دراهم فتبددت كلها فعلم يونس انه أوخذ بذنبه فعند ذلك جلس يونس وحيدا على الشاطئ فمرت به سفينة فأشار اليها لجاءته وحملته وهو مهموم مغموم فألقى الله عليه النوم فنام وسارت السفينة الى وسط الماء فتوحلت وحبست فأعيا الملاحين أمرها فقالوا للركاب هل فيكم رجل مذنب فقال لهم يونس أنا المذنب فظنوا انه قال ذلك من همه فأقرعوا بينهم القرعة فخرجت على يونس فأعادوها ثلاث مرات وهى تقع على يونس وهو يقول ألم أقل لكم انى مذنب

﴿ ذكر كيفية القرعة وسببها ﴾

كانوا يكتبون أسماء كل من كان فى السفينة فى ورق و يلقونها فى الماء فكل من غاصت ورقته فى الماء فهو المطلوب . والسبب أن السفينة اذا لم تسر يعلم أن فى ركابها رجلا مذنبا فيرمونه فى الماء فتتخلص السفينة باذن الله تعالى فلما وقعت القرعة على يونس قام على قدميه ولف جسده فى عباءة وشد وسطه وتقدم الى جانب السفينة وهم أن يلقى نفسه فرأى الأمواج تضطرب فتحول الى الجانب الآخر فرأى أيضا الأمواج تضطرب فتحير يونس فى أمره فأوحى الله تعالى الى الملك الموكل بالحيتان بأن ادفع الحوت الفلانى فانى جعلت جوفه سجنا ليونس بن متى فأحضر الملك ذلك الحوت وقال له سر الى يونس فادركه قبل أن يصل الماء فما زال ذلك الحوت يخرق البحار الى أن وصل الى السفينة فرمى يونس نفسه فالتقمه ذلك الحوت (قال كعب الاحبار) كان يونس فى آخر السفينة فلما هم يونس أن رمى نفسه هم الحوت أن يلتقمه ففزع يونس فناداه الحوت ما هذا الفزع يا يونس وأنت المطلوب من بين القوم . فلما سمع يونس كلام الحوت رمى نفسه فى فم الحوت فلما صار فى جوفه قال يونس آه وأغمى عليه فأوحى الله الى الحوت أنى لم أجعل يونس لك رزقا ولا طعاما وانما جعلتك له حرزا فلا تخدش له لحما ولا تمزق له جلدا ثم ابتلع الحوت الذى التقم يونس حوت آخر أعظم منه فى الخلقة ثم ان يونس قام فى بطن الحوت على قدميه وقال الهى لأسجدن لك فى مكان لم يسجد لك فى مثله ملك مقرب ولا نبى مرسل فصار يونس يسجد على كبد الحوت . قال كعب الاحبار ان جلد الحوت رق ليونس حتى كان ينظر منه ما فى البحار من العجائب من حيوانات البحر وعظم أسماكه وغير ذلك فطاف به الحوت فى البحار

السبعة ورأى غرائبها ومافيها من الملائكة الموكلين بالبحر وكان يونس يسبح فى بطن الحوت فلما سمعته الملائكة يسبح فى بطن الحوت قالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا لم نسمعه قبل ذلك فأوحى الله تعالى اليهم هذا صوت عبدى يونس عصانى فسجنته فى بطن الحوت فلما سمعوا ذلك سجدوا لله أجمعون وهو قوله تعالى «فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون» وقوله تعالى «فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين» (قال ابن عباس رضى الله عنهما) فى تفسير قوله تعالى فنادى فى الظلمات هى ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت * وكان اسم ذلك الحوت النون فسمى يونس ذا النون * قال كعب الاحبار أمر الله تعالى الحوت أن يقذف يونس من بطنه فى تلك الساعة فقذفه من بطنه فى الحال فى المكان الذى أخذه منه فلما دنا الحوت ليقذف يونس أتاه جبرائيل عليه السلام ودنا من فم الحوت وقال السلام عليك يايونس رب العزة يقرئك السلام فقال يونس مرحبا بصوت كنت أخشى أن لا أسمعه أبدا فقال جبرائيل للحوت اقذف يونس من بطنك باذن الله فقذفه من بطنه فجعل يبكى لفقده ويقول لاأوحش الله منك يايونس ومن تسبيحك فخرج من بطنه مثل الفرخ الذى لاريش له ووقع شعره وذاب جسده ولان عظمه من حراره بطن الحوت (قال الشعبى ومجاهد) مكث يونس فى بطن الحوت أربعين يوما وفى رواية مكث ثلاثة أيام وذلك قوله تعالى «لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين» (قال كعب الاحبار) لما خرج يونس من بطن الحوت خرج عريانا فأنبت الله عليه شجرة من يقطين كالقبة لها أربعة أبواب تخرج منها الرياح قال ابن عباس هى شجرة اليقطين يعنى القرع (قال كعب الاحبار) ان الشجرة حلت فى ذلك اليوم اثنين وثلاثين صنفا من الفواكه لايشبه بعضها بعضا وأنبع الله فى أصلها عينا أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأرسل الله اليه غزالة تدر من ثديها لبنا يتغذى به * قال السدى ان الغزالة التى أرضعت يونس عليه السلام جعل الله قرونها وأظفارها فى لون الذهب * قال الثعلبى ان ببلاد البجة من أعلى الصعيد دابة تشبه الغزلان ولها قرون كلون الذهب وكذلك أظفارها وهى قليلة البقاء اذا اصيدت لاتعيش أكثر من ثلاثة أيام فذكر أنها من الغزالة التى تغذى بلبنها يونس عليه السلام (قال كعب الاحبار) فألقى الله على يونس النوم فنام تحت تلك الشجرة فلما انتبه من نومه فلم يجد الشجرة ولا العين ولا الغزالة وكان يستأنس بها فحزن على ذلك فأوحى الله اليه أن لاتحزن يايونس ولكن امض الى أهل نينوى فانهم قد آمنوا

فى أقم عندهم وأمرهم بالمعروف وانههم عن المنكر فسار يونس اليهم فبينما هو سائر اذ مر براع ومعه أغنام فقال له هل من شربة لبن فقال له الراعى أبشر فاحتلب له اللبن وسقاه ثم جلس عنده ساعة يتحدث معه فقال له يونس من أين أنت ياراع قال من نينوى فقال كيف حال القوم قال الراعى يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقال له يونس أتحب أن يكون لك عندهم منزلة قال نعم فقال امض اليهم وبشرهم بأن نبيهم يونس بن متى باق على قيد الحياة فقال له الراعى يكذبونى فقال له يونس خذ معك هذه الشاة فانها تشهد لى بأنى يونس بن متى فلما علم الراعى صدق ماقاله توجه الى أهل نينوى وأخذ الشاة معه فلما دخل على الملك قال له البشارة قال وما بشارتك قال يونس قد ظهر وهو فى مكان كذا وكذا فاجتمع عليه القوم وكذبوه فقال لهم ان معى من يشهد لى قالوا وما شاهدك قال هذه الشاة وأحضرها بين يدى الملك وقال لها أيتها الشاة بماذا تشهدين فانطقها الله تعالى بأن يونس حى وأنه احتلب منى اللبن وشربه فلما سمع القوم ذلك صدقوا الراعى وخرجوا وصحبتهم الملك الى ذلك المكان فوجدوا يونس قائما يصلى فجعل القوم يأخذون التراب من تحت أقدامه ويجعلونه فوق رؤسهم للتبرك ثم ان يونس سار معهم ودخل المدينة وجددوا اسلامهم وآمنوا برسالته وأقام بينهم يبين لهم الحلال والحرام فبينما هو جالس بينهم إذ أتاه رجل صياد وقال له يانبى الله انى طرحت شبكتى يوما فطلع لى صبى من أحسن الناس وجها فقال له يونس هذا ولدى ورب ابراهيم فاحضره اليه ثم أتى اليه رجل آخر وقال له يانبى الله انى كنت فى الفلوات اذ رأيت ذئبا على ظهره مولود وهو من أحسن الناس وجها فقال يونس هذا ولدى ورب ابراهيم ثم أتاه رجل آخر وقال له انى رجل تاجر خرجت فى طلب سفينة الى شاطئ الدجلة فرأيت امرأة على البر عريانة وقد غرقت فى الدجلة فمضيت بها الى منزلى وأحسنت اليها وألبستها ثيابا فقال يونس هذه زوجتى ورب ابراهيم قال فجمع الله شمله بولديه وزوجته على أحسن وجه فأقام يونس بنينوى مدة طويلة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ثم بعد ذلك توجه الى الكوفة فمات بها ودفن هناك على ماقيل وقيل دفن بالقرب من مدينة صيدا من أعمال الشام على شاطئ البحر الملح وبنى عليه مسجد يزار ويتبرك به وهو باق الى الآن وهو المشهور والله أعلم اه على سبيل الاختصار

﴿ ذكر قصة زكريا وولده يحيى عليهما السلام ﴾

قال الله تعالى «ذكر رحمة ربك عبده زكريا» قال وهب بن منبه هو زكريا بن ادن من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام (قال الطبرى) هو زكريا بن يوحنا وكان نـ ' لـبا فى الدين فلما صار

عليه مائة وعشرون سنة من العمر ولم يرزق ولدا ذكرا « قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا » « يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا » * قال السدى هو أول من تسمى بيحيى قبل الخلائق فلما سمع زكريا ماقالته الملائكة قال لهم وماعلامة ذلك فأتاه جبرائيل عليه السلام وقال له يازكريا أن لاتكلم أحدا من الناس ثلاث ليال سويا فقال زكريا ياجبريل « أنى يكون لى غلام وكان امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا » أى كيف يجيء لنا ولد ونحن على هذه الشيخوخة فقال له جبرائيل « كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا » * قال السدى ان زوجة زكريا حاضت فى يومها فلما واقعها زكريا حملت منه بيحيى فلما وضعته وكبر وانتشى اعتكف على عبادة الله تعالى وصار باكيا حزينا ليلا ونهارا لايأكل ولا يشرب ولا يمل من البكاء فقال زكريا يارب انى طلبت منك ولدا أنتفع به وهذا مشتغل بالبكاء دائما فأوحى الله اليه يازكريا أنت قلت فهب لى من لدنك وليا والولى لايكون الا على هذه الصفة وكان يحيى عليه السلام لين الجانب حسن الخلقة كما قال الله تعالى « واجعله رب رضيا » * قال السدى ان يحيى كان فى زمن ملك من ملوك بنى اسرائيل وكان ذلك الملك مغرما بحب النساء الحسان وكان للملك زوجة قد طعنت فى السن وكان لها بنت من غير الملك جميلة فأراد أن يتزوج بغيرها عندما كبر سنها فعمدت الى تلك البنت وزينتها بأحسن زينة وأحضرتها بين يدى الملك وقالت له تزوج بها فقال لها حتى نسأل يحيى بن زكريا هل يجوز ذلك أم لا فأحضر يحيى وسأله عن ذلك فقال له لاتحل لك ولا يجوز وانها محرمة عليك فغضب منه الملك فقالت له زوجته ان لم تقتل يحيى والا فلا أقيم عندك فأمر الملك بقتل يحيى فقالت علماء بنى اسرائيل للملك ان وقع من دم يحيى قطرة على الأرض لم ينبت فيها الزرع أبدا (قال العزيزى) فلما سمع الملك ما قالته العلماء أحضر طستا من نحاس وأمر بذبح يحيى فلما قدموه للذبح استسلم لقضاء الله ولم يتكلم بكلمة واحدة فذبحه فى ذلك الطست النحاس ولم ينزل من دمه شيء على الأرض فلما ذبحه طلب أباه زكريا ليذبحه أيضا فهرب منه فلم ير فى وجهه الا شجرة فقال لها أيتها الشجرة أجيرى نبى الله زكريا من القتل فانشقت الشجرة نصفين فدخل زكريا فى جوفها وانطبقت عليه كما كانت فلما تبعوه لم يجدوه فجاءهم ابليس اللعين فى صفة شيخ زاهد وقال لهم ان زكريا قد دخل فى جوف هذه الشجرة فأحضر الملك منشارا ونشر به تلك الشجرة (قال السدى) لما بلغ المنشار رأس زكريا صاح آه فنزل اليه جبرائيل وقال له يازكريا ان الله تعالى يقول لك لئن قلت بعد ذلك آه مرة أخرى ليمحونك من ديوان الأنبياء فسكت زكريا وصبر

على البلاء حتى نشروه نصفين وهو لا يتكلم . فاعلم أن الأنبياء أشد بلاء من جميع الناس (قال الثعلبي) مات زكريا وله من العمر نحو ثلثمائة سنة وقيل دون ذلك والله أعلم (قال السدى) ان الشجرة التى نشر فيها زكريا كانت بنابلس ودفن هناك ثم نقل من بعد ذلك الى حلب وقبره مشهور بها الآن (قال السدى) ان يحيى بن زكريا ذبح بفلسطين ودفنت جثته بها ورأسه حمل الى الشام ودفن وذراعه دفن فى بيروت ورجله فى صيدا صلوات الله عليهما (قال الثعلبي) مات يحيى بن زكريا وله من العمر خمس وتسعون سنة (قال قتادة) لما دخل بختنصر البابلى الى بيت المقدس ورأى دم يحيى يفور و يغلى على الأرض كغليان القدور شرع يقتل قومه من بنى اسرائيل حتى بلغ ما قتله منهم سبعين ألف انسان فعند ذلك سكن الدم قليلا قال زيد بن واقد لما عمر الوليد بن عبد الملك بن مروان مسجده الذى أنشأه بدمشق وكانى على البنائين فبينما أنا واقف عليهم اذ لاحت لنا مغارة بابها مسدود بالحجارة فعرفنا الوليد بذلك فلما دخل الليل أتى الوليد الى المسجد و بين يديه الشموع فوقف على تلك المغارة وأمر بفتحها ففتحت بحضرته فرأى بها مكانا مربعا نحو ثلاثة أذرع فى مثلها ووجد بها صندوقا مقفولا بقفل من حديد ففتحه فرأى فيه رأس انسان وعليها شعر وهى على هيئتها لم يتغير منها شئ من محاسن وجهها وفى ذلك الصندوق لوح من رخام أبيض مكتوب فيه هذه رأس يحيى بن زكريا فلما رأى الوليد ذلك قبل الرأس وأمر بردها الى الصندوق تحت العمود الذى فى شرقى الجامع المعروف بعمود السكاسك وهو فى الصف الثانى بالقرب من المقصورة التى بها محراب المسجد وقبره مشهور يزار و يتبرك به عليه السلام انتهى ما أوردناه من قصة زكريا وولده يحيى عليهما السلام

﴿ ذكر قصة عيسى ابن مريم وقصة أمه عليهما السلام ﴾

قال الله تعالى ﴿ واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العلمين ﴾ الآية قال وهب بن منبه كانت حنة أم مريم أخت زوجة زكريا وكان أبو مريم رجلا من بنى اسرائيل يقال له عمران وكان امام المسجد الاقصى فلما حملت منه أملت أن يكون ما فى بطنها ولدا ذكرا فقالت ان ولدت ولدا ذكرا فليكن خادما للمتعبدين بالمسجد الاقصى يسقيهم الماء عند الافطار و يحمل لهم الزاد على رأسه ولهذا قالت ﴿ رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا ﴾ فلما أخبرت زوجها بما نذرت قال لها قد أخطأت فيما نذرت فربما تلدين أنثى فكيف تخدم الرجال فى المسجد فلما وضعتها وجدتها أنثى وهو قوله تعالى ﴿ فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وانى سميتها مريم ﴾ الآية فضاق صدرها من ذلك النذر حيث كانت

آتى ثم ان حنة سمت بنتها مريم ومعنى ذلك لا عيب فيها ثم ان عمران أبا مريم مات وهى صغيرة
مرضع ثم ان حنة أقامت بعد زوجها عمران مدة يسيرة وماتت فلما ماتت حنة أخذ مريم
زكريا زوج أختها أم يحيى وكفلها بعد أمها كما أخبر الله تعالى حيث قال «وكفلها زكريا»
قال السدى كان زكريا رجلا فقيرا ضيق المعيشة فلما كفل مريم صار اذا دخل عليها
يجد عندها فاكهة الشتاء فى أوان الصيف وفاكهة الصيف فى أوان الشتاء وهو قوله تعالى
« كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله
ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » . قال وهب بن منبه كانت مريم قد خالفت عادة النساء
لان النساء لا يرجعن الى الطاعة والعبادة الا بعد مضى الشباب ومريم تعبدت وهى طفلة
صغيرة وأخذت عادة العجائز فى العبادة والاعتكاف عن الناس فكان زكريا يتعجب
من حال مريم فى العبادة فلما بلغت مبلغ النساء أتاها الحيض فلما طهرت أرادت الاغتسال
فخرجت الى عين ماء فجاء اليها جبرائيل عليه السلام فى صورة شاب من بنى اسرائيل يسمى
تقيا وكان مشهورا فى زمانه بالشقاوة من الفساد والزنا قال تعالى « فأرسلنا اليها روحنا » أى
جبريل «فتمثل لها بشرا سويا قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا » فقال لها
جبريل عليه السلام « انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لى غلام
ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان
أمرا مقضيا » فمد جبرائيل يديه وأخذ بذيل قميصها ونفخ فيه فلما بلغت النفخة الى صدرها
خلق الله تعالى من تلك النفخة عيسى عليه السلام وقد قال الله تعالى « والتى أحصنت فرجها
فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين » . قال العلماء ان الله تعالى خلق آدم
من غير أب وأم وخلق حواء من غير أم وخلق سائر المخلوقات من أب وأم فأراد الله تعالى
أن يكمل العناصر أربعة فخلق عيسى من غير أب فكمل بدائع حكمته وقد قال الله تعالى
« ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » . قال وهب بن
منبه لما حملت مريم بعيسى كان مدة حملها ساعة واحدة لقوله تعالى « فحملته فانتبذت به مكانا
قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا » قال
ابن عباس رضى الله عنهما كان مدة حملها ثمانية أشهر وقد جرت العادة أن من ولد لثمانية
أشهر لا يعيش . قال مجاهد بل كان حملها تسعة أشهر كعادة النساء . قال السدى وكان وضعه
ببيت لحم بالقرب من بيت المقدس وولدته ليلة الاثنين التاسع والعشرين من كيهك من شهور
القبط المعروفة بليلة الميلاد عند النصارى وفيها يشتد البرد فلما قالت مريم «ياليتنى مت قبل

هذا» «ناداها من تحتها أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا» قال وهب بن منبه ان النخلة التى أمرت مريم بهزها كان لها نحو سبعين سنة يابسة لم تثمر فلما وضعت سيدنا عيسى عليه السلام بجانبها أورقت فى الحال وأثمرت وصار البلح رطبا جنيا من وقته معجزة له وكرامة لها وأمرها بالهز تعاطيا للاسباب فتساقط عليها الرطب كما أخبر الله تعالى وقيل فى المعنى

ألم تر أن الله قال لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أدنى الجذع من غير هزها * جنته ولكن كل شىء له سبب

قال السدى لما أتت مريم بعيسى تحمله الى قومها «قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا» . قال وهب بن منبه ليس المراد بقولهم يا أخت هرون أنها كانت أخت هرون بن عمران أخى موسى عليه السلام من النسب ولكن كانت أخته فى العبادة لان هرون كان مشهورا بالعبادة وهى أيضا مشهورة بالعبادة فلما سمعت كلام قومها من المعاتبة أشارت اليه أى بأن كلموه «قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا» فأنطقه الله تعالى لهم وقال «انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا» فأول كلمة قالها عيسى انى عبد الله لان الله تعالى أعلمه أنهم سيقولون عنه بانه ابن الله فكان ذلك تكذيبا لهم قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يتكلم فى المهد غير أربعة وهم شاهد يوسف بقد القميص . والثانى صاحب الاخدود . والثالث الذى شهد لجريج الراهب بأنه ابن الراعى . والرابع سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام . قيل ان جماعة من النصارى سألوا عليا رضى الله عنه ان من كرامات عيسى انه نطق فى المهد فهل نطق نبيكم وهو فى المهد فقال على رضى الله عنه ان عيسى كان محتاجا الى النطق لانه ولد من غير أب فخاف من التهمة فاحتاج الى النطق ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحتج اذ ذاك الى النطق . قال وهب بن منبه لما كبر عيسى عليه السلام كان سياحا فى الارض لا يتخذ دارا ولا مسكنا ولا زوجة ولا ولدا بتوكان يلبس جبة صوف على لحمه ويلبس على رأسه قلنسوة من لباد وكان لا يأكل الا من غزل أمه وكانت تغزل الصوف ﴿ قال السدى ﴾ أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى ان لم يكن لك زوجة فأزوجك فى الآخرة ألف حور ية من العين ولا طعمن فى عرسك ألف عام وينادى مناد احضروا وليمة عيسى الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة ﴿ قال الواقدى ﴾ لما ساح عيسى عليه السلام فى الارض أتى الى الربوة التى بجيرون من أرض الشام فأقام بقرية هناك

يقال لها الناصرة واليها ينسب النصارى فاوى اليها هو وأمه قال الله تعالى «وآوينا هما الى ربوة ذات قرار ومعين» والصحيح أن الربوة فى دمشق الشام ومحلها مشهور معلوم بها الى الآن وتحتها الانهار والأشجار وهى ذات القرار المعين ﴿قال الواقدى﴾ لما أراد الملك هردوس ملك اليهود أن يقتل عيسى عند ظهور معجزاته وقد آمن غالب الناس به أخذته أمه مريم وخرجت به من بيت المقدس وكان معها يوسف النجار وهو رجل من عباد بنى اسرائيل فدخلوا الى مصر ومروا بمدينة عين شمس التى بالمطرية فوجدوا هناك بئرا وكانت أثواب عيسى قد اتسخت من السفر فنزلوا بجانب تلك البئر وغسلت مريم أثواب عيسى وغسلته واغتسلت ورشت الماء حول ذلك البئر فأنبت الله هناك البيلسان ويعرف بالبلسم وهو لا يوجد بأرض مصر الا فى هذا المكان فقط وهذا سبب تعظيم النصارى البيلسان وتغاليهم فيه خصوصا الأفرنج ويقولون انه لا يصح التنصر عندهم الا اذا كان فى ماء المعمودية دهن البيلسان وينغمسون فيه وكان البلسم من محاسن مصر وقد انقطع منها فى أواخر القرن التاسع وتنج من بعد ذلك ﴿قال الواقدى﴾ لما دخلت مريم مصر انقطع عنها اللبن لان عيسى كان رضيعا فألهمها الله أن تغلى النهيدة وتطعمها عيسى ففعلت فكانت تغنيه عن اللبن (قال) فلما كبر عيسى وساح فى أراضى مصر حتى دخل الى الأشمون وكان بها فرس من نحاس اذا دخلها غريب يصهل ذلك الفرس النحاس حتى يسمعه كل من فى المدينة فيعلمون أنه دخل غريب فلما وصل عيسى عليه السلام سقط ذلك الفرس وتكسر فلما دخل عيسى المدينة رأى جمالا محملة غلالا فزحموه الى الطريق فصرخ عليهم فصاروا احجارة سودا ثم انه مر بسفح الجبل المقطم هو وأمه فالتفت اليها وقال يا أماه هذه البقعة تصير مقبرة لأمة محمد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم وهم غراس الجنة ﴿قال وهب بن منبه﴾ ثم ان عيسى خرج من مصر وتوجه الى البلاد الشامية وقد اشتهر أمره بأنه يحيى الموتى باذن الله تعالى ويبرئ الأكمه والأبرص باذن الله تعالى فاجتمعت اليه اليهود وقالوا له يا عيسى لن نؤمن لك حتى تحيى لنا العزير فقال لهم عيسى وأين مكان قبره فأتوا به الى قبره فصلى هناك ركعتين ودعا الله تعالى أن يحيى له العزير فجعل القبر ينفرج عنه قليلا قليلا حتى ظهر منه العزير عليه السلام وقد ابيض شعر رأسه ولحيته فقال لعيسى هذا فعلك معى يا ابن مريم فقال بل بطلب قومك لانهم قالوا لن نؤمن لك حتى تحيى لنا العزير فعند ذلك جلس العزير بين قومه وقال لهم يا معشر بنى اسرائيل آمنوا برسالة عيسى ابن مريم واتبعوا ملته فانه على الحق من ربه فقال بنو اسرائيل انا كنا نعهدك

حين مت شابا وأنت أسود شعر الرأس واللحية وقد ابيضا فقال لهم لما سمعت هذه الصيحة وقيل لي قم باذن الله تعالى ظننت أنها صيحة القيامة فابيض نصف رأسي ولحيتي من هول ذلك اليوم وأتاني ملك وقال لي هذه دعوة عيسى ابن مريم فلما أحيا الله العزير وظهر لبني اسرائيل معجزة عيسى عليه السلام آمن منهم في ذلك اليوم جماعة كثيرة ثم دعا الله تعالى عيسى أن يعيد العزير لما كان عليه ميتا فأعاده كما كان

﴿ ذكر نزول المائدة لعيسى عليه السلام ﴾

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام «هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء» فقال لهم عيسى «اتقوا الله ان كنتم مؤمنين» قالوا لا بد لنا من ذلك فخرج عيسى الى الصحراء ولبس المسوح وطأطأ رأسه خاشعا لله تعالى يبكي ويتضرع وقال «اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين» فأوحى الله اليه «اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه» الآية ﴿قال الترمذي﴾ فأنزل الله عليهم سفرة حمراء مدورة بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها والناس ينظرون فلما نظرها عيسى قال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها نقمة فما زالت تنزل قليلا قليلا حتى هبطت بين يدي عيسى عليه السلام وكان عليها منديل مغطى به السفرة فعند ذلك خر عيسى ساجدا لله تعالى وسجد معه الحواريون ثم قالوا لعيسى قم واكشف عن هذه السفرة حتى ننظر ما فيها فقام عيسى وكشف عنها فاذا فيها سمكة مشوية وعند رأسها شيء من الخل والملح وعند ذنبها خمسة أرغفة كبار كل رغيف عليه شيء من الزيتون والتمر وحول ذلك من سائر البقول وكان الحواريون الذين سألوا عيسى اثني عشر انسانا فقال شمعون وهو أكبر الحواريين ياعيسى ان هذه السمكة من طعام الدنيا أم من طعام الجنة فقال عيسى ما أخوفني عليكم من عذاب الله تعالى كما أخبر الله تعالى «فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين» ثم قال عيسى للسمكة أيتها السمكة قومي باذن الله تعالى فأحياها الله تعالى فجعلت تضطرب وتنظر بعينها الى بني اسرائيل فخافوا منها فقال لهم عيسى مالي أراكم تسألون الشيء فاذا حصل لكم كرهتموه . ثم قال عيسى للسمكة عودي كما كنت مشوية فعادت باذن الله تعالى فقال الحواريون يا روح الله أنت أول من يأكل من هذه السمكة فقال لهم معاذ الله انما يأكل منها من سأل عنها فأبى الحواريون أن يأكلوا منها خشية أن تكون فتنة فعند ذلك نادى عيسى عليه السلام الفقراء والمساكين وأصحاب العاهات

من المجذومين والبرصى والعميان والمقعدين بأن يأكلوا منها فأكلوا حتى اكتفوا عن آخرهم وكانوا نحو ألف وثلاثمائة انسان فبرئ منها أصحاب العاهات جميعهم باذن الله تعالى وقال الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض فى المعنى

ولو قربوا من حانها مقعدا مشى * وينطق من ذكرى مذاقتها البكم
ولو جليت يوما على أكمه غدا * بصيرا ومن راووقها يسمع الصم

قال فلما سمع الناس بذلك ازدحموا على الأكل منها وجاءوا اليها من سائر الاقطار فلما رأى عيسى ازدحام الناس عليها جعلها أقساما بينهم فللفقراء يوم وللاغنياء يوم فكانت هذه المائدة تنزل كل يومين مرة كما كانت ناقة صالح تختفى يوما وتظهر يوما فاستمر على ذلك أربعين يوما قال مجاهد انها كانت تنزل فى وقت الضحى فتنزل قليلا قليلا ثم ترتفع قليلا قليلا والناس ينظرون اليها وهى بين الغمام حتى تتوارى * قال الواقدى ان المائدة كانت تنزل بكنيسة صهيون * قال وهب بن منبه ان جماعة من بنى اسرائيل شكوا فى أمر المائدة وقالوا انها ليست من عند الله فلما ظنوا ظن السوء مسخ منهم جماعة خنازير وجماعة قردة فكان عدة من مسخ ثلاثين انسانا فجاءوا الى عيسى وهم يبكون بين يديه فقال لهم ألست أنت فلانا وأنت فلانا وأنت فلانا فأومؤا برؤسهم أى بلى فأقاموا على ذلك سبعة أيام وابتلعتهم الأرض انتهى ﴿ حديث المائدة ﴾ قال السدى فرق بعضهم بين المائدة والسفرة فقال ان المائدة ما امتد وانبسط مثل المنديل والثوب وما أشبه ذلك وأما السفرة فهى التى تكون مضمومة بغلائف وحلق لأنها اذا كانت مضمومة وفتحت أسفر ما فيها أى بان فلذلك سميت سفرة والسماط من الموائد وأما المائدة فمن عرف العجم وأما السفرة فمن عرف العرب وتسمى المائدة خوانا أيضا ﴿ قال كعب الاحبار ﴾ لما ظهرت ملة عيسى عليه السلام وانتشرت فى الآفاق رغب أكثر الناس الدخول فى ملته فانحطت ملة اليهود وضعفت فى أيام عيسى وأقبل الناس على عيسى وأنزل الله عليه الانجيل وكان يحيى الموتى باذن الله فلما رأى الملك هردوس المعجزات الباهرة عزم على قتل المسيح عيسى عليه السلام بموافقة جماعة من أحبار اليهود فهجموا على عيسى وهو عند أمه مريم فدخل عليه واحد منهم البيت فلما استبطأ القوم صاحبهم دخلوا عليه فشبه لهم أنه عيسى عليه السلام فكشفوا رأسه وألبسوه تاجا من شعر وأركبوه على جريدة خضراء وطافوا به فى المدينة ثم نصبوا له خشبتين مثل صارى المركب وأوثقوا الحبال فى يديه ورجليه وسارت اليهود حوله ثم قدموه الى هاتين الخشبتين

وصلبوه عليهما وصلبوا معه اثنين من اللصوص وهو مصداق قول الله تعالى «وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم» وقوله «وماقتلوه يقينا بل رفعه الله اليه» قال العزيزى ان الرجل الذى اشتبه عليهم بعيسى اسمه أشيوع وكان من أحبار اليهود * قال وهب بن منبه لما صلب شبيه عيسى عليه السلام كان ذلك يوم الجمعة فى الساعة الثالثة من النهار وأظلمت الدنيا ثلاثة أيام الى الساعة الثالثة من النهار وزلزلت الأرض فى ذلك اليوم وكان رفعه فى خامس عشر نيسان من شهور الروم الموافق التاسع والعشرين برمهات من شهور القبط * قال الثعلبى كان عمر عيسى عليه السلام لما رفع الى السماء نحوا من ثلاث وثلاثين سنة على ماقيل *(قال السدى)* ان عيسى رفع من كنيسة السليق ببيت المقدس فلما رفع الى السماء كساه الله تعالى أوصاف الملائكة وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار ملكا سماويا أرضيا وهو حى الى الآن وهذا مذهب أهل السنة *(قال الثعلبى)* ان مريم عليها السلام توفيت بعد رفع ولدها عليه السلام بست سنين وكانت مدة حياتها نحوا من ستين سنة ولما ماتت دفنت ببيت المقدس وقبرها يزار هناك الى الآن صلوات الله عليهما * وقد أجاد الشيخ عبد العزيز الديرينى بهذه الابيات فى الرد على من يعتقد أن عيسى قتل أوصلب وقيل ان الابيات لابن تيمية

عجبا للمسيح بين النصارى * حيث قالوا ان الاله أبوه
ثم قالوا ابن الاله إله * ثم قاموا بجهلهم عبدوه
ثم جاءوا بشىء أعجب من ذا * حيث قالوا بأنهم صلبوه
ليت شعرى وليتنى كنت أدرى * ساعة الصلب أين كان أبوه
حين خلى ابنه رهين الأعادى * أتراهم أرضوه أم أغضبوه
عجبى للمسيح بين النصارى * والى أى والد نسبوه
أسلموه الى اليهود وقالوا * انهم بعد قتله صلبوه
واذا كان مايقولون حقا * وصحيحا فأين ما نسبوه
فلئن كان راضيا بأذاهم * فاحمدوهم لانهم عذبوه
ولئن كان ساخطا فاتركوه * واعبدوهم لانهم غلبوه

وقال شمس الدين بن الصائغ الحنفى على عروض ذلك وأجاد

أعباد المسيح لنا سؤال * نريد جوابه ممن وعاه
اذا مات الاله بفعل عبد * يهودى فما هذا الاله

وهل بقى الوجود بلا إله * سميع يستجيب لمن دعاه
ومن رزق البرية وهو ميت * ومن حفظ الوجود ومن حواه
وهل هو عاد لما شاء حيا * إلها أم تولاه سواه
وهل رضى المسيح الصلب عمدا * وسكنى القبر أم أرضى أباه
والا عنوة فالعبد أقوى * من المعبود يفعل مايراه
فمن يفهم لماقلنا جوابا * يجاوب أو ينب مما افتراه

قال ابن رزق ان الملكة أم الملك قسطنطين الأكبر هى التى بنت كنيسة القمامة ببيت المقدس ولما توجهت هناك وجدت الخشبتين اللتين صلب عليهما المسيح بزعمهم وخشبة ثالثة فالجملة ثلاثة أخشاب فزعمت النصارى أن ثلاثة من الأموات ألقوا على تلك الأخشاب فعادوا أحياء فى الحال فلما رأت الملكة هيلانة ذلك صنعت لتلك الأخشاب غلفا من الذهب فاتخذوا ذلك اليوم عيدا وسموه عيد الصليب وذلك بعد ولادة المسيح بثلاثمائة وثمانية وعشرين سنة وهذا غاية اعتقاد النصارى فى أمر الصليب * وكان عيسى نبيا مرسلا وهو من أولى العزم من الرسل الخمسة وقد قال الله تعالى « واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » الآية (قال مقاتل) كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم قريب من ستمائة سنة وقال الكلبى كان بينهما خمسمائة وأربعون سنة وهى زمن الفترة فى غير العرب لأن الله تعالى لم يرسل لأهل تلك الجهة نبيا بعد عيسى ابن مريم وشريعة الأنبياء قبل نبينا كانت تنقطع بموته حتى يرسل غيره اما بشرع أو يوحى اليه بتقرير شريعة من قبله من الأنبياء الا نبينا ﷺ فشريعته لم تنسخ بل هى باقية الى قرب قيام الساعة اهـ

﴿ ذكر نزول عيسى عليه السلام الى الأرض ﴾

قال أويس الثقفى سمعت رسول الله ﷺ يقول ينزل عيسى ابن مريم عند قيام الساعة ويكون نزوله على المنارة البيضاء التى بشرق جامع دمشق وصفته مربوع القامة أسود الشعر أبيض اللون فاذا نزل يدخل المسجد ويقعد على المنبر فتتسامع الناس به فيدخل عليه المسلمون والنصارى واليهود فيزدحمون هناك حتى يطأ بعضهم رأس بعض فيأتى مؤذن المسلمين فيقيم الصلاة وهى صلاة الفجر فيصلى عيسى مأموما مقتديا بالمهدى (ومن النكت اللطيفة) ما أورده الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى فى بعض مصنفاته أن الشيخ أبا القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه

كان مقيما فيما وراء النهر وكان شابا عاقلا علامة عصره فى علم الشريعة والحقيقة فصنف ألف كتاب فى علوم شتى وكان له تلميذ لا يفارقه ساعة واحدة فلما كان فى بعض الأيام أخرج الشيخ أبو القاسم ما كان صنفه من الكتب المتقدم ذكرها و وضعها فى صندوق من الخشب و وضع مع تلك الكتب مصحفا شريفا وأغلق ذلك الصندوق بقفل وقال لتلميذه خذ هذا الصندوق واذهب به الى نهر جيحون وارمه فيه فحمل المريد ذلك الصندوق وخرج به من عند الشيخ فقال فى نفسه وكيف أرمى ألف كتاب من مصنفات الشيخ وقد تعب فى جمعها وأفنى عمره فيها فرجع بالصندوق الى داره ثم جاء الى الشيخ فقال له الشيخ أرميت الصندوق فى النهر قال نعم قال الشيخ فما رأيت عند رميه قال ما رأيت شيئا فقال اذهب فارمه ولا تخالف فذهب المريد فألقى الصندوق فى النهر فلما ألقاه خرجت يد من الماء وتلقت ذلك الصندوق وأخذته فقال المريد من أنت أيها الشخص فقال عبد ربى مأمور بحفظ هذا الصندوق فرجع المريد الى الشيخ وقال انى قد رميته فخرجت يد فتلقته فقال الشيخ الآن قد ألقيته ثم ان المريد صار فى قلق على الصندوق ولم يقدر يسأل الشيخ عن سبب القاء الصندوق فى النهر ومن تناوله فعلم الشيخ مراد تلميذه فقال له يوما من الأيام يا فلان أتريد أن تعلم حقيقة حال الصندوق فقال التلميذ نعم ياسيدى فقال الشيخ انه اذا خرج الدجال لا يبقى على وجه الأرض كتاب فينزل عيسى عليه السلام و يقتل الدجال و يكون على شريعة محمد ﷺ و يأمره الله تعالى أن يحكم على شريعته فيطلب مصحفا وكتبا فلم يجد فعند ذلك ينزل جبرائيل عليه السلام و يقول لعيسى ان الله يأمرك أن تتوجه الى نهر جيحون وتصلى ركعتين وتنادى وتقول يا أمين الله على بكتب أبى القاسم القشيرى وسلم الى الصندوق فان الله تعالى أمرنى أن أحكم بين الناس بالشريعة المحمدية فيذهب عيسى و يفعل ما أمره به جبرائيل فينشق النهر بقدرة الله تعالى و يخرج منه الصندوق فيأخذه عيسى عليه السلام فيجد فى الصندوق المصحف والكتب فيقرؤها و يحكم بين الناس بمقتضاها نقل ذلك ابن الجوزى قال ولما يظهر الدجال يخرج من بلاد أصفهان طوله عشرة أذرع واحدى عينيه ممسوحة من أصل الخلقة كأنه نزل بعين واحدة نرجوه سبحانه وتعالى أن يعمى له الأخرى مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل قارئ عن قرب وعن بعد ومكتوب تحت ذلك سعيد من خالفه وشقى من أطاعه و يظهر للناس أن له جنة ونارا فناره جنة وجنته نار فيطوف البلاد و يقتل العباد و يقول أنا ربكم الأعلى فيجتمع اليه الجم الغفير من الناس من جميع الطوائف فيجتمع عنده من العساكر

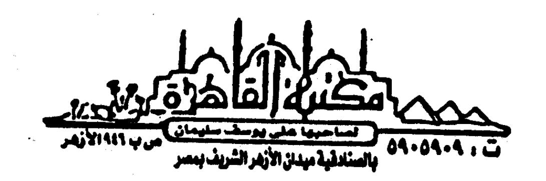
نحو ألف ألف وستين ألفا فيزحف بهم من أصفهان الى دمشق فى أربعين يوما ثم يدخل بيت المقدس و يكثر فيه من القتل والسبى فيظهر فى ذلك الوقت شخص يقال له المهدى وصفته على خده الأيمن شامة و بين كتفيه شامة فيجتمع اليه الناس فيسير بهم الى محاربة الدجال فيدخل الى دمشق الشام ثم ينزل بعد ذلك عيسى ابن مريم على المنارة البيضاء الشهيرة الآن بمنارة عيسى عليه السلام فيلتقى مع المهدى بجامع بنى أمية فى دمشق الشام فيصلى هناك المهدى اماما وعيسى مأموما ثم يخرج اليهما الدجال بمن معه من العساكر فيلتقى معهما على مدينة لد فيحار به عيسى عليه السلام فينكسر الدجال و يقتله عيسى بحربته التى تكون بيده ثم ان عيسى بعد قتل الدجال يمهد الارض شرقا وغربا ولا يدع على وجه الارض يهوديا ولا نصرانيا و يصير الدين كله واحدا على ملة محمد ﷺ و يظهر العدل بين الناس برا و بحرا فعند ذلك يوحى الله الى الارض بأن تخرج بركتها وخيرها للناس كما كانت فى الاول حتى قيل ان عشرة من الناس يجتمعون على عنقود من العنب وعلى رمانة واحده فيأكلون منها و يبقى من المأكول أكثر مما أكلوا منه وعلى هذا فقس جميع الأشياء التى تؤكل و يكثر العدل حتى ان الحية تكون بيد الطفل فلا تؤذيه و يلعب بها ولا تضره و يكون الأسد مع الشاة فلا يفترسها و يكون الذئب مع الغنم فلا يؤذيها وهو الى جانبها حتى ان الحى يمر على الميت فيقول له ليتك كنت حيا ورأيت هذه الأيام فيستمر الحال على ذلك أربعين سنة ثم ان عيسى يتزوج بامرأة من أهل عسقلان و يولد له ولدان منها ثم ان عيسى عليه السلام يحج الى بيت الله الحرام و يزور قبر محمد ﷺ فيمرض هناك فيموت و يدفن الى جانب قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى فى بعض الاخبار ثم ان المهدى بعد موت عيسى عليه السلام يأخذ جميع السادات الأشراف قاطبة و يسير بهم الى الكوفة و يموت هناك و يرسل الله تعالى ريحا طيبة فتقبض روح كل مؤمن على وجه الارض و يبقى شرار الناس فتقوم عليهم الساعة و يصير الناس يتهارجون كما تتهارج الحمر فعند ذلك يفتح سد يأجوج ومأجوج و يخرجون الى الارض و يفسدون ما فيها من أشجار و نبات و يشربون الأنهار والبحار و يصلون الى بحيرة طبرية و يشربون ماءها جميعا وقد تقدم الكلام على ذلك ولم يسلم من فتنة يأجوج ومأجوج سوى أهل مكة والمدينة المشرفة وقد قال رسول الله ﷺ المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة على كل نقب منها ملك فلا يدخلها الدجال ولا يأجوج ومأجوج ولا الطاعون وقد قال ابن أبى حجلة مشيرا الى ذلك بقوله

مدينته شاعت أحاديث فضلها ❊ وسارت بها الركبان فى كل بلدة
فما روع الدجال ساكن أرضها ❊ ولا مات بالطاعون فيها و بكة

قال فلما تفسد الاحوال يخرج الله تعالى الى الناس دابة مما يلى المسعى عند الميلين الأخضرين يقال لها السحاب وهو قوله تعالى « واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » . قال وهب بن منبه بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت فتضطرب الارض وتنشق مما يلى المسعى فتخرج من هناك الدابة فأول ما يخرج منها رأسها وهى ذات ريش وزغب كريش الطير ولها جناحان ورأسها يلمس السحاب ورجلاها تحت تخوم الارض . وقال السدى ان رأس الدابة كرأس الثور وعينيها كعينى الخنزير وأذنيها كأذن الفيل ولونها كلون النمر وصدرها كصدر الأسد وقرونها كقرون الايل وذنبها كذنب الكبش وقوائمها كقوائم البعير ووجهها كوجه الانسان فلا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتختم وجوه الكفار بخاتم سليمان وتجلو وجه المؤمن بالوسم الذى فى وجوههم وهو هذا مؤمن وهذا كافر ثم بعد ذلك تطلع الشمس من مغربها فمن شدة حرها يموت من بقى من الناس من انس وجان ويغلق باب التوبة عن الناس قال أبو ذر قلت للنبى ﷺ كم عدد الأنبياء قال مائة ألف نبى وأربعة وعشرون ألف نبى فمنهم المرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر مرسلا أو أربعة عشر أو خمسة عشر . قال الثعلبى مجموع الكتب التى أنزلت على المرسلين أربعة وهى التوراة والانجيل والزبور والفرقان وأما الصحف المنزلة فهى مائة وعشرة صحف نزل منها على شيث بن آدم ستون صحيفة ونزل منها على ادريس ثلاثون صحيفة ومنها على ابراهيم عشرون صحيفة . قال وهب بن منبه أنزل الله التوراة على موسى عليه السلام فى ألواح من الزمرد الأخضر فكتبها موسى فى أربعة وعشرين سفرا وهى ألف سورة فى كل سورة ألف آية فمسكها بنو اسرائيل من بعد موسى برهة من الزمان ثم حرفوها وغيروها . قال ابن عباس رضى الله عنهما لا يجوز للجنب أن يمس شيئا من الكتب المنزلة . وأما الانجيل فانه أنزل على عيسى عليه السلام وان قومه بدلوه أكثر تبديلا من التوراة فان علماء بنى اسرائيل كانوا أربعة وهم مرقص ولوقا ومتى ويوحنا ولما مات عيسى عليه السلام كتب كل واحد منهم انجيلا وأحاله الى نفسه وليس لهم فى ذلك حجة فصار كل انجيل مخالفا للآخر اما بزيادة أو نقصان واظهار تصويرهم فى كنائسهم ليس لهم به حجة وكذلك تركهم للختان ونقلهم صيامهم الى زمن الربيع وزيادتهم الصوم الى خمسين يوما ليس لهم فى

ذلك حجة وأكلهم لحم الخنزير وترك تزويج الرهبان فليس لهم به حجة ومشوا على ذلك الى الآن

﴿ سؤال لطيف ﴾ وهو أن الكتب المنزلة كلها ذهبت وحرفوها وغيروها فمشى على ذلك التغيير علماؤهم ولم يشكوا فى ذلك والقرآن لم يتغير ولم يتبدل منه حرف واحد * الجواب أن الله تعالى قال فى القرآن العظيم « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » فحفظه الله من التغيير والتبديل والعدم حتى قيل انه لا يحترق وان قال قائل اذا حرقته يحترق نقول نعم يحترق الا أن المعنى اذا كان فى الدنيا مصحف واحد وأريد حرقه لا يحترق لقوله تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وكانت الفترة التى بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قريبة من ستمائة سنة وقال الكلبى خمسمائة وأربعون سنة . وقال وهب بن منبه ان آدم عاش من العمر ألف سنة وقال الثعلبى من هبوط آدم الى الهجرة النبوية ستة آلاف سنة ومائة وثلاثون سنة قال وهب بن منبه كان بين موت آدم وطوفان نوح ألفان ومائتان وأربعون سنة وكان بين ابراهيم وموسى ستمائة سنة وكان بين موسى وداود خمسمائة سنة وكان بين داود وابنه سليمان و بين عيسى ألف ومائة سنة وكان بين عيسى ومحمد ﷺ وعليهم أجمعين ستمائة سنة والله أعلم بحقيقة الحال واليه المرجع والمآل * أقول وبالله التوفيق قد طالعت هذا التاريخ من عدة تواريخ منها ما روى عن الثعلبى ونقله الكسائى والحجرى وابن الجوزى وابن سلام عبد الرحمن وابن كثير عماد الدين ووهب بن منبه والسدى والواقدى وغير ذلك من الرواة المؤرخين وما وافق مما وقع عليه اختيارى وذلك على سبيل الاختصار ليكون طالبه على اقتدار وأنا أسأل الواقف عليه أن يصلح شيئا لا يوافق لديه والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب



فهرس

كتاب بدائع الزهور فى وقائع الدهور

للعلامة الشيخ محمد بن أحمد بن اياس الحنفى رحمه الله تعالى

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

﴿ تمت ﴾

وقال رسول الله ﷺ

(إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة)

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها

هو الله الذى لا إله إلا هو

الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن
المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارى
المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح
العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز
المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف
الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلى
الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم
الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد
الباعث الشهيد الحق الوكيل القوى المتين
الولى الحميد المحصى المبدئ المعيد المحيى
المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد
الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول
الآخر الظاهر الباطن الوالى المتعال البر
التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال والإكرام
المقسط الجامع الغني المغنى المانع الضار
النافع النور الهادى البديع الباقى الوارث
الرشيد الصبور